

عفوُ السوانح
رحلةٌ بين الفكرِ والذات
كتبها لك أبو سهيل
عمر العبد لله العُمَري
الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ



ⓒعمر بن عبدالله بن عمرالعمري

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري ، عمر عبدالله عمر
عفوا السوانح. / عمر عبدالله عمر العمري – عنيزة
ص ؛ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٧٢٩٠-٣

١- وصف رحلات ٢- السعودية – تراجم أ.العنوان
ديوي ٩١٠،٤ ١٤٣٢/٣٩٠٩

نشـدان الكمـال غايـةٌ أصبـو إليها ،ويشـاركني فيها كثيرٌ من البشـر، ولكنَّ بُنيـاتِ الطريق وعثراتِـه ونقصًا كتبه الله على ولد آدم قـد يحول بيـني وبين مـا أبغي، ومن كان لا يعمل إلا بأكمل الكمـال فستمضي سحابة عمره من غير أن يبلغ غايـة، وسـتتجاوزه دورات الزمن حتى تفاجئَـه الأيـام بـأن تقدمـه من هـو أقـلُّ منـه .

كتبها لك

أبو سهيل/ عمر العبدالله العُمري

عَفْوُ السوانح
رحلةٌ
بين
الفكرِ والذات



لتكون على بينة

ثـم إنـي مفـض لـك بأمـر ناصـحٍ لـك فيـه ،ذلـك أنَّ الغالـب في مثـل هـذه السـوانح أن تكـون صفحاتُـها الأولى تعريفًـا بالكاتب وأسـرته ،لا تعني كل قـارئ؛ لهـذا قـد تجد في نفسـك تثاقـلاً عـن الاسـتمرار بالقـراءة وقـد يزيّنُ لـك هـذا التثاقل إغـلاق الكتـاب فيحجب عنك مفيدًا أو دعتُـه لك في هـذه الورقات،فـإن وجـدت في نفسـك شـيئًا مـن هـذا فبـادر إلى عمـق الكتـاب،ولا أجد بأسًـا بأن تبـدأ الكتـاب من آخـره.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد فهذه سوانح حملتُ بعضها نصف قرن، فأحببت نثرها بين يديك وإطلاعك عليها امتاعًا لنفسي بتذكرها وحفظاً لما قد يكون جديرًا بالحفظ منها أبدأ أكتابتها وأنا في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٣١هـ. واحد وثلاثين وأربعمائة وألف أكتبها موشكاً أن أبلغ الستين. سائلا ربي أن يبارك لي في بقية عمري وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، كما أسأله حسن الخاتمة.

ثم إني مفض لك بأمر ناصحٍ لك فيه، ذلك أنَّ الغالب في مثل هذه السوانح أن تكون صفحاتها الأولى تعريفًا بالكاتب وأسرته ،لا تعني كل قارئ؛ لهذا قد تجد في نفسك تثاقلاً عن الاستمرار بالقراءة وقد يزّين لك هذا

التثاقل إغلاقَ الكتاب فيحجب عنك مفيدًا أودعتُه هذه الورقات،فقد لا يعنيك أن تعرف أن بيتنا يقع في حارة كذا ثم أسهب لك في وصف ذاك البيت ،فإن رأيت في نفسك شيئًا من هذا التثاقل فبادر الدخول إلى عمق الكتاب ودع المؤلف وما يخصه، فستجد بإذن الله من سوانح الفكر ما يفيد .

ولم أروها وَفق ترتيبٍ زمني أو موضوعي، وهذا ما أرى أنه من أَخص خصائصً هذا الفن ،ستجد فيها ماهو قريبُ عهد وما بينه وبين نصف القرن زمنُ طويل، ولكني اخترت التسمية إعلامًا ببدايتها ؛ لأني أجد على حروفها كل ما أراه مناسباً من غير اعتبار بالمدة ،كذلك قد تجد مباعدة بين هذا التاريخ وبين بعض التواريخ الموجودة داخل هذه السوانح،وهذا مرده إلى أني أفيئ إليها أقرأها من حين إلى حين فأضيف مايجد من سانحة وقد يكون ذكرها يتطلب تاريخها ؛ في أحيان كثرة تكون العودة إليها بعد أشهرٍ من آخر مرور؛ إذا القًلم يكون مصروفا إلى مباحث

تتطلب فيها المواصلة مبنيةٍ على غايةٍ لا يحسن التوقف قبل الوصول إليها ،أما هذه السوانح فليست هكذا .

فإذا رأيت في هذه السوانح ذا وزنٍ وقيمة لديك فإنّه مما يسرني أن تنتفع بها وأن أدخل السرور على نفسك،وإن رأيت غير هذا فلعل أجيالاً قادمة ما زالوا في أصلاب آبائهم لعلهم يجدون فيما بين أيديهم ما يفيد ويفتح لهم من أبواب البحث ما لم يخطر لي ولك على بال،وأقول أبواب البحث لأني لا أريد للقارئ أن تكون منفعتُه آنية أي يستمتع وقت القراءة ثم لا يجد بعد هذا نافعًا علق في ذاكرته؛وإذا كانت حال القارِيء والمقروء كهذه أي متعة آنية فإني أشبهها بمن يمضغ علكا فهو واجدٌ متعتَه وقت المضغ فإذا لفظه لم يبق له غذاءٌ انتفع به جسمه،وأنا لا أريد هذا ولكني أريد أن أجمع لك منفعتين الفائدة والاستمتاع،واعلم أنَّ أصل كل علم وضعه البشر قرأتَه أو سمعتَه من علوم هذه الدنيا ،أصل كل هذا خاطرةٌ تقدح في الذهن لا يتجاوز مرورها إغماضةً لعينك،فالموفق يغتنم تلك الخاطرة ويقيدها فما

يـكاد ينتهـي مـن قيدهـا إلا يجـد مـن بناتهـا مايسـره ويغريـه بالكتابة؛ وإنَّ المرء ليعجب كيف تكون نواتج هذه الخواطر وكيف تكاثرت ثمارها ،فعليك أن تقيد ما قدح به عقلك من خواطر ستكون-إن شاء الله- بذرة صالحة لعلوم جمة .

وما الأمر إلا كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨) سورة هود

و هذه السوانح لعلها تنشّط قارئًا كان يعتزم كتابة سوانحه فتفتح له من منافذ القول والتدوين ما كان غائبًا عنه،وتعينه على ما همّ به من أمر وتحفزه إليه .

وهذا التوصيف لهذه الحياة الاجتماعية لا أريد منه أن يؤخذ على أنه توصيفٌ يتسلى به الكاتب والقارئ ،فلعله يقع في ذهن مؤرخ جاد يلقحه من ماء التاريخ الاجتماعي فيجد فيه ما يستدل به على نمط من أنماط جيلٍ من الأجيال التي درجت في هذه الحياة ،ولعله يستوحي منه ما يكون إنارة لمن بعده .

وما أقصده بهذا العنوان: (عفو السوانح) هو أنّ العفو ما سهُلَ على النفس بذله فبذلته من غير تكلف ولا مشقة والسوانح جمع سانحة وهي ما يعرض للمرء من غير استجلاب ولا استشراف؛ فأنا أرخيت أو قل تركت الزمام للذاكرة كي تتحدث بما تشاء عما تشاء من غير أن أكرهها أو أضع لها ما يمنعها عن سانحةٍ أحبت أن تحدثك عنها .

وما بين يديك من نوع كتب الأدب والتاريخ المرسلة أي التي ليس له أبواب ولا فصول وإنما هي تجري على ماجرى به لسان كاتبها .

وحين وضعت هذا العنوان [عفو السوانح] على جلدة الكتاب توقفت هل أقول ألفه فلان أم أعده أم كتبه فلان ؟ فلما لم يتبين لي عزيمة على أيٍ منها تركة الخِيَرةَ لك

ليس لدي عناصرَ مكتوبةٍ أسيرُ عليها في هذا الحديث وإنما هي تجري عفو السانحة من غير اعتبار للتاريخ

الحدث . فالحديث لا يرمي إلى إثبات مسألة علمية أو نفيها ولايهدف إلى تأييد أومعارضة .

ومن عوائق الانتهاء في هذا الفن أنّك كلما عدت لمراجعة ما كتبت،أو قرأت سيرة ذاتية لأحد تفتق ذهنك عن سانحة تستحسن إضافتها وهكذا تتداعى السوانح حتى إنّك قد لاتحكم زمام الذاكرة فتظل ذاكرتك راتعةً بين السوانح تدعوك للكتابة من غير أن يتراءى لك محطٌ للوقوف .

والمتحدث في مثل هذه السوانح قد يفلت من تعقب المتعقبين ممن يعارضون ما يريد قوله في مباحث المسائل العلمية؛ فالمسألة العلمية قد تتعدد الآراء حولها بل قد ينقض بعضها بعضًا وكلٌ يرى ما فهمه من دليله .

في سوانح الأحياء لست أهدف إلى حصر أحياء مدينتي عنيزة ولكن ما سنح أذكره وما نفرأدعه .

قد تجد شيئًا تستنكر تعريفي لها لبداهة معرفتك

أو معرفة الناس له فلا تستغرب هذا فقد يقرأه من يفصل بينه وبينه مسافةٌ زمنيةٌ طويلة أو مسافةٌ جغرافية تتبدل من خلالها مفاهيم الأشياء ،أو تنقرض، أو تزول الحاجة إليها .

ستقل العنوانات الجانبية ـ إلا ما أرى أنّ الإيضاح دعا إليه ـ لأنّ هذه الأحاديث حواها عنوانها الأول [عفو السوانح]

وأقول للأعزاء الكرام أفراد أسرتي الكريمة إنَّ هذه السوانح لاتهدف إلى تدوين تاريخ أسرتنا أوسيرة حياتي كاملة وإنما هي سوانح توجز شيئًا مما بقي لدى صاحبها ، ولمن أحبَّ التعرف على شيءٍ من هذا فقد ذكرت طرفًا من تاريخ الأسرة مع شيءٍ من وثائقنا في كتابي « وثائق ودراسات في التاريخ الاجتماعي » و بكتابي عن جدي رحمه الله (صورٌ من الحركة التجارية في عنيزة منتصف القرن الرابع عشر الهجري من خلال الوثائق المرسلة إلى عمر بن

عبدالرحمن بن محمد العُمري رحمه الله١٣٠٣-١٣٥٤هـ)

استفدت كثيرًا من المنهجية التي كتبت بها بعض المذكرات وذكَّرتني وأنا أقرأها سوانح كثيرةً كانت منسيةً عندي؛ لهذا فمن المفيد لكُتَّاب السير أن يطلعوا على قدر من السير الذاتية ؛ فهذا مفيد في المنهج والتذكير.

وليس ما بين يدك من قبيل المذكرات التي شاعت كتابتها ؛ فالمذكرات تؤرخ لحقبة في حياة المؤلف يقف عند مراحل عمره ويؤكد على نجاحات أو إخفاقات مر بها حتى انتهى به الأمر إلى هذه المنزلة التي له بين أبناء جيله . وتمتزج المذكرات بأسرار يبوح بها كاتبها قد تكون متصلة بحياة آخرين . ويغلب على كُتاب المذكرات أن يكونوا ممن لهم صولةٌ وجولة مع أبناء جيلهم أو أنّهم أتوا بأمر يعز على كثير الإتيان به، أو هم يحسبون أنفسهم كذلك، وفي المذكرات رسائل قد تكون غير معلنة يبعثها الكاتب للقارئ يغريه بأمر أو يحذره من آخر بسبب تجربةٍ مر بها .

والمذكرات تؤرخ لفترة محدودة وغالبًا ما تكون فترة أعمال مربها صاحب المذكرات فهي تتجاوز سني الطفولة والشباب أوتمر بهما سريعا لأنهما ليسا مرتعين خصبين لهذه المذكرات فتراه . يمر بهما سريعًا مع خصوبة ما فيهما بالنسبة لما بين يديك من السوانح .

والساسة والقادة هم أغلب من يسرع الناس إلى قراءة مذكراتهم لأنّهم عاشوا حياة عملية أحاطوها بكثير من الغموض والمراوغة . فالقارئ يقرأها لعله يجد فيها كشفًا لغامض أو تفسيرًا لمجهول؛ ومن المؤلم أنَّ مذكرات الساسة يكثر فيها الكشف عن حقائق كانوا يلبّسونها على الناس فقد كانوا يتعمدون الكذب فيها ،وأرَى أنَّ ما بين يديك يكون من فن التاريخ الاجتماعي أي الذي يصور حياة جماعة أوطرفًا منها ممزوج بلمحات من الفكر والتجربة،وأشير إلى الرأي الذي يقول إنّ كثيرًا من صفحات تاريخنا كتبت على أنَّه تاريخ تراجم شخصية للملوك والقادة والأمراء ، ولم تتعرض في كثيرمنها إلى التاريخ الاجتماعي .

فالتاريخ الاجتماعي هو توصيف لنمط حياة مجموعة من الناس في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومراسيم زواجهم وبيعهم وشرائهم وما تعارفوا عليه من أساليب لهوهم ، وجميع طرق معاشهم .

ستجد أنَّ سوانح الذاكرة التي أمدتك بهذا التاريخ مطعمةٌ بسوانح فكرية جرى بها قلمي فرأيت أنها من تاريخ الكاتب .

وبدا لي من خلال ما كتبت لك أنّ سوانح الطفولة أسرعُ ورودًا والاستمتاع بها أكثر ثم اليافعة فالشباب فالكهولة .

وجدت أنا في هذه السوانح أنّ المتعة في الكتابة عن سوانح الطفولة والشباب أكثرمنها فيما سواها ،لعل هذا يعود إلى أنّ هذه الفترة خِلوٌ من الهموم التي تكون مصاحبة لما بعدها من المراحل . ولا أظن الشاعر رحمه الله إلا مصيبا حين قال:

أأنسى ومن ينسى صباه شبابه؟

ربيعُ الفتى ما عاشه وهو جاهل

ومن العجب أني كلما قرأتها للمراجعة أجد متعة متجددة. بل إني اعتبرتها في بعض الأحيان مستجَمًّا أفيئ إليه فأجد ما أجد من الأنس.

والمصطلحات الاجتماعية أرى أنها من لباب التاريخ الاجتماعي، وأنَّ العناية بتدوينها حفظٌ لما تعارفت عليه مجموعة من الناس؛ لهذا أحببت جمع المصطلحات الواردة هنا ووضعها في جزءٍ خاص بها ليسهل الاطلاع والتعرف عليها، وأضفت بعضًا مما لم يأتِ ذكره مع هذه السوانح.

تاريخ الانتهاء المكتوب هنا هو تاريخ أولى خطوات الانتهاء، وستجد تواريخ هي بعد هذا التاريخ وذلك لأني أفيئ إليها أقرأها من حين إلى حين فأضيف ما يجد من سانحة، ووضعت تاريخ الانتهاء لما لمست من حاجةٍ إليه

عند بعض القراء الذين أنا منهم فقد بنيتُ بعض الأحكام على رأيٍ معين من خلال معرفة انتهاء المؤلف من كتابه .

والحمد لله رب العالمين

كتبها أبو سهيل

عمر بن عبد الله العُمري

١٤٣١/١٢/٣٠هـ

مدينتي عنيزة

وعنيزة حاضرة من حواضر جزيرة العرب، ولها ذكر كثيرٌ متكاثر في كتب التاريخ القديم والحديث . وأنجبت كثيًرا من ذوي الفضل في جميع الفنون ،ولايزال رحمها رطبًا منجبًا . وبين أهلها ألفة وفي قلوبهم لها محبة . وهي تشبه المعدة فهي تستطيع هضم وصهر كل من يسكن فيها ولاتلفظ أيا منهم وسرعان ماننسب لها من يسكن فيها وإن كانت سكناه حديثة ،وهذا مما زاد اللحمة بينهم . وقدا ستفاض بين الناس من أهل الحواضر والبوادي حبُ أهلها لها كذلك شهرتهم بالعلم مستفيضة، وسماحة رأيهم مع أصالته هي كذلك مستفيضة . وحين كانت بلاد الجزيرة مشتتة وكل بلدة تعتبر دولة مستقلة، كانت عنيزة معروفةً بمنعتها وشدة بأس أهلها في الدفاع عنها .

ومما قاله عنها الراوية والمؤرخ عبد الرحمن بن إبراهيم البطحي ١٣٥٧-١٤٢٧هـ رحمه الله(. . . كما يُعرف عنها أنها قادرةٌ في لحظات أن تتحول من زهرةٍ إلى شفرة إذا ما استُثيرت كرامتها أو حدث ما يُهدد أمنها ومصالحها) صحيفة الاقتصادية ٢٠٠٥/٥/٣١م .

زارها كثيرٌ من الرحالة الذين زاروا نجد ، ومنهم كارلو غوارمانيا الإيطالي وتشارلز داوتي وجون فيلبي وأمين الريحاني واستقرت إمارتها في أسرة السُّلَيْم وما زالوا يتوارثونها ، والآن غُيِّر مسمى أمير إلى محافظ .

المفتتح

ولدت في مدينة عنيزة التي ولد فيها أبي وجدي وجد أبي، وكان سكن جد أبي الذي هو أول العُمريين ولادةً في عنيزة في حارة القاع وكذلك جدي المولود عام ١٣٠٣هـ كان في حارةالقاع وهي من الحارات القديمة وتقع في الشمال الأوسط لعنيزة غربًا عن حارة الشفيع وشرقًا عن حارة الدغيثرية . ويلاصقها من الجنوب حارة الَهفُّوف، ومن الشمال مجرى السيل القادم من الجنوب ويسمى شارع السلسلة ويتصل بحي الملاَح . ولبيتنا قبة من القباب المعروفة في عنيزة اسمها قبة [العُمري] ذكرها بهذا الاسم إبراهيم بن محمد الحسون ـ رحمه الله ـ في كتابه: خواطر وذكريات ،ومن الشرق حارة الشفيع ويوجد بها مسيل أي مكان تجتمع فيه سيول الحي،وفي فلاحة الدغيثرية كان جدي عليه رحمة الله يدع راحلته التي يتنقل عليها في أسفاره يدعها عند قدومه إلى عنيزة . وهذه الراحلة عليها وسم العائلة ويكون على الفخذ الأيسر من الدابة ورموزه هي:

(٠١) وهـذا الرمز شـرحه في العرف المحلي كما يلي: الصفرو يسـمى في العـرف السـابق(رَدْعَـه) والقـوس اسمـه هـلال و الرقم واحـد اسمـه مِطْـرق .

فيكون نطق وسمنا هو:(رَدْعَـه وهلال و مِطْـرَق) . ومنهـم مـن يقـول بـدل هِـلال محجان،وبـدل ردعـة : رقمـة ؛ والمطرق هوالعصا المستقيمة. وأما المحجان فهو عصا تزيد عـن نصـف المـتر معكوفـة مـن أعلاهـا وغالبـه مـن أغصـان شـجر الأثـل ويسـتخدم في حـث الدابـة في حـال تباطؤهـا عـن المشـي أولإيقافها عند نفورها . وهنـاك نوعٌ من المحاجين يكون بنفس الشكل إلا أنّ سماكته أغلظ من العصا وطرفاه متقاربان في الطول وفي أعلى جزئه الأطول تجويف خفيف توضع بـه الحبـال عند اسـتخدامه للتعليق . وأكثرُ ما رأيت معلقـا بـه القـرب .

جـد جـدي هـو الشـيخ محمـد بن عمـر بن مبـارك بن عبـد الله العُمـري قاضـي الخـبراء في زمانـه وترجـم لـه الشـيخ

عبد الله البسام ـ رحمهما الله ـ في كتابه (علماء نجد خلال ثمانية قرون) وترجم له الشيخ محمد العثمان القاضي رحمه الله في كتابه روضة الناظرين ،وهو أول من سكن من العُمريين في عنيزة وعقَّب بها ثلاثة أبناء وله أبناء غيرهم في بريدة والرس والخبراء؛ وأبناؤه في عنيزة هم: عبد الرحمن وحمد ، وعمر ، ومحد ثكم من ذرية عبدالرحمن. رحم الله الجميع.

وأنا رابع تسعة هم ذرية والديَّ عليهما رحمة الله ورضوانه، خمسة أبناء وهم كاتب هذه السوانح ومحمد وعبدالعزيز وعبدالرحمن وأحمد وأربع بنات توفيت منهن اثنتان وهما صغيرتان شفع الله بهما وبقيت اثنتان هما نورة و لولوة ؛ ولجد أبي (عبدالرحمن بن محمد). رحمه الله. من الولد أربعة هم: محمد وسليمان وصالح ، عمر ؛ أمّا محمد . فمات شاًبًا قبل زواجه وعن قصة وفاته حدثنا الوالد ١٣٣٧ـ١٤٢٦هـ . فيما يرويه عن سلفه قال: لما

خرج جدي عبد الرحمن إلى معركة المليداء وهي معركة وقعت في ١٣ من جمادى الثاني عام ١٣٠٨ هـ (٢٤ يناير ١٨٩١ . خرج وترك ابنه محمدًا للعمل في الدكان ،وكان في طريقه من البيت إلى الدكان كلما ذهب وجاء ، يمر بسوق تبيع فيه النساء؛ وفي ذات مرة أمرت إحداهن صاحبتها بأن تغطيَ وجهها فقد أقبل رجل فردت عليها صاحبتها قائلة: الرجال بالمليداء . فوقعت عليه هذا الكلمة وقعًا أليمًا وأوقدت مكامن رجولته وعزته . لم يواصل طريقه إلى الدكان بل عاد إلى البيت وقال لأمه ـ رحمهم الله ـ أين مفتاح الروشن ؟ ! والروشن غرفة علوية فقالت لا أعلم فقال إما أن تعطيني المفتاح أو أكسر الباب فلما رأت إصراره أعطته المفتاح. ففتح الروشن وأخذ بندقية وما يتبعها من عتاد وتوجه إلى المليداء من غير علم أبيه ، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صاح صائح المعركة . فأصبح في عداد القتلى . وكانت فجيعة أبيه به كبيرة لأنه لم يعلم بخروجه إلا حين رآه صريعًا على أرض المعركة . على الجميع رحمة الله .

وقد ورد تعريفه من ضمن قتلى المليداء كمايلي: (رقم١٣١محمد العمري، أخ الشيخ سليمان العمري أحد قضاة المدينة المنورة والإحساء، وله أحفاد) وقول المُعرِّف وله أحفاد يقصد أخاه العم سليمان. أمّا العم محمد فليس له عقب، وشك الوالد -رحمهم الله- هل قتل بعد عقد قرانه أم خطبته فقط.

كانت ولادتي بين صلاتي العصر والمغرب في ١٥/رمضان/١٣٧٤هـ. برواية والدتي عليها رحمة الله ورضوانه؛ وحسب السجلات الرسمية كانت ولادتي في١/٧/١٣٧٥ هـ الموافق ٧/ ٥/١٩٥٥م

والرواية الأولى آكد وأدق. وكانت ولادتي في بيت جدي لأمي/عبدالله بن عبدالرحمن الصهيل. عليه رحمة الله. وقد حددت هذا التاريخ بناء على قول والدتي: [اكلت بك نصف رمضان] ومعنى هذا أنها أفطرت نصف الشهر بسبب النفاس.

واستطيع أن أقول بأنَّ من أثر ولادتي بهذا التاريخ أني أدركت الذبالة والمصباح أما الذبالة فهي ما شهدت طرفاً منه مما عاشه أهلونا من رقة الحال وهذا قليل جدًا .ولله الحمد .إذا ما قيس بما عشته فيما بعد ،فلم أكد أبلغ الثالثة عشرة حتى دخلتْ الكهرباء بيتنا ثم تبعها ما تبعها من وسائل الرفاهية، وأَمَّا المصباح فما نعمت وأنعم به وينعم به أبنائي من رغدٍ في العيش ويسرٍ في الحصول عليه وتنوع في مصادره،وجيلي أعني المولودين في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري،أرى أنهم من أحظ الأجيال التي ولدت في نجد ؛ فنحن وُلدنا من آباء أدركوا حالة الاضطراب ونعيم الاستقرار؛ فكان هنا دولة اسمها المملكة العربية السعودية ضمت كثيرًا من أرض جزيرة العرب،وكان تعليمٌ ووظائف حكومية؛ فتعلمنا من آبائنا وسمعنا منهم،ومزجناه بما جد من حياة مستقرة .

ومن عجيب ما أدركته ما حدث من تقانة متتابعة في وسائل الاتصال،فلا تكاد تتمكن من اتقان خدمة إلا

وأصبحت قديمة بسبب ما لحقها من تطوير فلما رأيت الأمر هكذا اقتصرت من هذه الوسائل على بُلغةٍ أتبلَّغ بها حاجتي وأرحت نفسي من مطاردة التجديد ،وهذا منهج حمدته لما وجدت فيه من راحة ولما ألمسه من تعب المطاردة عند بعضهم .

كان جدي لأمي ـ رحمهما الله ـ من المتعاملين بسوق الأبل ولمعرفته الدقيقة بها فقد أصبح عارفة الأبل في زمنه أي هوممن يرجع إليهم في معرفة عيوبها وتقدير أثمانها ومايعد عيبا يبطل به البيع وماليس كذلك ،وهذا ما حدثني به شيخ الحنابلة عبدالله بن عبد العزيز العقيل رحمه الله ت ١٤٣٢هـ،ولم أدرك من أجدادي إلا جدتي لأمي /منيرة بنت محمد الميمان رحمها الله/ ونحن عندما يأتي الحديث عنها لانسميها جدة وإنما نقول أمي منيرة وأظن ولادتها على رأس القرن الرابع عشر ،وتذكر أمي عنها ـ عليهما رحمة الله ـ أنها ذات جدارة قوية في إدارة مواردالأسرة وغيرة على مقدرات زوجها .

وكان بيت أخوالي قريبا من بيتنا وهو على منفذين الغربي وهوالرئيسي على سوق المعثم، وشمالي شرقي وهو على سوق العطار.

إلى السوانح

هناك ثلاثية أظنها - والعلم لله - أسهمت في تكويني، وهي الدرجة العالية للتدين التي كان عليها والدي رحمه الله فهو من حفظة كتاب الله ومن خاصة طلاب الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمة الله، و صبغ حياته معنا بجدية ولم يدعني أترك صحبته في الدكان إلا عندما تجاوزت السنة السادسة عشرة من عمري، تسربت إلينا جديته واصطبغت بها حياتنا من بعده، والأمر الثاني هوقرب بيتنا من السوق الرئيسي للبلد ما جعلني أكثر الدخول إليه ولعله أسهم في توسيع دائرة معرفتي بالناس ، والثالث إطلالة بيتنا على فلاحة العُليا [عُليا الطاسان] مما جعلني أسعد كثيرًا بخضرتها ومياهها .

ومن سوق المعثم نذهب إلى الحيالة وهي سوق رئيسي للبلد ، ومما يكون فيها بيع العلف وقبيل المغرب يكون السوق انتهى وكأني أنظر إلى تلك المرأة وكنيتها أم أحمد - رحمها الله - وهي وابنها وكان في سننا يجمعان ما تساقط من العلف أثناء التحميل والتنزيل من الباعة وهما يجمعانه

لأخذه إلى دوابهم. وفي الحيالة يباع الحطب وفي أطرافها محلات الجزارة؛ ومحلات الجزارة لاتخلو من أكياس الإسمنت الفارغة التي يستخدمها الجزارون لوضع ما يشتريه الزبون من اللحم، وعن اللحم حدث والدَيَّ رحمهما الله أنّ بعض الناس الذين يخشون العين كان إذا اشترى لحما فإنه يعلقه بين ملابسه من الداخل حتى لايراه أحد فيصيبه بالعين.

من المناظر المألوفة أن نرى بعد أي صلاة من يمسك بإناء صغير به ماء ويقف عند باب المسجد يمد به يده لينفث به كلُّ داخل أوخارج من المسجد ،وهذا الأمر الغالب فيه أن يكون ممن أصيب أحد عائلتهم بما يظن أنّه عين،حتى الدواب إذاظنواأنّها مصابة بالعين يفعلون هذا وبدلا من الماء يمسك الصبي حزمة من العلف فينفث عليها المصلون وهذا لم أره ولكني قرأت عنه.

ومما يتعلق بالعين ودفع شرها أنه إذا رآكَ أحدٌ وأنت تأكل فمن الشائع أن تناوله لقمة مما معك ثم تقول: « هذا عن

عينك» هذه الجملة من الاحترازات الشائعة عندنا ،ونعني بها أنَّ ما أعطيتك أدفع بها عني شر إصابتي بالعين منك .

أعود إلى سوق المعثم وفي نهايته جنوبًا حينما كان والدي رحمه الله يحضر البضائع من مكة المكرمة صاحب السيارة[حمالية] يوقف سيارته هناك بجوار بيت عبد الله المنصور الزامل وإخوته. عليهم رحمة الله. ثم يأتي الحمالون ويفرغون بضاعتها في بيتنا في حارة أم حمار .

لمن هذا ؟ مِنْ ذالُهْ ؟

وقبل أن يأخذك النوى عن الأسواق أحب أن أحدثك عن هذه السانحة وذلك أن بعض أهلينا . رحمهم الله . حين يعرض في الأسواق بضاعة ويرغبون في شرائها لكنها أكثر من طاقتهم المادية أو حاجتهم اليومية فإنه يشترك في شرائها مجموعة ممن حضروا بيعها ، وأكثر ما رأيت هذا في أنواع الخضار فعندما تنتهي المزايدة ويباع على أحدهم

نيابة عنهم يقومون بتقسيم مااشتروه أكوامًا متقاربة المقدار،وحتى لايكون هناك بخسٌ بسبب الاختيار أومجالٌ للتنازع فإنهم يطلبون من أحدهم أن يدير ظهره ويجعل الأكوام خلفه ثم يقوم أحدهم بالإشارة إلى كل كومة وهو يقول:

[مِنْ ذالُهْ ؟] أي هذه الكومة لمن ؟ فيرد عليهم قائلا لفلان يسمي أحد الشركاء فمن حد دله رضي بالقسمة وهكذا توزيع جميع الأكوام .

وآخذك إلى وصف بيتنا ـ في حارة أم حمار ـ فكان الداخل يدخل إلى القبة وبها غرفة خاصة للوالد ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ وللقبة ثلاثة منافذ غربي ويطل على فناء كنا نسميه الوسعة لسعته وهو يتصل بعليا الطاسان وهي فلاحة للطاسان ، ومنفذ جنوبي بممر ضيق يوصل إلى الحسو وهو بئر يستقي منها بالدلو،قبل توفر المياه في المنازل، وكأني أنظر إلى الوالد عليه رحمة الله وهو ممسك

بالرشاء مُدلَّى بالبئر ونزل به صديقه جارنا إبراهيم العبد الله العبيكي رحمه الله للصيانة، وبهذا الممر مخرج يسارًا يؤدي إلى قبة أخرى ومنها إلى غرفة نسميها صفة السخال لأنّ الوالد عليه رحمة الله كان يضع فيها المنائح من الماعز. والوالد عليه رحمة الله كان معروفًا بتقويمه لما يملك من الدواب، وتقويم الدابة أي إكرامُها وإعطاؤها حقها أو أكثر من العلف والرعاية، وكان الدّلال الذي يتعامل معه والدي. رحمه الله. في بيع ما يريد بيعه يفرح عند ما يريد أبو عمر جلب شيءٍ من ماشيته. والدلال أظنه علي البادي. رحمه الله

ومن طرائف السوانح التي أذكرها حول الماعز ما حدثتني به الوالدة عليها رحمة الله ورضوانه عن قريب لنا كان صوت عطاسه. رحمه الله. قويا فكانوا يوماً من الأيام جلوسًا بالقرب من صفة الغنم فعطس عطسته المعتادة وكانت إحدى الماعز نائمة ففزعت من نومها وقطعت رباطها من هول ما سمعت!

ويتفرع من هذه القبة جنوبا درج إلى المطبخ أو الموقد وكأني أنظر إلى حيطانة ملطخةً بالصلصة وهذا بسبب مايتطاير من العلبة أثناء الفتح التي غالبا ماتكون شديدة الانتفاخ لنهاية صلاحيتها التي ليس لها اعتبار في ذلك الزمن. ولرقة الحال فالمطبخ لايوجد به إلا قليل من الحطب ومركب توقد من تحته النار وهو ثلاثي الأرجل. ومما توقد به النار الجَلَّة وهو مايكون من روث البقر بعد تجفيفه، وتقول أختي نورة بأنّها كانت تتنافس مع مضاوي ابنت عمي - رحمها الله - في إعداد الجَلَّة.

خلت أرضية بيتنا - وهو السائد في جميع البيوت - خلت من الفرش على الأرض فالأرض بادية في جميع أطراف المنازل ،ولا يكون هناك فرش إلا لمكان الشبة وهي المكان المعد لاستقبال الضيوف فهذه مفروشة ببساط من النوع الجديد أظن الوالد - رحمه الله - أحضره معه من مكة المكرمة فهو كثير السفر إليها وأقام بها مدة للبيع والشراء، وفتح دكانًا في سوق الجفالي هناك، كذلك ليس

من المعهود أن ينام الناس على الأسرة بل ننام على الأرض ويفصلنا عنها فرشٌ خفيف.

ولشدة الجوع الذي تعاني منه القطط فقد كانت الوالدة ـ عليها رحمة الله ورضوانه ـ تضع حَجَرًا على غطاء القدر مخافة أن تفتحه القطط. وكانت ـ رحمها الله ـ تحدثنا بأن البساسة [القطط] من الممكن أن تفتح القدر ولو كان على النار. وموعد أكلة العشاء قبيل المغرب. أما الغداء فيكون في الضحى وهذا لا أذكره، وإنما فترة الغداء التي أذكرها بعد صلاة الظهر.

من دأب الأصفياء

من الناس أن يفضيَ زيدٌ إلى عمرو بما أصابه من هم ملتمسًا المخرجَ والسلوى، ثم إن عَمْرًا قد يضعف في قابل الأيام فيمسه ما مسَّ أخاه فيحتاج إلى أن يشكوَ إلى زيد من الهمَّ نفسِه الذي شُكيَ إليه والأيام دول. وهنا أقول إنه من قلة التوفيق وسوء الصحبة أن تقول لأخيك ألستَ بالأمس نهيتَني عن هذا ؟ هو يعلم ولكن ثقل الهم ألجأه فإياك أن تثقل حمله وقد جاء مؤملاً التخفيف.

ومما تحسن الإشارة إليه في موضوع الأكل أن نذكر مصطلحي[اللقمة و « الطُعْمَة « فاللقمة هي ما يفضل من طعام العشاء فإنّه يوضع في إناء ثم يوضع في العرزالة [وهي بعين مكسورة فراء ساكنة فزاي وُلامٍ مفتوحتين بينهما مد ثم تاء مربوطة] وهي وعاء غالب أنواعه من خوص ويعلق في سقف البيت وهم يضعونه في هذا المكان ليناأوا به عن القطط والهوام وفي الصباح يقدم وجبة إفطار فيؤكل على هيئة قطعٍ تشبه قطع الكيك .

وأمّا الطُعمة فهي مايقدّمه الجيران لبعضهم عند وجود مناسبة أو في رمضان خاصة يومي الأثنين والخميس وهذا يسمى عشاء الوالدين، والغالب أنّ الطعمة يسبقها إخبارٌ للجيران بها ،والعبارة المتبعة في هذا أن تقول ربة المنزل لمن ترسله لبيت الجيران :اذهب إلى جيراننا الفلان وقل لهم [تقول أمي لاتسوون أولايسوون] فيفهم الجيران معناها إي لاتعدوا عشاء فنحن سنرسل لكم العشاء وفي استخدام هذه الكناية [لاتسوون لايسوون] أدب جم

وترفع عن المنة على الجيران، ومما يدفع على إخبار الجار بهذا أن يوفر قوت هذه الليلة؛ وإذا كان الأكل المرسل جريشا فإنّ من العادة أن يُبث فوقه قليلٌ من الرز يكون بمقدار مايغطي طبقته العليا . وإذاأكل الصبيان رزايخرجون إلى الشارع ويمارون أترابهم فيضعون أيديهم على أنوف أصحابهم قائلين له [إنْتَش] أي شم ماذا أكلنا اليوم . ! ! ونفعل هذا مع الرز لأنه مما يقل تناوله .

ما كان هناك برامج للسفر تتطلع لها الأسر أيام الصيف ، فنبض الحياة واحد ولا تحس أنَّ الناس يعيشون الملل ، ولا وجود لمفردات مثل : «طفشنا » أي مللنا ولا مثل لماذا لا نغير الجو،فالناس مُلئت بالرضى وأُشربت القناعة ،وهذا من أوسع أبواب السعادة التي تسكن القلوب،رتابة الحياة هي من السبت إلى الجمعة واحدة .

المهن في ذلك الوقت أغلبها بالوراثة فابن الجزار يصبح جزارًا وابن الفلاح سيكون فلاحًا ،والنجار يرث أبناؤه منه حرفة النجارة، وصاحب الدكان يعد ابنه ليرث

تجارته، وهكذا سائر الأعمال، فلا يتطلع أحدٌ لما يخالف مهنة أسرته، وبهذا جرى العرف الذي سلَّم له الجميع، جد أبي كان تاجرًا وصاحب سفرات إلى خارج عنيزة وخارج نجد وخارج جزيرة العربية، كذلك كان جدي حيث وصلا رحمهما الله إلى الهند للبيع والشراء والاستيراد ، ثم ورثها عنهما والدي الذي أصبح من أصحاب الدكاكين ولم يعد الأمر في وقته بحاجة إلى سفرات كما سار عليه جدي وجد أبي عليهم رحمة الله ورضوانه لأنَّ الأمر استقر بعد قيام الدولة ، أمَّا أنا وجيلي فقد اختلف عن أسلافنا فقد بدأ التعليم النظامي وأصبح الواحد من جيلنا يتجه إلى الدراسة ويسير حتى ينهيَ ما قُدر له من مراحل التعليم، ثم يلتحق بوظيفة حكومية ، الإمامة الشرعية في سلفنا لا يتنازعها المجموع وليست مشاعة؛ فهي لشخص واحد يطمئن الجمع لرأيه ويحتكمون في منازعاتهم إليه، وكان القاضي والمفتي الذي يحدثنا عنه جيل الآباء هو الشيخ صالح بن عثمان القاضي رحمه الله، وكثرت روايات

أقضيته الدالة على فطنته، ومن القضاة جد جدي محمد بن عمر العُمَري عليه رحمة الله.

من المظاهر التي لم تكن موجودة أيام طفولتي وصباي بل وأوائل شبابي، أننا لا نجد حاويات لفوائض البيوت؛ فلا يوضع على المائدة إلا أقل من الحاجة، وفي أحسن الحالات ما هو بقدر الحاجة، وفوائض البطيخ يكون علفا للبهائم، وهناك أكلة مطبوخة للبهائم اسمها «مَدُودَة« هي خليط من بقايا الأطعمة تُعلَّف بعد الطبخ، وهذا من نجاحات التدبير التي أفرزتها الحاجة واحترام النعمة، أمَّا في أواسط شبابي فقد انتشرت الحاويات في الأحياء أمام المنازل، وكان المنهج الذي اتبعته البلدية في مبدأ الأمر لتعويد الناس على النظافة وجمع النفايات أنها بدأت بتوزيع أكياس الحفظ على الناس بالمجان، فلما اعتادوا هذا تركتهم يشترونها فنشأ من هذا مصانع لأكياس البلاستيك التي تجمَّع بها البقايا بمقاسات متعددة، وحين فاض المال في الأيدي صار الناس يضعون على موائدهم أكثر من الحاجة، فتولد من

هـذا تخصيـص حاويـات لفائـض الأطعمـة وأخـرى لفائـض الملابس ،ثـم حـين كثـرت الفوائض أنشـأوا جمعيـات تسـتقبل الفائـض وتحفظـه ثـم توزعـه علـى مـن يحتـاج، وهـذا مـن احـترام النعـم وإن كان فيـه مـا فيـه مـن التسـاهل في التبذيـر ، ومـن الجمعيـات الخيريـة المتخصصـة في اسـتقبال فائض الأكل في عنيـزة جمعيـة» مشـكور « وهنـاك جمعيـة أخـرى اسمهـا « جمعيـة فائـض » تسـتقبل مـا يفيـض مـن لبـاس وأثـاث ، ورأيـت عند هـم مكتبـة يوضـع فيهـا مـا يتـبرع بـه النـاس مـن كتـب وقـد اقتنيـت منهـا شـراءً بعـض العناوين،وممـا يذكـر هنـا عـن المكتبـات أنَّ بعضًـا منـه اتجـه إلى التصفيـة بسـبب ضعـف الإقبال على الكتـاب وبسـبب ارتفاع الضرائب التي لا تغطيهـا حركـة الشـراء ، وممـا عشـته من كفـاف أنَّ والدي ـ رحمـه الله ـ حـين يشـتري لحمًـا فإنـه عنـد الأكل يقوم بتقسـيمه علينـا قطعًـا حتـى لا يأخـذ أحدٌ نصيب أخيـه، وكان النـاس يتسـابقون إلى أكل الشـحم، بخلاف ماعليـه الحـال الآن .

ومـن العـادات الـتي اعتـاد النـاس عليهـا الإهـداء

للمتزوجين من مال أو عين، ولكنها في حقيقتها أسلاف في عنق من أهديَ إليه ؛ لأن عليه أن يرد مثلها أو أفضل في حال زواج من أهدى إليه .

أنا من الجيل الأخير الذين عاشوا الأسر الممتدة، أي أن الأبن المتزوج يعيش مع والديه وإخوته وأخواته في بيتٍ واحد ، وهذا يحجب كثيرًا من الخصوصية التي يطمح لها المتزوجان حديثًا ، ويقول أحد أفراد جيلي إني لا أكاد أرى وجه زوجتي إلا في غرفة النوم ؛ ذلك لأنه يعيش معه أخوته البالغون مما يوجب تغطية المرأة وجهها عنهم بحكم أنهم أجانب عنها .

الفترة التي كتبتُ بها جزءًا من هذه السوانح لا أجد حرجًا من تسميتها فترة مرض الولاء الاجتماعي وتنامي بل طغيان الولاء الفردي أو الأناني بشكل مخيف يكاد يُذهِبُ كثيرًا من وشائج المودة والتحاب ويسلط سيف الفرقة ،فالإفراط بالخصوصية وتغذيتها أصبح أمرًا

صدَّره كثيرٌ من الناس، أقول هذا لأني أتذكر بمرارة صفاء العلاقات بين الجيران وبين أبناء الحي وبين جماعة المسجد، ومن قبل ما كنت أنعم به أنا وأبناء جيلي من حميمية.

ومن المبشرات أنَّ تدارك الأحداث وسرعة وقوعها نمَّى لدى بعض من أفراد الجيل الإحساس بتشكل فكر جديد للعلاقات يمكن أن يسمى الفكر الأممي أي الألم بما يقع على الأمة والفرح بما يقع لها من بشائر فرج.

وقبل أن أغادر الحديث عن الجيران أذكر أنّ جارنا حين كنا في حارة أم حمار عبدالكريم الرَّشيد كان ماهرًا في إصلاح أجهزة الراديو مع أنّه كان كفيفاً رحمه الله وممن أذكر من الجيران في أم حمار. محمد العمران، ناصر الغطيمل، حمد الغطيمل، منصور وإبراهيم السلطان، عبدالعزيز الصليع، والربيش، وعبدالعزيز المحمد الدامغ [ضعيف الله] وهو صاحب كتَّاب، أدركته وهو مسن وقد انتهى دور الكتاب وله لحية كثة بيضاء ووجهه

مشـرق مشـرب بجمـرة، وسـليمان العيـاف، والعـوس، وعبـد الله ومحمـد وعلـي وإبرهيـم المنصور الزامـل، وصـالح العبـد الله الشـبيلي، والغاشـم. وعلـي السـلمي ، وحمـد الجطيلـي وهومـن المعروفـين بالأعمـال الخاصـة بالنخيـل وصـالح الجنوبي ، وإبراهيـم العبـد الله العبيكـي وكان رجـلا طـوالا حدثـني والـدي ـ رحـم الله الجميـع ـ وكان في سـنه أنهـم أيام الصبـا كان لهـم صديق يتفاخـر بأنَّـه يسـتطيع القفـز مـن فـوق رأس العبيكـي وهـو واقـف ، وعبـد الكريـم الجمـل وأخـوه لأمـه محمـد الحُسـيَّن. والصريخ. وإبراهيـم الحديبـاء الصانـع، وعلـي النعيـم ومحمـد الرقيعـي وحمـد السـبيعي. وعثمان ومحمـد وصـالح العبـد الله الخزيـم ومحمـد الضحـوك، وعبـد الله وصـالح وعبـد الرحمـن اليحـي الموسـى.

كان جارنـا محمـد العمـران ـ رحمـه الله ـ يتكفل بوضع مقدارٍ من التمـر في إفطار رمضان وكان ابنـه عبـد الرحمن هـو الـذي يأتـي بـه إلى المسـجد وكأنـي أنظـر الآن إلى جلسـتنا ونحن في الزاويـة الشـمالية من سـرحة المسجد مسـجد أم حمـار ،وكان

هـذا في أوائل ثمانينيات القرن الرابع عشر الهجري.

في يـوم مـن الأيـام وأنـا في بيتنـا في غرفـة في المصبـاح وهــي مطلــة علــى بيــت الجـيران وقــع علــى مســمعي أول مســمع عقـوق في حياتـي وذلـك مـا سمعتـه مـن ابـن جارنـا وهويرفـع صوتـه على أبيـه؛ وأبـوه يبادلـه الغضـب عجبـت مـن هـذا الموقـف من هـذا الابن مع صغر سـني فلا أظن أني تجاوزت العاشـرة وهـو أكبر مـني بكثير. فهل من المعقول أن يرفـع أحـدٌ صوتـه علـى أبيـه بهـذه الفجاجـة والوقاحـة؟!

أعـود للمطبـخ وبالقـرب منـه شمـالاً درج يصعـد إلى الطُـوَية تصغـير طايـة وبهـا مكتبـة الوالـد عليـه رحمـة الله ورضوانه التي حـوت مجموعـة من الكتـب أهدينـاه بعد موتـه وقفـاً علـى أحـد الجوامـع في دولـة كينيـا وسـبب الإهـداء لخارج هـذه البـلاد أنّ معظـم محتواياتهـا ممايكثـر وجـوده هنـا في المكتبـات العامـة والخاصـة والتجاريـة والإهـداء كان عـن طريـق مكتـب هيئـة الإغاثـة الإسـلامية العالميـة في عنيـزة.

والطُويَّـة بطرفها المطل على فلاحة العليا منخفض بمساحة مترين في مترين مطلي بالأسمنت وبه مجرى لتصريف الماء وهو مستخدم خدمةً للضيوف للتغسيل بعد الطعام،وفي هذه الطوية خُتنت والخاتن حمد المنيصير. رحمه الله. وقد وضعوني كما ذكرت الوالدة. رحمها الله. على قِدر مكفوء .

ويلاصق الطُوَيَة شمالا القهوة وهي مكان استقبال الضيوف والشبة،والناس قديما يتميزون بكثرة اجتماعاتهم لقلة مشاغلهم ولأنّ أوقاتهم كانت ملكا لهم فالوظائف الرسمية التي تستغرق وقت الشخص كانت على بداياتها . والاجتماعات في ذلك العهد كانت في البيوت وكذلك الزواجات تقام في بيت الزوج ،و من أصحاب الوالد الذين كانوا معه في الشبة/ عبدالله المحمد اليحيي/ محمد الناصر الخليفي/صالح المحمد العمير/ محمد العجروش/ علي السليمان الرويجحي/عبدالمحسن الجنيني. عبد العزيز العبد الرحمن الغرير،عبدالله المحمد الهطلاني،عبدالله الحلوة. على الجميع رحمة الله ورضوانه .

ويمر الطوية صفة الشناط ويتفرع منه مدخل المصباح وهو بالعرف الحالي بمثابة الصالة العلوية .

وبهذا المصباح ولد أخي عبدالعزيز في ساعة متأخرة من الليل ومن سوانح هذا أنّ والدي رحمه الله ذهب لإحضار القابلة أم محمد فاطمة الصانع ونسميها [فُطَيمة الصِّناع] وكنت مستيقظا في هذه الساعة فصحبني معه فحضَرت رحمها الله وكان مكان الولادة تحديدا بين باب الطُّويَّة والدرج النازل إلى القبة .

وفي شمال المصباح غرفتان شرقية وغربية والشرقية للنوم وبها [وِجَار] بواو مكسورة فجيم مفتوحة فمد فراء ،ونحن ننطقة باللغة الدارجة فنقول:أوجار . وهو مكان إيقاد النار ،وأصله في اللغة بيت الثعلب والضبع ، وللغرفة نافذة تطل على فناء صغيرننحر به وصايا الضحايا . وأذكر أن الجزار الذي كان يتعامل معه والدي بهذه المناسبة اسمه زيد رحمهما الله،ولأنه يعرف همة والدي فقد كان

يحضر أدواته قبل الموعد ويكون موعد النحر في يوم العيد بعد الصلاة مباشرة .

ويحفظ ما زاد من اللحم بإحدى طريقتين: حميس أوشريح،والحميس كانت الوالدة تقوم بتقطيعه قطعًا بقدر قبضة اليد ثم يطبخ بالماء والملح ويكون الملح أكثر من الحاجة ليساعد على الحفظ ثم يجفف فتنظمه الوالدة. رحمها الله .بخيط على هيئة قلادة قطرها قريبٌ من المتر فيعلق على الأوتاد ونبدأ التقوتَ منه،ومن ألذّ حالات أكله عندي أن يكون مع الشاي عندما يجف . ونوع الخيط الذي ينظم به اللحم يسمى [سُوثْلي] والطريقة الثانية لحفظ اللحم هي الشريح وهو وضع اللحم على هيئة شرائح عرضها قريب من خمس سنتي وطولها قريب من ثلاثين وهي لا تطبخ وإنما يوضع عليها الملح لحفظها ثم تجفف،وأقرب مثال لها في هذا الوقت هو سمك الفيليه . ومن الفروق بين الحميس والشريح أنّ الحميس تكون قطعه ما بين لحم خالص أو لحم مختلط بعظم أما الشريح فلحم خالص ، وبسبب رداءة

الحفظ يتولد من الحميس دود اسمه « نِـهْك » وكافها بكسكسة بني أسد ، وهذا لا يمنع من أكله،وكثيرًا ما تُرى النهوك مع الأكل المطبوخ معه الحميس ،ولرقة الحال فالناس لا يتقدذرون رؤيته بالأكل وقصارى أملهم معه أن يبعدوه عن الحافة التي يأكلون منها ، ولا يتحوطون كثيرًا من وقوعه داخل اللقمة .

ومن السوانح المرتبطة بالأضاحي لعبة الكِعَابة جمع كعب ، والكاف هنا تنطق بكسكسة بني أسد ، وهي من عظام مفاصل الضأن والماعز؛ ولعبة الكعابة لها أنظمة اتفق عليها الجميع وطريقتها أن توضع مجموعة منها داخل مربع مخطوط أطواله مترفي مترثم تصف مبسوطة أومترادفة فيبتعد المتباريان عن هذا المربع حوالي ثلاثة أمتار ويصوبان إلى تلك المجموعة وكل واحد منهما معه [صول] وهو واحد من هذه الكعابة إلا أنه يفوقها بحجمه وترصيصه وتلوينه، والترصيص يكون بعد نقر تجويف

في الوسط ثم نملؤه بالرصاص، ومن أراد التجميل أكثر يضع قمرًا في ظهره، والقمر مسمار أصفر له رأسه أكبر من المسمار المعروف. والتلوين يكون بالأحمر أو الأزرق. وقبل أن يصوب المتباري نحو الهدف فإنّه يقوم بوضع الصول بجوار إحدى عينيه ثم يمسك الصول بالإبهام والتي تليها ويديره بهما ثم يرمي به الهدف، واللاعب الماهر يستطيع إخراج مجموعة من الكعابة من الخطة ويبقي الصول داخل الخطة .فإذا بلغ هذه المرحلة فالغالب أنّه يستحوذ على بقية ما في الخطة؛ وإذا أخرج الصول ثنتين من الخطة فإن العبارة التي نقولها في هذه الحال: «جوز ولاطلع «أي أنّ اللاعب استطاع أن يكسب ثنتين من [الطزق] ولم يخرج الصول من الخطة وهذا يعطي اللاعب. كما سبق. فرصة اكتساح الجميع. والطزق هي الكعابة.

وإليك هذه السانحة الفكرية ثم أعود بك إلى لعبة الكعابة. من بواعث التأليف التي تراودني كثيرًا ان يكون

لي بحث بعنوان «الطريف في بواعث التأليف» أجمع فيه ما تيسر من دواع جعلت المؤلف يضع كتابه هذا ويطرق هذا الموضوع، وكذلك لأضع مائدةً عامرة شهية لنفسي وللقارئ؛ ومن فرائد هذا الجمع وملاذّه أنه يجعلك في سياحةٍ علمية ورتعةٍ فكرية لا يحدها لون من ألوان المعرفة ،كذلك هذا اللون من التأليف يصلح لأن يكون من الكتب التي يستجم بها الباحثون من تعب البحث فيجدون فيه متنزهًا يأوون إليه لاستعادة نشاطهم بعد الكد الذهني،ولعل قارئًا يجد من بين هذا الأسباب ما يحرك فيه دافعًا دفينا ويوقظ همةً نائمة ؛ ومما ييسر هذا النوع من التأليف سهولة الحصول على ما دته فهي متوفرة ومبثوثة في مقدمات الكتب،ولا يكاد كاتبٌ يدع كتابه من ذكر السبب الداعي لتأليفه ،لا تحجب همتك عن التأليف في هذا ولا تسأل نفسك هل ألف كاتب هذه السطور عن هذا الموضوع ؟ ولكن امضِ إن وجدت نشاطًا لهذا الفن من التأليف،فهو فنٌ لا يصل إلى غاية يتوقف عندها البحث

بل من الممكن أن يدون فيه عشرات الأسفار، فلا يقال فيه سبقنا فلان؛ فتستطيع بجولةٍ فاحصة على مقدمات الكتب أن تجد مادة غنية.

حين أنهي تأليفَ كتاب وأدفعه إلى المطبعة فإني لا أعير للربح أي قدر ،وإنما أهدف إلى سعة انتشاره ، وأضع عليه السعر الذي أتوقع أنه يناسب المشتري، وهذا هو معياري، ولم أبع أي كتاب ألفته بمبلغ يغطي التكلفة فضلاً عن الربح .

عودة : وفي لعبة الكعابة هناك نوع من اللعب وأظنه تعبيرا عن مهارة من يقوم به وهو[الكرْز] وذلك أن يقوم اللاعب بإمساك الصول ثم محاولة إخراج الطزق من الخطة بضربها بالصول وذلك بفركه قريبًا منها ، وهو يفعل هذا عندما تكون أنظمة اللعب تتيح له أن يكون داخل الخطة، ولاتتيح له الأعراف أن يلعب داخل الخطة إلاحين يكون كسبه من درجة[جوز ولاطلع]

ومن أعراف اللعبة أنّ الصول إذا ضرب به فبقي مستويا فتسمى هذه الهيئة [وان] وهذا يعطي صاحبه محاولة أخرى للتصويب من مكان الصول؛ و إذا انتكس الصول إلى أعلى ووقف على أحد طرفيه فهذه الحال تسمى [زِعْبِط] بزاي مكسورة ،وعين ساكنة وباء مفخمة مكسورة ثم طاء ،وهذا يعطي الحاضرين فرصة انتهابه مالم يسرع صاحبه إلى تقبيله . !

ومن الأعراف التي تعارفنا عليها في هذه اللعبة [النَقْع و المُشاوَر] والنقع هوأنّه يحق للقادم أن يستولي

على مافي الخطة من الكِعابة إذالم يشاوره اللاعبون أوأحدهم ؛والمشاور أن يُقال للقادم التنويه التالي بصوت مسموع:[شورك على كل ماحملت وان رحت وان جيت وان كان أنّك ما تشاور ماهوب شورك] وهنا أراني مضطرًا إلى كتابته باللهجة المحلية .

وإليك المقصود بهذا المصطلح أي أننا نستأمنك عليها فلايحق لك أخذها بعد هذا التأمين ،ومن المتعارف عليه أنّ الطرف الآخر يسلّم بهذا فيمرأويجلس بأمان . ومعنى قولنا :[وان كان أنّك ما تشاور ماهوب شورك] . هي كلمة احتياط لأنّ هناك من الفتية والأتراب خاصة الذين يكون لديهم استعداد للشر والمضاربة من يقولون عن أنفسهم : [أنا مناب أشاوَر] ليسوّغ لنفسه أخذ الكعابة ونهبها ! وهذه الأنظمة على بساطتها وهذه القوانين على عفويتها وإن شئت فقل على براءتها إلا أنها غرست في جيلنا شيئًا من مظاهر التنظيم والاحتكام إلى القوانين والتسليم لها .

من الخُلق الذي يصاب

به بعض البشر، ومنهم بعض الكتبة أنهم يرون الرأي، لكنهم لما يقولوا به فإذا رأوا أنهم سُبقوا إليه وأجراه الله من غيرهم نُكِسوا على رؤوسهم وغصتْ أقلامهم وشرِقت غيرةً وحسدًا لمن تقدمهم وجحدوا فضله وغمطوا سابقته !

لعله شط بك الحديث عن وصف المصباح فأعود لوصف غرف المصباح ،والغرفة الثانية التي في المصباح للعَليق وهوالتمر المعلق . ؛ ولحفظ التمر أساليب منها التعليق فيؤخذ قِنوَالنخلة كاملاثم يعلق بعد لفه بقماش حفظًا له من الهوام ،ومن أساليب حفظ التمر كنزه ويسمى التمر في هذه الحال كنيزًا ويحفظ بعد رصه جيدا ويخلط معه الدبس ،والوالد عليه رحمة الله ورضوانه كان ممن يجيدون الكنيز، وأشهر أنواع التمر العليق «أم الخشب»

ومن السوانح أن أذكر لعبةً من الألعاب المتعلقة بأيام صرام النخل « الجداد» أننا نقطع أحد طرفي العرجون وهو عذق النخلة ،نقطعه بقدر نصف الذراع ونفصل منه شقين ونزيل اللب الذي يكون بينهما فيكون الطرفان رقيقين كأذني الماعز فنهزهما فيَحْدث صوتٌ مسموع بسبب ضرب الشقين ببقيةٍ خفيفة من أصل المقطوع ،وهذا نسميه الصرقعان وهي مصدر الفعل صرقع ، والصرقعة باللهجة المحلية هي الصوت المدوي .

وللتمر مكانة خاصة لدى والدي رحمة الله ورضوانه كما هي حال الناس جميعا ، وهوالغذاء الذي لم يدعه يوما في حياته حتى اعتاد جسمه عليه وأصبح تركه يسبب له اضطرابًا في الهضم؛ ومما أذكر من اعتياد جسمه عليه أنّه عندما كان منومًا في مستشفى الملك خالد للعيون وعمره بحدود ٧٠ سنة ولم يكن من طعام المستشفى المقدم للمرضى لم يكن منه التمر فبقي أيامًا من غير أن يتناوله فأصابه رحمه الله. إمساك فأحضرت له تمرًا وأذكر أنّ موسمًا جديدا في بدايته فأكل منه فانتظم هضمه ولله الحمد ، وكان جارنا وصاحبه سليمان بن حماد الشبل. رحمه الله. يبادر أبي بإهداء بواكير الرطب، فقد كان لديه نخلة من نوع أم الحمام في بيته في حي المستغيثة، وكان يحضرها له بنفسه إلى بيتنا .

عودة لوصف البيت وفي المصباح شرقًا درج السطح العلوي وبالسطح منفوح وهو غرفة لها ثلاثة جدران فقط وتكون مستودعًا للفرش ، ومكانًا للنوم وقت تبدُّل الفصول

، ويوضع بها التمر بعد نشره بالشمس لأنّ من لوازم كنزه نشره بالشمس مدة ليجف إن كان رطبا .

وفي الصيف يكون النوم في السطوح ويكون إعداد الفراش قبيل المغرب . ونصحب معنا في السطح قربةً صغيرة تعلق في الكِلّة[بكاف مكسورة فلام مشددة فتاء مربوطة] وهي الوتد المغروس فوق الجدار وتختلف عن الوتد بهيئتها ومكانها ؛ فالوتد يكون غرسه في أصل الجدار من أعلى قريبا من نهاية الجدار ، والكِلَّة تكون فوق الجدار ويتجه طرفها إلى أعلى أما الوتد يتجه طرفه إلى الداخل ، والوتد يكون عرضه بقدر استدارة الإبهام مع الوسطى وأعلاه أقل استدارة من أسفله ، والكِلَّة لها استدارة صغيرة طرفها مدبب وتحت هذا مباشرة تصغر الاستدارة وهي من الأعلى تشبه الشمسية التي يتقى بها المطر وحرارة الشمس ،واستخدام الوتد للتعليق والكِلَّة لمد الحبال في السطوح من جهة إلى أخرى . وطولهما متقارب هو بحدود ثلاثين سنتي ، ويغرس منهما في الجدار ما يزيد قليلا

عن خمس سنتي ؛ والحديث عن النوم يفضي إلى تدوين ما كنا نجده بعد النوم من أثر على العين وهو الجحام ،ونطقها في الدراجة «اجْحام» : وهي بجيم وحاء مفتوحتين ثم ألف فميم،وهو انتفاخ يصيب جفن العين وأظن أنَّ سببه دبيب أحد الهوام على العين أثناء النوم، وكنا نعالجه بإلصاق قشة من التبن، والتبن هو الأعواد المتخلفة بعد أن يُذرى الزرع، ويبدو أنها ليست هي سبب الشفاء لكنها توضع لمنع حك الموضع ،ولذلك جاء واحد من الأمثال التي تقال للشخص الذي لا نفع فيه (فلان مثل التبنة على الجحام) أي أنه يوهم الناس بالانتفاع به وهو على خلاف ذلك ومما يكون على العينين «الغمص» : بغينٍ وميم مفتوحتين ثم صاد وهو ما يتكون على العين من إفرازات تؤدي إلى التصاق الأجفان .

وأما المشق : وهو ميم وشين مفتوحتين فقاف، فهو تشقق ظاهر اليد والخدود ونتيجة الجفاف وشدة البرد في الشتاء وقلة الدهون في الجسم، وكان القادر من

الناس يخففه بدهان الفازلين، واللكمة : لام مفتوحة فكاف ساكنة فتاء مربوطة وهي جرح في أحد أصابع القدم ، وتنطق كافها بالكسكسة، ومن الجاري بين الصبية أنَّ علاجها ببول صاحبها عليها ، وتحدث اللكمة بسبب عدم الانتعال، ومما يحدث أيضًا الرّهَصة وهي ورم يكو في باطن القدم ،ويقولون فلان: « مُحَرْول » : أي معاق عن المشي، « صعرور » بصاد مفتوحة وعين ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ، وهو ورم يكون في الجبهة نتيجة ارتطامها بشيئ صلب .

ومن السطوح تخرج المثاعب وهي المزاريب التي تتصرف منها مياه الأمطار ،وإذا تسرب الماء من اللسان الداخل للمزراب على الجدار فإنّه يحدث في الجدار تجويفًا وعيبًا يسمى الجدار في هذه الحال [مِنْخَاشًا] وإذا خشي والدي-عليه رحمة الله ورضوانه-من الواكف وهو ما يتسرب من المطر من السقف إلى ما تحته . إذا خشي من هذا فإن العلاج أن يقوم-جزاه الله الجنة-بالمرور على

الجزء الذي وكف منه الماء فيطأه مرارًا بقدمه، يفعل هذا في شدة البرد وشدة هطول المطر ويواصل حتى يلتئم الطين بعضه ببعض يطأه مرارًا وحسب التجربة التي أعرفها وطبقتها مع والدي فإن الواكف يتوقف بعد هذه العملية.

ومن الدلالات التي نستدل بها على كثافة السيول أن يقول أحدنا لصاحبه [تلاقت المثاعب] أي أنّ ما صرفه مثعبنا التقى بما يقابله من مثعب الجيران وهذا دليل على كثرة السيول المنصبة من السطوح.

وهناك طريقة أخرى لتصريف سيول السطوح وذلك بشق مجرى صغير في أصل الجدار من أعلى ثم وضع الجص لمنع السيل من التأثير في الجدار وهناك تصريف آخر للماء ويكون في الأفنية واسم قناة التصريف هنا مِطْلاع وهو فتحة تكون في أسفل السور والفرق بين المطلاع والمثعب أنّ المطلاع يصرّف الماء من التجمعات الأرضية والمثعب من التجمعات العلوية.

ومن الأمثال التي يضربها أهلنا للمطلاع قولهم: [من يصيد كلب بمطلاع] وذلك أنّ الكلاب كانت تعيش قريبا من المدينة وقد تدخل المنازل، فإذا طارده أهل البيت وهمَّ بالخروج فقد لايجد إلا المطلاع فيدخل فيه ولكن المخرج يستعصي عليه فيبقى لا هو خارج ولا داخل . عندها يُسقط بيده فيتمكنون منه وهذا الأمر نادر الحدوث ؛ والمثال السابق يقال عند تمكنك من أمرعز التمكن منه . وكذلك يقال في الأمر الذي يندر تكرره .

وأفصل لك بهذه السانحة الفكرية وهي متعلقةٌ بشيء من ضوابط رسائل المناصحة، ثم تكون العودة إلى التاريخ الاجتماعي .

وهناك جندٌ خفي إن تقدمتَ به منا صحتك فهو أكرم وأمنَّ ، ألا وإنه الدعاء بظهر الغيب لمن تريد منا صحته؛ فهو توطئةٌ مؤكدة النجاح يتهيئ بها قلب صاحبك للقبول من حيث لا يحتسب . ومن هذه الضوابط .

* افتتاح الرسالة بما يكون مغريا في قراءتها فلا تفتتحها

بتهجم أو تحقير أو تسفيه رأي .

* أن تكون على ثقة من وجود الأمر الذي تريد النصح من أجله .

* أن تكون على دراية بالمنصوح من أنه من الذين ينقادون ولا يكابرون. ولكل من هذين ما يناسبه ؛ فمن من كان من ذوي الانقياد والمساهلة فهذا تربته خصبة ويكفيها من النصيحة طَلُها وذهب المعز لا سيفه، ومن كان معروفًا باللجاج والمكابرة فالأمر معه يحتاج إلى تروٍ بالعبارة فتختار له القوارع مظهرًا له سيف المعز لا ذهبه .

* لا يظهر في الرسالة شماتة من أمر ما ولا استعلاء من الناصح أو تقليلٍ من قيمة المنصوح .

* أن تكون هناك موازنات في ثنايا الرسالة بين مواقف وآراء .

* إذا كانت الرسالة ستتضمن مجموعة نقاط فابدأ بما ترى أنها النقطة الأخف والأسرع قبولا .

*إن اضطررت إلى التعنيف فليكن هذا في وسط الرسالة فلا تبدأ ولا تختم به ؛ فالبدء به يقبض النفس ويجعل منصوحك مجمعًا قواه على الرفض،وختامها بالتعنيف ينقض ما حصل من قناعة، ويجعله ينهي قراءته بنفور متأهبًا للرد والانتصاف لنفسه ،وإن كان التعنيف على أكثر من نقطة فلا تجعله متتابعا .

* إن كنت على دراية من أنه ينطلق من عمله من مسوغ ما فبين له بيانًا شافيًا خطأ هذا المسوغ ،ثم اشفع رأيك ببديلٍ يغريه بترك ما تراه خطأً .

*من دواعي القبول أن تشير في رسالتك إلى صواب رأيه الفلاني حتى يدرك أنك ملمٌّ بأمره ،وحتى لا تجعله يعيش دائرة الخطأ فقط ،أو أنك متصيدٌ لا ناصح .

* لا تدع ولا تكثر من الاستشهادات المؤيدة لرأيك ؛ فترك الاستشهاد يقلل من سرعة الاستجابة والإكثار ممل ، وهناك فرق بين الاستشهاد والتنويع ،فقال الله ثم قال رسوله صلى

الله عليه وسلم ،ثم قال الشاعر والحكيم ،والأمثال العربية وإيراد قصة أو الإشارة إليها تهيئ النفس للقبول .

* لا تخلط بين رسائل المناصحة ورسائل الاستعطاف، وأسلوب الملاينة يختلف عن أسلوب الاستعطاف؛ فالاستعطاف فيه شائبة ذل واستجداء لأنك تطلب حاجة لك ،والملاينة فيها إثارة واستدعاءٌ للقبول من غير أن يشار فيها لأمر تطلبه لك لمنفعة تخصك أنت .

* لا تبالغ في مدح المنصوح ،وتجنب الثناء عليه بما يعلم أنه ليس فيه .

*يجب أن تكون قناعته نابعة من قوة دليلك وصواب رأيك ،لا أن تكون تلك القناعة بدافع العاطفة ؛ لأنه من السهل والحال تلك أن يعود إذا هدأت عاطفته .

* ذكّره بأمثلة لمن كانوا على شاكلته،وهذا من فوائد القصصِ القرآني ،مشيرا إلى سوء عاقبة من بقي ونجاةِ من أقلع فأفلح .

* إذا كنت قادرًا على إيقاع العقوبة فلوح بها تلويحا ، ولا تتوعد إن كان يعرف أنك لا تستطيع فإنَّ هذا يستصغرك عنده ،ويكون سببا في رفض المناصحة .

*رغبَّه في القبول دافعًا عنه خوف المذلة أو خشية كلام الناس ،هذا إن كنت تناصح من عُرف عنه بين الناس سبب المناصحة .

* المقصود بسيف المعز وذهبه الإشارة إلى بيت أحمد شوقي رحمه الله:

يُفتَى على ذهب المعز وسيفه

وهوى النفوس وحقدها الملحاح

وأقصد بالذهب الملاينة والملاطفة وبالسيف الشدة لمن أبى .

* وإن كانت المناصحة موجهةً إلى ذي سلطة وولاية فخاطبه بلقبه ولا تجعل دعاءه كدعاء غيره من الناس ،كما

قال الله جل وعز عن أخوة يوسف حيث نادوه: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ (٨٨) سورة يوسف، ولا تثقل، ولا تكثر عليه الزهادة في الدنيا والولاية فلو زهد جميع الناس بها فلن نجد واليا يقوم بشأن الناس ،ولكن عرفه أنَّ الولاية من مجاني الحسنات ومن منا بت الأشواك .

*من أوجب موجبات قبول المناصحة أن تخلو تمامًا من أي غرض دنوي خاص بك .

*أن تذكره بالحرص على الأكفأ أو الكفؤ في تولية من دونك من المسؤولين ؛ لأنك إن وليت الأكفأ كفاك وأعانك وذبَّ عنك ورفع ذكرك ،وإن اختصصت بالولاية الأضعف ـ لئلا يعتلي عليك وأدنيت الأحظى بمشاعرك بعقلك فقد أثقلت على نفسك وضاعفت همك . ولففت على عنقك حبل التشهير والشؤم بدل السعد وعلو الذكر .

* اجعل شعارك ودثارك قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق

عليه، ومن ولي أمر أمتي فرفق بهم فارفق به ﴾ . فهو أمر ترجف له القلوب السليمة

المليئة بمراقبة الملك الديان ،وتفرح به النفوس المشتاقة لأَنَّ الولاية مرتع خصب مخصب وعين ثرارة لمن أحسن القيام بحقها .

* إن كانت لك يدٌ ومعروفٌ عليه فتجنب تذكيره به أولإشارة إليه لئلا يجعل قبول المناصحة مكافأةً على تلك اليد فيضعَ أثرها .

* اختم له بالدعاء له .

وعودة إلى الاستعداد للنوم فقد كنت أحيانًا آخذ الفرش من المنفوح وأفرشها وكم كنت استمتع وأنا أحمل الفراش على ظهري لما أجده من إحساس بالقوة وكانت سني قريبا من العاشرة . وأظن أني أحس بهذه القوة لأني أتخيل ذلك الرجل القوي الذي أعرفه في السوق يحمل الكيس الثقيل على ظهره قريبا من مائة كيلو فينقله من

مكان إلى مكان بخفة وسهولة، فكنت اتقمص شخصيته، وأحدث نفسي بأني كبرت وصرت مثله في القوة، وهذا الرجل اسمه عمر العودة رحمه الله.

والتطلع إلى القوة يذكرني بالبحث عن اكتساب المحمدة من الأقران وهذا بما كنا نفعله من إيذاء بدني لأنفسنا وهو ما كنا نسميه [القَدْحة] وصفتها: أن يقوم الفتى بلف قطعة من القماش بطول وعرض إصبع اليد ثم يوقد أعلاها بعد أن يكون وضعها على أحد ذراعيه أو هبرة ساقه والأتراب يحيطون به ويدعها تحترق حتى تصل شدة حرارتها إلى جلده فمنا من يبعدها ويكتفي بصهر الطبقة العليا من الجسم وأما الصبور الفذ ! -حسب العرف - فإنّه يدعها تحترق حتى تنطفيء على جلده فيَحْدثُ في مكانها انتفاخ وحرق فيقوم هذا الشجاع الصبور ! بإزالة هذا الانتفاخ بظفره ويضع فوقه الرماد المتبقي من هذه الفتيلة ليلتئم الجرح. وهذا الرماد اسمه طَفْوٌ، ومن عجب العجب أنَّ هذه الجروح تسيل دما وتمتلأ قيحا ولا يخطر

ببال أي منا أن يذهب للطبيب على ندرته.

أتدري لِم نقوم بهذا ؟ إننا نفعله اعتقادًا منا بأنّ هذا يساعدنا على ثبات اليد عند الرمي وأنه مما يعين على الدقة في إصابة الهدف. ومن العجيب أننا نفعل هذا بمرأى من آبائنا ولا ينهوننا عنه بل كأنّهم فرحون بأن يخرج من أصلابهم من يشار إليه بقوة التحمل والمغامرة فهم يباركون لنا هذا العمل بسكوتهم عنا.

وعن استمتاعنا بالمغامرة أننا ونحن في العقد الثاني من أعمارنا نخرج في رحلات برية مع أصحابنا تمتد أيامًا وليالي في البر، ولشح السيارات كنا نستأجر سيارة توصلنا إلى حيث نريد ثم يتركنا في هذا المكان النائي ويعود إلينا بعد المدة التي نتفق معه عليها. ومما سنح ذكره هنا أن أقول لك إننا في عام ١٣٩١هـ وعمري ١٧عامًا حين كنا طلابا في المعهد العلمي استأجرنا سيارة من نوع فورد وهذا النوع من السيارات هو الذي يشبع ويتناسب مع روح المغامرة التي بين جوانحنا وأظنه موديل [١٩٦٦] والسائق

فلان المسند نسيت اسمه الأول، فلما وصلنا إلى المكان المحدد أفرغنا أمتعتنا من السيارة وعاد السائق إلى البلد [عنيزة] حسب المتفق عليه معه، وعندما حان وقت العودة ضل الطريق فبقينا إلى وقت متأخر من الليل ونحن بين قلق على السائق وفرح بأننا أهلنا سيسمحون لنا بالغياب عن الدراسة غداً . وكان موقع الرحلة في الغميس في الجنوب الغربي من عنيزة . وهو كثبان رملية مليئة بأشجار الغضا .

وأماكن الغميس له مسميات تميزها كأسماء الأحياء في المدن، واسم الموقع[نُفْرَة]ومن هذه المسميات: المغيسلية، الجراحية، نفرة الجن، بطن الحصان، أم العقارب، نفرة حُميّد ، الجندلية، خب النعام، البراكية، عرق الحوشاني، السَمراء ، البسيتين . وهناك مسميات غيرما ذكرت لك .

نقرة خالد

ومن المسميات المستحدثة موقع يتصل بعرق الحوشاني كنا نتخذه مقرًا لخيامنا، وكان أحد زملائنا وهو خالد بن عبد الله الخنيني أبو شاهر له زملاء من نادي النجمة وكانوا يمرون علينا يسمرون معنا، ومقرهم شرقا عنا وإذا أرادوا السمر معنا يقولون لبعضهم سنذهب إلى نقرة خالد الخنيني وربعه، ثم اختصروا وقالوا نقرة خالد الخنيني، ثم قالوا نقرة خالد، فأصبحت بعد هذا تسمى نقرة خالد .

وفي رحلةٍ من رحلاتنا . وأظنها في عيد الأضحى من عام ١٣٩٢هـ . وكان من المعتاد أن توقد كل مجموعة شعلة تكون علامة على وجود خيام تحت هذا الكثيب . وموعد الإيقاد قبيل المغرب، فقام أحد الزملاء، وأخذ قليلا من البنزين لإيقاد الشعلة وكانت تختزن جمرًا من الليلة الماضية فلما وصلها البنزين اشتعلت بقوة، وكانت

ثيابه مبللة بقليل من البنزين فأسرعتْ إليها النار فالتهمت ملابسه ونالت بعضًا من جسمه،ومع هذا فقد أحسن التصرف حيث اتجه ألينا في مخيمنا تحت الكثيب ولم يجر بالجهة المقابلة، كان أقربنا له هو زميلنا / محمد بن صالح الرُّمَخ . وكان تصرفه ذكيا أيضا فاعترض له بقدمه وعرقله حتى يسقط على الأرض حتى لا يستمر في جريه فيزيد الهواء من احتراقه، فلما سقط أطفأنا النار وكانت الإصابة خفيفة ولله الحمد . ومع ندرة السيارات مع الشباب في ذلك الوقت إلا أنه من لطف الله كان زميلنا عبد الله السليمان العطية ضيفًا علينا في تلك الساعة ومعه سيارة [داتسون] فحملناه إلى المستشفى ومن ثم إلى بيتهم

وفي إحدى رحلاتنا في الغميس احترقت واحدة من خيامنا ،ومن الطريف أننا علقنا بداخلها نصف خروف فلما أطفأنا النار وجدنا الخروف مشويا جاهزا للأكل فأكلناه متناسين هم خسارة الخيمة والفرش .

وأبقى معك في الغميس لأحدثك عن طرفه الجنوبي فهو مراتع واسعة خصبة تبهج العين والنفس أوقات الربيع وهي منطقة الشُقيَّقة. وهذا منطقة مراعٍ لأهل عنيزة خاصة وثارت فيها قديمًا أكثر من معركة بيًن أهل عنيزة وبين من يحاول الرعي بها عنوة تنتهي بطرد وإجلاء الغريب ،وأحد أشياخ العشائر المعتدية انهزم ويقال إنّه دخل إلى عنيزة يحبو على يديه ورجليه من الذل وآخر لم يتوقف عن الهرب إلا حين وصل إلى ضرية التي تقع عن عنيزة غربًا بمسافة لا تقل عن مائة كيلومتر.

ومما يذكر عن هذه المنطقة أنّها مما دارت به بعض المعارك بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في حروب الردة.

صاحبنا العجيب

ومما يذكر من السوانح أن أُسمعَك حكاية صاحب عجيب،وهو أسنًّ منا قليلا، أحدثك عما يفعله فكنًا

في بعض الأحيان نتسامر أول الليل - قبل انتشار الكهرباء، نتسامر على ضوء السرج التي وضعتها البلدية في أول إنشائها نتسامر في قبة الحريول وهي قريبة من بيتنا في حارة أم حمار وهي أول القبب في سوق البويحة من الناحية الشرقية ويخرج منها جنوبا سوقٌ سدٌ أي لا منفذ له إلا مدخله فكان هذا الصديق يدخل ليلاً في هذا الممر المظلم ويدير حواراً مع أحدٍ يتخيل وجوده فنسمعه وهو يحدّث المحاورَ المتوهم ويتصنع الاختلاف معه وكأن كلاً منهما يريد إقناع صاحبه بأمرما ويرفع ويخفض صوته ليؤكد لنا حدة النقاش بينهما وربما ضحك بصوت مسموع، وافتعل حركة كأن يخبط الأرض أو يصفق بيديه؛ وأظن أنّه يفعل هذا زاعمًا أنّه يحدث الجان أو ليرينا جسارته وأنّه لا يخاف الظلام منفردًا به. ومن الطريف أنَّ هذا الصاحب أكمل دراسته الجامعية متخصصا في علم النفس وشغل وظيفته في إحدى المستشفيات الكبيرة، فهل لتلك المحاورات أيام طفولته تأثير لاشعوري في تكوينه وتحديد تخصصه؟ الله أعلم.

والحديث عن الجان والرواصيد مما كان شائعًا في ذلك الزمان، والرواصيد هي الثعابين التي كان الناس يعتقدون أنّها ترصد وتحفظ كنزا مدفونا . وبعد القبة قليلا يتفرع شمالاً ممرٌ طويل اسمه سوق القْعَرة ويتجه شمالا حتى يتصل بالسوق المؤدي إلى سوق العُفَينة وهي محلة تجارية عامرة تحفها دكاكين كثيرة .

ومن أصحاب الدكاكين الذين بقوا في الذاكرة وليس هذا استقصاءً لهم عليهم رحمة الله . فمنهم عثمان الربيعة وصالح السويداني وعلي العيد وعلي الملاح وعبدالرحمن القرزعي وعبدالكريم المُـنيِّع وبريكان . وعلي الغشام . وعبدالرحمن العقيل وعبدالعزيز الصليع وإبراهيم الصانع وحمد المنيصير وعلي الصويان وعبد الله العُلَيان وصالح أباالخيل وسليمان المعتاز و صالح الرحياني وصالح العايد وعلي العليوي و والدي عبدالله العُمري وعبدالله اليهق وعبدالله العجروش وعبدالله الفياض وإبراهيم المنصور ،وهومن معلمي القرآن الكريم في حلقات المساجد

وإبراهيم المطلق ومحمد المغيولي وسبيت السبيت وحسن العلي البريكان والشريّف وصالح الراجحي وهو متخصص في خلع الأسنان وكان يقع أمام دكاننا وقد رأيته مرة يخلع سنًا أوضرسا لرجل فاستعصى خلع السن فشده بقوة فوقف الرجل وهو يصرخ من شدة الألم.

ومن أصحاب الدكاكين العَقيلي يبيع الملابس و العُقيلي يبيع الحبوب وعبدالمحسن الجنيني وصالح الخليفي وحمد المرزقي وعبدالرحمن الفراج وعبدالعزيزالفهاد ومحمدالخميس وابن شوشان وصالح الخويطروعلي البويدي؛ وصالح الدهش وناصراليهق، وعبدالله السَليم، والخليل .

ومن الباعة المتجولين. سليمان الصوينع وصالح الصقهان وعلي الغرّاَف وفزّاع وأبو خلف و علي الضاوي، وناصرالحميدان،وعبد الله البراهيم البطحي ، ومنهم أبو مالك ، وحمد البهيجان وفهد العطاالله وهؤلاء الثلاثةأكفّاء . على الجميع رحمة الله ورضوانه .

وإليك هذه السانحة عن الدكاكين وهي تتعلق بالمفتاح وهو مصنوع من الخشب على هيئة مشابهة تمامًا لفرشة الأسنان، وأسنانه تشبه الأعواد التي تُخَلل بها الأسنان بعد الأكل، وإذا فقد المفتاح أو تلفت أسنانه فالطريقة المتبعة لتحديث الأسنان أن نبلل قاعدتها ثم ندخلها بالمجرى ملاصقًا لمكان الأسنان فنقوم بتحريك المجرى فيقع الغبار على المفتاح على مواضع الأسنان فنذهب به إل النجار فيضع الأسنان على النقاط التي وقع عليها الغبار.

والمِجْرى هو اللسان الخشبي الذي به يُحكَم إغلاق الباب ويدخل هذا اللسان في تجويف عن يسار إو عن يمين الباب وهذا التجويف يكون منقورا بالسارية وهي قطعة طولها بطول الباب وعرضها عرض الجدار وسمكها قريب من عشر سم وهي مصنوعة من صخور الكثان وهو أقل صلابة من الصخر المعروف. والكثان أظنه هو المسمى [يرمع] في اللغة العربية؛ لأنَّ اليرمع هي الحجارة الرخوة، و الكثان كذلك إذا قيس بصلابة الصفا ونحوه.

انبهار البوقري

ذكر لي الوالد أنّ ابن سليمان. على الجميع رحمة الله. عندما زار عنيزة مر على السوق وكان معه البوقري وهو من كبار تجار مكة المكرمة فحين وصلوا إلى سوق الهفوف هاله ما رأى من حركة تجارية خاصة في الأقمشة وقال: أظن أن من أسباب رخص الأسعار في مكة ما يصل إلينا من عنيزة.

الحال العلمية للإنسان

إذا كان فيها متنقلاً من بدأٍ إلى بدأ، فيبدأ بمشروع علمي ثم يدعه لأنه خطر بذهنه مشروعٌ آخر، ثم يدعهماً ويبدأ بثالث فهو هنا لن ينجزَ وستتفارط أيامه ولن يجد في أوراقه إلا بدأ بعد بدأ، وهذا النهج هو كما تقول العرب: «من تتبع بُنيَّات الطريق» أي أنَّ الإنسان يجري خلف كل ما يعرض له، ولكن المنهج الصحيح أن يدون ما يخطر عليه حتى إذا أنهى ما هو فيه عاد للمدارسة والتدوين.

عودة إلى بداية السوانح

وكان ترتيبي لأختي هو الرابع فقد سبقتني ثلاث بنات توفيت اثنتان صغيرتين، مضاوي ولولوة الأولى شفع الله بهما وبقيت كبراهن[نورة] متعها الله بالصحة والعافية .

ومن سوانحي معها مماراتها لي حين كانت تقول وهي تدير مروحة النار والأبريق عليها فكانت ذات يوم تعد الشاي على النار ونحن في بيت الشبيلي الذي كان ملاصقا لبيتنا من الجهة الشرقية فاستأجره وأضافه والدي رحمه الله إلى بيتنا وأدخل عليه بعض التعديلات وكان [الستاد أي معلم البناء] الذي تولى عملية التعديل هو حمد الصليع عليه رحمة الله . أعود إلى اختي نورة فقد كانت تدير المروحة بقوة وهي تقول هل تتحداني أن استمر في إدارتها حتى يفوح الأبريق ؟ تقول هذا لتستعرض علي قوتها ! وأظن هدا في عام ١٣٨١هـ وهي من مواليد ١٣٦٦هـ

بعد الولادة عادت والدتي إلى منزلنا .عليها رحمة الله ورضوانه ، ومنزلنا في حارة أم حمار جنوب حارة أخوالي .

سانحة فكرية ثم العودة إلى حارة أم حمار:

حين تتشدد فرقة من الناس في تبني جانب من جوانب الشرع، ثم تجعله من الدين هو مناط الولاء والبراء وتراه الركن الركين ،وتناوئ كل من خالفها ،ثم يتولد من هذا التشدد تفريطُها بجانب آخر هو من الشرع عِدْلٌ لما ذهبت إليه فتهمله، ثم يتضرر أناس من هذا ، فإنَّ المحصَّل من هذا هو تولُّد فرقة أخرى فتتمسك بالجانب الذي فرَّطت به الفرقة الأولى وتجعله في المنزلة من الدين كما جعلت الأولى، ثم تأخذ الناس على هذا حتى تأتيَ من بين هذا الفرقة طائفةٌ يرون مؤاخذاتٍ في تطبيق منهج الفرقة الثانية فيَستُلُّون جانبًا مما تدعو إليه، ويدعون الناس إليه ، فتنبت فرقة ثالثة، وهكذا تتولد الفرق، هذه حالها في كل قرن وزمان ، وأقول لك إنَّ مبعث هذه الحروف وإن كان عن الفرق الدينية، إلا أنه يشمل ما سواها ، لكنه في الأدب والاقتصاد والتربية ونحوها يسمى مدارس أو

مذاهب ، والأمر فيه لا يصل إلى إحداث فُرقة بين عموم الناس أو تنافر؛ لأنَّ الأدب وما بعده ليس له وزن الدين في قلوب الجميع، وهذه هي حال البشر مؤمنهم وكافرهم، فحتى الأمم الكافرة تجد أنها تتولد بينها الملل والمذاهب بالتضاد، والله ولي الأمر، وهكذا تتولد الفرق ولكن السعيد من كان من الفرقة الناجية ، التي جاء فيها :

(قالوا: يا رسول الله، من الفرقةُ الناجية؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) جعلنا الله منهم .

وحين أسمع أنَّ الطريق المستقيم لحياة المسلم هو أن يكون على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه صحابته رضوان الله عليهم أجمعين وألحقني وإياك بهم ،ثم أرى سعة الهوة بين أفراد الأمة الذين يتنازعون هذه المنزلة ، وأرى كثرة الفِرَق وما بينها من الاختلاف ، ومع هذا فكلٌ ينسب نفسه إلى هذا المنهج ويرى أنه عليه ، مع ما بينهم من التضاد والتصاد والتدابر

أقـول حـين أسمـع وأرى فإنـي أقـول : مـن هـم الذيـن نجزم أو على الأقل نميل إلى أنهم هـم الذين على ما كان عليه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وصحابته رضي الله عنهم ؟ أو مـن هـم الأقـرب مـن غيرهـم إلى تلـك الغايـة ؟ .

وقـع في نفسـي ـ والعلـم عنـد الله ـ أنَّ تلـك الإجابـة تقتضـي تقصيَ حيـاة رسـول الله عليـه الصلاة والسـلام بـكل دقائقهـا وتفصيلاتهـا لنصـل إلى : « مـن كان على مثـل مـا أنـا عليـه اليوم وأصحابي» ثم تُعرض عليها حياة المسلم فالأمر ليـس أمانـي ولا دعـاوى ولا تزكيـة نفـس ؛ فبوسـع الناصـح المسـتبرئ لدينه أن يعرض نفسـه على سـيرته صلى الله عليه وسـلم ، وهـذا يتطلب إيرادَ أسـئلةٍ كثرةٍ جدًا دقيقـةٍ جـدًا شـاملةٍ جـدًا ، وكلُ سـؤالٍ يشـير إلى جـزءٍ مـن حياتـه صلـى الله عليـه وسـلم ؛ منـه يسـتطيع الموفـق الكيّسُ الفطـنُ أن يتبينُ مسـاره وأيـن هـو مـن هـذه الفرقـة الناجيـة . فبقـدر مـا يكون معـه مـن حـظ الاتّبـاع وصوابـه يكون قربـه أو بعـده مـن هـذه الفرقـة ، وهـذه الفِرقـة لا شـك مبثوثـة على الأمـة وليـس

لهم صفة الطائفة المميزة التي تحمل مسمى محددا ،وهذا يؤيده قول الإمام مالك رحمه الله: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به» ثم أقول: تشدد في مراقبة النفس ، والله يتولاني وإياك .

أعود بك إلى حارة أم حمار ،وسمعت عن سبب تسميتها بهذا الاسم أنّ حمارًا وقع في بئرها ، وهناك من يقول إنها فلاحة قديمة ويسنى بها على حمار ، وهناك من قال إنَّ أصلها لعائلة المشيقح قدموا من شقراء ولهم هناك فلاحة بهذا الاسم ونقلوا الاسم معهم إلى عنيزة ،؛وهي من الحارات القديمة، ومسجدها بني في مطلع القرن الحادي عشر بناه حمد القاضي رحمه لله هذا ما رواه لي الشيخ محمد العثمان القاضي رحمه الله؛ وبينها وبين باب شارخ مجيلس أم حمار وهوقبة بجانبيها مقاعد من حصى يجلس بها بعض أصحاب الحارة لتبادل الأحاديث ثم سوق الخراز فحارة المندسة وفلاحة السكيتية وشيء من فلاحة الخياط. وهذا عنها من الجهة الشرقية . و فلاحة الخياط

هي من أملاك علي بن رشيد الخياط عليه رحمة الله . [راعي البندق] . المعروف عند الناس بقصيدته الشهيرة في عنيزة وقالها ١٢٧٠هـ . التي منها :

يادارنا لاترهبي يومك سعيد

حنا حماة الدار شب اشعالها

هذي عنيزة مانبيعه بالزهيد

لافرعن البيض نحمي جالها

دونك ودون الغيد مخضر الجريد

تروي من الضد الحريب اسلالها

ياما ذبحنا دون غضاتٍ تميد

جنايز ترمى ولا احد شالها

وهي قصيدة طويلة من أهازيج العرضة الحربية، وأهازيج العرضة أشعارها فيها مخاطبة للرجولة ومكامن النخوة وهي أشعار تستجيش سامعها ؛ ولايرد في هذا الفن من الشعر إلا العفة ومايثير ويثبت عند اللقاء .

وعن سبب تسمية باب شارخ بهذا الاسم فقد سمعت ممن هم أسنُ مني ويروونه عمن قبلهم أنّه مسمى باسم رجل من أهل الرس اسمه شارخ قدم إلى عنيزة لإصلاح ما شجر بين أهل الخريزة وأهل العقيلية فأناخ ركابه في هذا المكان فتسمى به.

اكتب ما تراه صوابًا

معينًا على بياض صحيفتك يوم اللقاء ولا يذعَرْك عن هذا حسدُ حاسد أو تنقصُ شامت فسيأتي بعد حين في حياتك أو بعد موتك من ليس بينه وبينك إلا رحمُ العلم، وسيناصر ما كتبت لأنك كتبت حقًا وليس في نفسه عليك شيءٌ مما وجده معاصروك، وهذا مجربٌ مستفيض في كثيرٍ من السير التي مرت على هذه البسيطة، ولستَ بدعًا منهم.

ويتفرع من حارة أم حمار غربا حارة البويحة تصغير الباحة وهي حارة كثيرة القبب وقد هدمت عام ١٣٨٦/١٣٨٥هـ وأذكر منها الآن. وأنا في ربيع الآخر من عام ١٤٣١هـ ست قبب بقيت في ذهني وقد يكون عددها أكثر، والقبة رابط بين منزلين يستفيد منه أحدهما وتكون منفعةً للبيت وظلا للمار والجالس، يقرب منها في العرف الحالي مسمى الجسر إلا أنه ليست ممرًا، وقد أندثرت هذه القباب حتى مع المباني الطينية التي تتسع شوارعها ومنازلها لأنّها كانت تبنى ليتسع المنزل ولأن الشوارع ضيقة ضيقًا يسمح بوصل المنازل بعضها ببعض ، وقال الشيخ محمد بن ناصر العبودي إنهم كانوا يحددون سعة الطريق الذي بين المباني ليسع تقابل حملي بعيرين من الحطب، . والقبة هي المعروفة قديما بالساباط. وهي غير السِباطة التي هي الكناسة.

ويتفرع من وسطها شمالا ممرٌ طويلٌ مظلمٌ ضيق سقفه أقل ارتفاعًا من المعهود . لايكاد يتسع عرضه لاثنين واسمه

سوق الفايزين وعندما ينتهي يتسع فيتصل بباعة العيش وأولهم صالح الراجحي رحمهم الله، ثم ينتهي بقرب مسجد المسوكف. وأمام المسجد محلات أغلب أصحابها يبيعون العيش [القمح].

وهذه سانحةٌ من سوانح الفكر ثم عودة إلى مسجد المسوكف: ولا غروأ ن تجدَ نوعَ جفاءٍ وتغير من ذوي رحمك الأخصِ الأدنى ،فإن كان الجفاء ممن عرفته بالبر والصلة فلا تعجل باللوم ولا يأخذك اليأس أو الأسى فقلوب ابن آدم كثيرة التقلب، واعلم أنها حالةٌ عارضة، ومن المجرَّب أن تترك هذا القريب وما رأى فالنفوس لها حاجات غريبة في بعض أحوالها ؛ إذ قد يكون مما زُيِّن لها في يومها هذا صدودٌ تغذى بخاطرِ سوءٍ خطر، فالنفس لها حظُ من التمرد على صاحبها وتريد الأخذ بهذا الحظ ، وقد يرى من سلك مسلك الجفاء أنه ترقَّى إلى غاية ذي رحم جفاك وجعلتك تُنزل من جفاك هذه المنزلة فهي تزِّين لهاً الجفاء ليأخذ نصيبه من تلك المنزلة ، لكنه لا يلبث أن

يعود لأن رشده لا يطاوعه على هذا ، فأعطه حظه ليعود أحسن مما كان ، فهو لا يلبث أن يعود إلى جميل عهده، وإن أنت عاجلت بالتثريب فقد تفطن النفس إلى ما هو أشد فتأخذ به ، ومن أنجح المعالجة لمثل هذه الحال أن لا تتغير أنت بما تحدثك به نفسك من الانتصاف ،واسلك مسلك الرفق مستحضرًا صفاء وده بالأمس ،ودع نفس صاحبك حتى ترى هي أنها أخذت حظها مما صبت إليه ،فهي حاجةٌ كغيرها من الحاجات كحاجة الأكل عند الجوع والنوم عند التعب .

وفي مسجد المسوكف حسو-يستقي منه بدلو من أراد الوضوء أو الاستحمام ، ويفرغ الماء من الدلو بالقرو، والقرو هو صخرة منقورة بتجويف ويطول ويقصر حسب الحاجة والمقدرة المادية وهذا القرو طوله قريبٌ من المترين وعرضه نصف متر وعمق تجويفه قريب من ثلاثين سنتي متر وخروج الماء منه يكون بواسطة بلبول يشبه الصنبور وهو عظم مجوف بمقدار الإصبع،وفي أعلى القرو ثقوب

توضع بها شرائح من الخِرَق تسد بها البلابيل [الصنابير] عند الانتهاء من الماء . وهناك قرو يكون بشكل مربع ٥٠X٥٠سم تقريبًا يوضع بمكان مرتفع عن سابقه ويستخدم ماؤه للاستحمام .

ويقع جنوبًا عن هذا المسجد حائطٌ صغير به نخل أكثر سقياه مما يفيض من ماء المسجد . ويقع عن المسجد شمالا دكاكين عامرة منها دكان لوالدي عليه رحمة الله ورضوانه، ويقع بجوارنا غربا دكان عبدالله بن محمد اليهق ومعروف ببيع البنادق وعتادها ،وعنا شرقًا دكان علي بن حمد العلوي . وبالجهة المقابلة دكان عبدالله العجروش، وهومؤذن المسجد ومن المعروفين بالنصح والإخلاص على الجميع رحمة الله ورضوانه .

تذكير الغافل

ومما يذكر حول السوق أنّ أحدثك عن رجل اسمه محمد بن عبدالله الحركان عليه رحمة الله فقد كان يخرج من

بيتهم الموجود في سوق ضيق يقع مقابل مسجد المسوكف ويسمى سوق الرحياني وهذا السوق هو الذي وُلد فيه ابن سليمان رجل الدولة أيام التأسيس على يد الملك عبد العزيز رحمهم الله، ومما يذكر حول توليته أنّ أخاه كان هو الوزير في أول الأمر فأصابه ثقل في السمع فطلب منه الملك عبد العزيز أن يشير عليه برجل آخر فوقع الاختيار عليه ونعم الاختيار فقد كان رجلا يجمع بين الذكاء والإخلاص .

أقول إنّ محمد الحر كان يخرج من بيته فإذا توسط السوق رفع صوته مذكرًا بالله ، ومما أحفظ من تذكيره قوله: لا إله إلا الله أفلح من ذكر الله وصلى على النبي يرددها أكثر من مرة ويمد بها صوته . فينبه غافلاً ويعين ذاكرًا ، وإنها لسنة حسنة أن يذكِّر الناس بعضهم بعضا وهم بأسواقهم فقد يأخذهم البيعَ والشراء فينسون ذكر الله . وكلمة [أفلح من ذكر الله وصلى على النبي] مما درجت عليه ألسنة الباعة عند ابتداء المزاد .

وتحت منارة مسجد المسوكف كان الناس الذين يبحثون عن عمل يجتمعون عندها فجرا .

وبعد هذا التوصيف سأنتقل بك إلى حارة البويحة، ولكن قبل هذا لعلي أروِّح عنك قليلاً بذكر هذه السانحة عن عجائب الفرج.

من عجائب الفرج

إن رجلاً من أهالي بريدة كانت زوجته تشكو من صداع طال عليها أَمَدُه واشتد ألمه ، وزارت كثيرًا من الأطباء وسافرت إلى نواحي كثيرة، فأشير عليه بأن هناك طبيبًا في الأردن قد تجد عنده ما يفيد ، فأخذ بهذا الرأي وسافر إلى الأردن ، وحين دخل البلاد أحب أن يستريح قليلا ويحتسي القهوة والشاي ، فبينما هو بعد ذلك أقبل عليه رجل فدعاه إلى القهوة التي بين يديه فجلس وبدأ الحديث بينهما ؛ فسأله الضيف عن سبب مجيئه فأخبره

بجال زوجته، فقال هل تأذن لي أن أراها ؟ فدعا الرجل زوجته وطلب منها الضيف أن تفتح فاها فلما رأى أسنانها قال إن الصداع بسبب هذا الضرس فاخلعوه تشفَ بإذن الله، أخذ هذا الرجل المشورة بالقبول ، فلما دخل الأردن سأل عن أقرب عيادة أسنان وحين دخل العيادة قال للطبيب اخلع هذا الضرس فنظر فيه فإذا هو سليم فأخبرهم فقال له نحن دخلنا العيادة لخلعه فلما رأى الطبيب إصرارهم خلعه،يقول محدثنا : على لسان زوج المرأة فخرج من مكان الضرس دمٌ أسود ثقيل وبعده بقليل أحست المرأة بالعافية وخرجنا من العيادة بكل خير .

يقول الرجل فعزمت على مكافأة ضيفي الذي أشار علي بهذا لكني لا أعرفه ولا أعرف وجهته، فكان من أمري أني ذهبت إلى المكان الذي قابلته فيه فلما ذهبت وجلست أعد القهوة فإذا هو يأتي إلي فدعوته للضيافة وأخبرته بما كان وشكرته وعرضت عليه أن يطلب مني ما أكافأه به فرفض فألحت عليه ، فقال إني أريد الحج

ولم أتمكن من هذا ،فطلبت منه اسمه كاملا وأسماء آخرين يريد أن يحجوا فأعطاني مجموعة أسماء فلما عدت إلى بريدة بعثت له بطلبه،لا أقول إلا سبحان من بيده مفاتيح الفرج فهذه المرأة ساق الله شفاءها من حيث لا تحتسب وهذا الرجل رزقه الله الحج من حيث لا يحتسب ،وعز من قال: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢) سورة البقرة.

ومن باب الرزق أذكر لك هذه السانحة: ولدتْ في فناء بيتنا قطة فتركناها في مكانها مع أولادها، وبدأنا نتعاهدها بالإطعام،كان المكان الذي ولدت فيه بجوار الباب من الداخل فكنا نراها داخلين خارجين ،وكانت حين ترى داخلا تأخذ بالمواء مستطعمة فنعطيها ما تيسر، وفي يوم الجمعة ١٤٤٠/٣/٢٩هـ عزمت أن أخرج لصلاة الجمعة من باب آخر حتى لا تراني فأتشاغل بها وأتأخر، فلما خرجت وركبت السيارة كان معي كأس شاي، فما كدت استوي راكبًا حتى وقع جزءٌ كبير من

الشاي على ثوبي،فاضطررت للدخول لغسله،فإذا القطة تراني فبدأت تقترب مني وهي تموء، عندها وقع في يقيني بأن له رزقًا مكتوبًا في هذه الساعة، وأنه لا سلطان لي على منعه، فأطعمتها ما تيسر ، فالأمر ليس بيدي بل هو بيد الرزاق ذي القوة المتين ، فمع أني لم أترك إطعامها بخلاً ولا استهانةً بهذا المخلوق الضعيف ، ومع أني تركتها متعجلاً إلى أحب الأعمال إلى الله إلا أن هذا لم يحرمها من رزقٍ كتبه الله لها فسبحان من لا يعزب عنه مثقال حبة في الأرض ولا في السماء ،وسبحان من رحمته وسعت كل شيئ ،وبعد مدة وحين كبر أبناؤها وبدأن يأكلن واستغنين عن الإرضاع هممنا بطردهن في يوم الأثنين ١٤٤٠/٥/٢٢ هـ لما حصل لنا من الإيذاء وحاولنا فلم نستطع فمنعنا عنهن الإطعام يوما واحدًا ،فلما خرجنا إلى فناء منزلنا فإذا هي قد اصطادت حمامة فأكلتها مع أبنائها ،فوقع في نفسي بأنَّ هذه رسالةٌ أخرى مفادها أنَّ رزقي ليس بأيديكم فإن أكرمتم ضيافتي فهو خيرٌ لكم وإلا بقيت في بيتكم ورزقي على خالقي وخالقكم .

أعـود إلى حـارة البويحة فهي تؤدي إلى سـوق مصعد المـؤدي إلى المجلـس وهـو محلـة عامـرة بالحركـة التجاريـة وتحيـط بهـا الدكاكين بشـكل دائـري، وقد شـهدتها ينشـط بهـا سـوق الأبـل أيـام الإضحـى. وفي المجلس يوجـد جامـع عنيزة الكبير المسمى جامع الجراح، أومسجد عبد الرزاق ، وهوعند كتابتي لهـذه السـطور يسـمى جامع الشـيخ ابـن عثيمـين رحمـه الله. وللمسـجد منـارة طينيـة قديمـة وهـي قائمـة الآن ١٤٣٦هـ وبناهـا ابن صويلح وذلك عـام ١٣٠٧هـ. ويقـول والـدي ١٣٣٧ ـ ١٤٢٦ هـ ـ رحمـه الله ـ إن أحـد الغربيـين الذيـن زاروا عنيـزة أعجبهـم هـذا المبـني فأحبـوا أن يسـألوا مـن قـام بـه فلمـا سـأله هـذا الرحالـة قائـلا: هـل تسـتطيع أن تبني أطول من هـذا ؟ قـال نعم ،فقـال لـه وكيـف تعمـل ؟ قـال ابـن صويلـح ـ رحمـه الله ـ : «أوسَّـع الديَّـر« يعـني القاعـدة ، وكذلك يقع جنوبًا عـن حـارة أم حمـار حـارة الحويطة. وهـي حـارة تحيـط بهـا المـزارع.

من المعاني التي ظهرت

لي من قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) أنَّ هذا المقدار لا يمكن تقدير ما أخذه من الزمن، فطرفة العين لا يُعلم مقدارُها، ولكنَّه مقدارٌ إن أُخذتَ به ـ عياذًا بالله ـ فمن الممكن أن يتسع إذا تركك الله وشأنك ووكلك إلى نفسك، فقد يكون مبدأ التخلية من الله هذا القدر اليسير الذي لا نستطيع مقادرة قلة وقته، ثم تتوالى عليك وساوس الشيطان حتى يتسع هذا المأخذ، فبالتخلية عنك تبدأ تسترسل لهمزات الشيطان ونفثاته حتى تصل إلى متسع وتتشعب بك المآخذ فتودي بحياتك كلها، فتخلِّي الله عنك يسلمك إلى الشيطان الذي لا حد لإغوائه، وبِهذا يتبين ضعف العبد وفاقته إلى حفظ الله له وأنه لا غنى له عن الله. (ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)

أُمْ خِمار أَمْ أُمْ حمار ؟

وحدثني والدي ـ رحمه الله ـ ١٣٣٧ ـ ١٤٢٦هـ يقول عندما كنا صبية ـ قلت : وأنا أقدّر تاريخ هذا الحدث بين عامي ١٣٤٥ ـ ١٣٤٨هـ لأنّ الوالدَ بعد هذا التاريخ انتقل لمرافقة جدي في المدينة المنورة عليهما رحمة الله ورضوانه . حدثني قائلا: ونحن صبية قدم رجل أعجمي يطوف في المساجد واعظًا ومرشداً رحمه الله . فبدأنا نجري خلفه في المساجد التي يعظ فيها فكان في أحد الأيام يعظ في مسجد حارة الهفوف، وهي من الحارات القديمة وتقع جنوبًا عن حارة القاع، وقد رأيت في وثيقة من وثائق عمي صالح « عم والدي» أنه يسمى أيضا الهفهوف، وهي مكتوبة عام ١٣١٧هـ وبالهفوف أسواق عامرة وعليها مضلة من الزنك وفي طرفها الجنوبي كان موقع أول دكان عرفته لوالدي عليه رحمة الله . وكان أمام دكاننا حسو ينتفع به الناس، والحسو واحد الأحساء وهي موارد المياه، وكانت بضاعتنا خليطًا من الأدوات المدرسية والحلاوة والأدوية كالفكس والمرهم .

أعـود إلى حديـث والـدي ـ رحمـه الله ـ عـن الرجـل الأعجمـي غفـرالله لـه حيـث قـال بعـدأن أنهـى موعظتـه قال:غـدًا سـيكون حديثنـا في مسـجد أم خمـار بالخـاء ومـن هـذا التاريـخ حـاول بعضهـم تسـمية الحـارة بهـذا الاسـم ،ورغـم تعاقب الأجيـال لم يسـتطعوا التغيير، وأنا أكتب هـذه الأسـطرفي ١٢/ بيـع الآخر/١٤٣١هـ . مـازال هـذا الأسـم باقيـا .

كان مـن رغبـة والـدي ونيتـه ـ رحمـه الله ـ أن لاأدخـل في المـدارس النظاميـة وهومع هـذا لا يريدنـي أميًـا فهـو يعـرف قيمـة العلـم لأنّـه مـن حفظـة كتـاب الله، فقـد حفظـه هـو وعمـي عبـد الرحمـن عليهما رحمـة الله ورضوانـه حـين كانـا في المدينة المنورة مع جـدي الذي أقام بهـا تاجـرًا وتوفي فيهـا عليهـم رحمـة الله، وقـد ألفـت عـن تجارتـه كتابًـا مـن خمسـة أجـزاء، . وكان سـكنهم في حـارة العنبريـة . ويحـدث والـدي بأن جـدي كان يكرمهمـا كثيرا فمع شـح المـوارد فقـد أحضـر لهمـا أرجوحـة وضعهـا في المصبـاح ليلعبـوا بهـا وكان تحـت

منزلهم محل إذا رغبوا في الشراء منه من غير أن يخرجوا من المنزل فإنّهم يدلُّون عليه مكتلا به طالباتهم فيضعها فيه ثم يرفعونه إليهم. وكان دكان جدي في سوق الشروق بجوار عبدالله الصالح البسام ومحمد الناصر السلّومي. وسليمان الحسين رحم الله الجميع.

عمي وأبي حفظا القرآن في مدرسة العلوم الشرعية، وأهُدي لكل منهما ساعة مكافأة للحفظ. وهما رحمهما الله من المكثرين لتلاوة القرآن. وعن إكثار الوالد للتلاوة حدثني الشيخ محمد العثمان القاضي رحمه الله وهو إمام مسجد أم حمار من عام ١٣٦٦هـ حيث قال: قلت لوالدك: ياعبدالله بكم تختمه قال في الأيام العادية كل عشرة أيام وفي رمضان في كل ثلاثة أيام. اللهم اجعله نورًا له في قبره وقائده إلى الجنة.

ومن دلائل أنّه لايريدني أميًا أنّه يعرف قيمة العلم فهو من خاصة طلبة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله

وحتى كتابة هذه السطور لم أعرف لماذا كان يرغب في عدم إلحاقي بالمدارس الحكومية .

ولكن إرادة الله ـ لاشك ـ هي النافذة حيث كان أبناء جيراننا وهم أبناء علي بن حمد بن الشيخ ـ رحمه الله ـ يذهبون إلى المدرسة السعودية وأنشئت هذه المدرسة عام ١٣٦٨هـ فذهبت معهم يوما ويومين فقرر والدي ـ رحمه الله أن أكمل هذا العام وهو عام ١٣٨١هـ فإن نجحت بقيت وإن رسبت توقفت فمضى العام الأول بنجاح ولله الحمد . فواصلت حتى أنهيت التعليم الجامعي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض كلية اللغة العربية في العام ١٣٩٨/١٣٩٩هـ . وطلبت مني لجنة مقابلة الخريجين أن أكون معيدًا في الجامعة ولكني فضلت العمل على الإعادة .

ومما سهل قبوله الدراسة النظامية أنّه رحمه الله كان يبيع اللوازم المدرسية وهذا يعني أنّ تكلفة التعليم ستقل عليه .

ويلاحظ أنّ الدخول للمدرسة من غير أوراق رسمية. لأنّ الناس في ذلك الوقت يعرف بعضهم بعضًا فإذا قيل إن الطالب الجديد هوابن فلان فهذا كافٍ في تعريفه وقبوله.

وفي طريقي إلى المدرسة أجتاز حارة أم حمار ومنها انطلق وعن يميني سوق الخراز ثم مشغل إبراهيم الحد يباء الصانع رحمه الله وعن يساري قبة زومة وهي قبة بسوق مظلم وينتهي بجويط أبا الخيل.

ثم أمر سوق الخننة وعن يساري حسو العبودي وهو في قبة مظلمة ويتفرع منها ممر يؤدي إلى حارة مُقَيبِلة. وفي طريقي أجتاز حارة المندسة وعن يميني قليبها ؛ وعن يساري حارة الجَدِيد، ثم أقطع شارع السلسلة فأضع حارة الجعيفري عن يميني، وبها بيت الشيخ محمد العثيمين رحمه الله وهو على ناحيتين جنوبية أمامها مسجد الجعيفري وشمالية وعليها الباب الرئيسي للبيت، ومن حارة الجعيفري إلى المدرسة.

وفي الشرق من حارة الجعيفري توجد حارة الطقطقة التي كان فيها كُتَّاب الأستاذ ابن صالح عليه رحمة الله. هذا ما رواه لي الشيخ /دغيثر بن عبدالله الدغيثر المولود في عنيزة عام ١٣٤٢هـ ومازال حيا حتى كتابة هذه الأسطر في ٢٥/جمادى الأولى/ ١٤٣١هـ، فتح مكتبةً ١٣٨٩هـ لبيع الكتب وهي من أوائل المكتبات التجارية في عنيزة ، ومما ذكره لي أنّ كتاب قطر الندى وبلّ الصدى وهو من كتب النحو لابن هشام رحمه الله أنه شحَّ في بعض المدارس في عنيزة فاشتروا منه سبع عشرة نسخة، وله من المؤلفات الفوائد الحسان من الكتاب واسنة والبيان، المنتخب في التوحيد والحكم والأدب،الدرع الحصين ويشمل مجموعة من الأذكار، الوعظ الحافل في المساجد والمنازل، المختار من القصص والتاريخ والآثار، ومن مكارم الأخلاق قصص شعبية وعربية وآثار ،توفي يوم السبت ٨/شعبان/١٤٤٠هـ رحمه الله.

أعود بك إلى المدرسة السعودية وهي في حارة الشريمية حتى كتابة هذه السطور؛ ومن نافلة القول أنّها في مبنى طيني. ومما بقي في ذهني من تصميمها أنّ بوابتها تقع على الجهة الجنوبية وعن يمين الداخل مسطح أخضر صغير ثم غرفة المدير وعنها شمالا غرفةُ المعلمين، وعن اليسار مكان مرتفع بني به جلسة بشكل دائري يجلس عليها المعلمون شتاء في الجو المشمس. رحمهم الله أحياء و أوموتا .

ثم تأتي بعد هذا فصول الدراسة وهي مصممة بشكل صحي فهي تطل على فناء مستطيل امتداده من الشرق إلى الغرب هومقر الطابور الصباحي،ثم تخطو بمقدار خمسة أمتار شمالا إلى تصميم مشابه يليه فناء أكبر يكون مقراللتربيةالبدنية وبه مجموعة من الألعاب المراجيح . وغرفة لمعلم الرياضة يضع بها مايخصه، وبجهته الشرقية الشمالية دورات المياه المخصصة للطلاب. وكنا ننتقل

في حصة التربية البدنية من الفصل إلى الملعب باصطفاف محكم يحركنا الصوت المميز للمدرب. سليمان بن عبد العزيز البادي. وكأنّه يقود مجموعة عسكرية . وهو يقول بصوت مرتفع إلى الأمام سر يمد الميم الأولى ويضغط على الراء .

ومما أذكرأني عندما كنت في الصف الثالث أو الرابع التحق أخي محمد في المدرسة فكان في الصف الأول وكنا نجلس معًا في الفسح ففقدته في إحدى الفسح وبحثت عنه فلم أجده ، وعندما دخل الدرس . ما كان أمامي إلا الذهاب إلى الفصل مع ما أنا فيه من قلق على أخي لا يعلمه إلا الله .

أخذت مقعدي في الفصل ولا تسأل عن حالي؛ كان مقعدي في الفصل بجوار النافذة وما هو إلا قليل وقت حتى مر أحد العاملين في المدرسة بجوار النافذة وهو يمسك يد أخي قادما به إلى فصلي فلم أتمالك نفسي بل قفزت من

النافذة إلى الفناء من غير استئذان وأخذت بيده ؛ المعلم جزاه الله خيرا تفهم حالي فلاأذكرأنّه عنفّني بسبب قفزي وخروجي من غير إذن .

الإفطار :

فسحة الإفطار ومدتها خمس عشرة دقيقة وغرفة المقصف تقع في الفناء المخصص للطابور الصباحي،وهي في جزئه الشمالي الغربي وكنت من الذين يبيعون على الطلاب لأنّ المسؤول عن المقصف وهو عبد العزيز بن عبد الله الفوزان رحمه الله كان يعرف أني أجلس مع أبي ـ رحمه الله ـ في دكانه مما يعني أنّ لدي خبرةً في البيع .

ووجبة الإفطار قيمتها فيما أظن أربعة قروش وهي عملة معدنية دائرية أقدر قطرها بـ ٢ سنتي، والوجبة على ما أذكرمنها أنّها مكونة من نصف خبزة من النوع المنفوخ حتى تسهل المباعدة بين طرفيها لوضع المربى وهوالسائدفي ذلك الوقت .

ووضع غرفة المقصف يعد مرحلةً متقدمة فقد كنا في بداية الأمر نذهب جريا ونعود جريا من بيوتنا في زمن الفسحة .

ومما تناوله في هذا الفسحة الكُليجا ، وهو يصنع من طحين البر على شكل دائري ويعجن و معه قليل من السكر والدهن وبعد انتشاًر المخابز أصبح الناس يعدونه عجينًا في بيوتهم ثم يذهبون به إلى الفران وأنا أكتب هذه الحروف كأني استعيد رائحته الفواحة المثيرة للشهية . ومن ثم انقطعت أو كادت هذه الصناعة من البيوت وتولتها المخابز الآلية .

أعود للمدرسة فقد كان يلاصق سورها شمالا مزرعة عُليًّا الخرب . وتسمى بهذا الاسم تمييزا لها عن مزرعة أخرى تحمل اسم عُليًّا أيضا وهي عُليًّا الطاسان . التي عليها يطل منزلنا من جهته الغربية في حارة أم حمار .

كانت غرف الدراسة مفروشة بالفرش الرقيق

من غير أن يكون هناك مقاعد للطلاب ؛ . ومن طرائف ما يذكر حول الفرش هذه الاحتجاج المعبر وذلك أنّ طلاب أحد المدارس الليلية حين استبطأوا تجهيز فصلهم بمقاعد قاموا بفتح فتحات مستديرة بالفراش الذي يجلسون عليه فوضعوه فوقهم وأخرجوا رؤوسهم من هذه الفتحات وحين دخل المعلم ورأى ما رأى طلب منهم أن يبعدوا الفرش عن رؤوسهم فقالوا له لك رؤوسنا وآذاننا وهي ظاهرة فنحن نسمع بآذاننا ونفهم برؤوسنا !

وبعد أن تحسنت الإمكانات قليلا استبدلوا بالفرش مقاعد ذات أبواب علوية لأدراجها وكل مقعد خُصص لطالبين . ومما يستطرف حولها أني أطبقتُ شفة الدُرْج على يد أحد زملائي فسال الدم من أصبعه، ولاأذكر أرش الجناية الآن و فيما أظن أنّه فاكهة الحتات، والحتات هو ما تساقط من ثمر النخل قبل زُهُوِه . وكنا نأكله بتفكه بعد أن نزيل قشره الذي إن وقع على الثوب يبقى أثره فلايزول بما تملكه الأمهات .جعل الله ماعانينه في ميزان حسناتهن

.فهو شـديد التأثير والالتصاق ولايزول بالمنظفات المقتصرة على الإشنان. فكان من المعتاد أن نرى بقعًا على الثوب بسبب قشور الحتات؛ ومما سنح ذكره بذكر الحتات أنّ ثلة من الشباب تسلقوا أحد النخيل لجني الحتات خلسة فرآهم الفلاح وأمسك بهم ،ولكنه.غفر الله له.كان قاسيا في معاقبتهم فقبض على أيديهم وجعل يحك ظاهر أكفهم بجذع النخلة حتى أدماها، وجذع النخل يكون بشكل مدرجٍ مايزيد آلامهم.

ولرقة الأحوال فكثير من الناس لا يملكون من الملابس مايبدلون به أثوابهم، ومما أعطى كثيرًا من الأسر الراحة والسعادة ماوقع عندهم من اليقين والرضى بما كتب الله سبحانه وعدم التطلع والاستشراف لما فضل الله به بعضهم على بعض حتى استقر في ذهن بعضهم أنَّ سعة الرزق مقصورة على أناس دون غيرهم ومن طرائف هذا أنَّ أحدهم نظر إلى كثبانٍ رملية وقال أتمنى أنَّ هذه تتحول إلى سكر فأنقله إلى بيت آل فلان ليعطوني أجرة

نقله ! . فهو لم يطلب السكر لنفسه لما وقع فيها من أنَّها ليست أهلاً لسعة الرزق ! ولاشك أنَّ هذا من الجهل .

وكان من المناظر المألوفة أن نرى الأمهات يحملن فوق رؤسهن طستًا مملوءًا بالثياب لغسلها في إحدى المزارع، وكان من آلات التنظيف (الكابون) وهو مطرقة خشبية كبيرة تضرب به الثياب عند الغسيل للمساعدة في إزالة ما علق بها .

ومما نتفكه به من النخل سوى الحتات الجمار وهو ما يكون في قلب النخلة الذي يبعده المُوالون والموالون هم الذين يقومون على إصلاح النخيل ومما يقومون به التكريب والتشييف والكمَام؛ والتكريب هو إزالة الزائد من الكرب ليسهل الصعود إلى النخلة فيبقى من الكرب ما يضع الصاعد إلى النخلة قدمه عليه عند الصعود، والتشييف إزالة الشوك النابت على أطراف العسيب، والكمام لف قماش على الثمرة حتى لا تعبث بها العصافير

والهـوام، ومـن المعتـاد أن يضع المـزارع فزاعـة وهـي مخيـول على هيئـة إنسـان يمد يديه حتى تفزع منه الطيور فلا تعبث بالـزروع .

والآلـة الـتي يصعـدون بهـا إلى النخلـة تسـمى الكَـر، وهـو أداة بمقدار ثلاثة أمتـا ولـه طرفـان يعقدان مع بعضهمـا بقطعـة خشـبية مدببـة الطرفين وينتهي أحـد طرفيـه بفتحـة يوضع بهـا هـذا الطـرف فيصبـح علـى هيـأة دائـرة ويكـون عقده بهذه الصورة عند بداية الصعود إلى النخلة . وطرفه الأمامـي مصنـوع مـن القـد وهوجلـد الرقبـة مـن البعـير . أمـا طرفه الخلفي فيكون بمقدار المتر طولا وعرضه قريب من خمسـة عشـر سـنتي مـترا، ويكـون منسـوجًا علـى شـكل عُقـد قطنيـة موصـول بعضهـا ببعـض، ويوضـع خلـف الظهـر لراحـة الصاعـد سـواء مـن يوالي أم يخرف أويكون مصنوعًـا من الخرق الأبيض ويضاعف نسـجه ليتكأ عليه من يصعد إلى النخلـة، فيضع قدمه على جذع النخلة ويبدأ بالدوران عليها كلمـا انتهـى مـن ناحيـة تحـرك إلى الأخرى . وأنـا أكتـب

هـذه الحـروف كأنّ أذنـي تسـتعيد صـوت وقـع الكـر علـى جـذع النخلـة. ومـن أدواة الفـلاح المخلـب والحاسـونة والمسـحاة.

البليغ المطبوع

هو من يجري قلمه بالبيان عفوًا حتى إذا فرغ من كتابة خاطرته وعاد إليها بعد زمن عجب كيف جرى على لسانه هذا البيان وكيف جرى به قلمه؛ وساعة المواتاة ليس لها زمنٌ تعرف به فتُنتظر،وإنما هي توهبُ بوقتٍ لا تستطيع استجلابها إليه،وساعة البركة تختلف عن ساعة المواتاة والتوفيق، فإذا فتح عليك بساعة بركة كأول النهار فهذا نورٌ على نور،وقد تولد الفكرة أو الخاطرة في قيلولة قائلة،قد تولد بين خرير الماء وتغريد الأطيار وقد تولد تحت لهيب الشمس وكما قلت فساعة المواتاة لا تستطيع استجلابها .

عـودة إلى النخيل ، جني التمر من النخلة إن كان رطبا فيسمى خرافا وإن كان أقل رطوبة يسمى بِشَـارًا وإن كان قريبًا من اليبوسة يسمى جدادًا . وحفظه على نوعين كنيز وهو ما يوضع في أوعية معدنية تسمى التنك أو في كيس من الخام أو عيبة من سعف النخلة أو في جصة بجيم مكسورة ثم صاد مفتوحة فتاء مربوطة، والجصة هي عبارة عن أربعة جدران على هيئة الجدران المسبقة الصنع المعروفة في زمننا الحاضر ويكون اختيار هذه الجدران من مادة باردة تسمى [كثّان] وهناك الصوبة وهي بصادٍ مضمومة بعدها واو ثم باء مفتوحة، وهناك أوعية أخرى ونوع الحفظ الثاني يسمى عليقا وهوتعليق قنوالنخلة بمكان بارد في البيت ويلف عليه قماش حتى لاتصل إليه الهوام، وفي هذا الزمان تغيرت أوعية الكنز إلى أكياس بلاستيكية بمقاسات متفاوتة، ودخل التبريد في دائرة حفظ التمور سواءً بكنزه أو تجميده من غير كنز .

أعـود إلى المدرسـة بعـد أن أحدثـك بهـذه السـانحة الفكريـة: مـن النعـم الموجبـة للشـكر الداعيـة للتفكر بآيـات الله أننـا في هـذه الجزء مـن الأرض [إقليـم نجـد]في صحـراء مصحـرة منقطعـة، وأصبح النـاس يفيـدون إلينـا باحثين عـن الـرزق عندنا ويجدون من السعة في طلبه ما يغريهم في البقاء هنـا لمدد طويلة متغربين عـن ديارهـم ،يفيـدون من بـلاد فيهـا الأنهـار والأمطـار والمراعـي الخصبـة وتتابع الأمطـار، فـالله يسرلنا جلب الخيرات من بلادهم، فأصبنا من نعيم التفكه وأطايب النعـم نعمًا لا يسـتطيع كثيرٌ منهـم الحصول عليهـا في بلادهـم ، ولا أعـرف أنَّ إقليـم نجـد مربـه عـبر التاريـخ مانحـن فيـه مـن نعيـم أوقريـب منـه . فسـبحان ربـي العظيـم فنحـن في مسـاكن فاخـرة ومراكـب مريحـة ومطاعـم لذيـذة ورغـد راغـد وأمـن آمـن. ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩) سـورة النمـل

ومما يوجب شكر ما نحن فيه من النعم أن نرى أهل بلادٍ كان أجدادنا يذهبون إلى بلادهم بحثا عن الرزق. فكثُر بيننا أهل الشام بكل أقاليمه وأهل مصر وأهل الهند ،وأماكن أكثر نأيا لم تطأها أرض الأجداد لبعدها مثل. الصين وأوربا والأمريكتين . . .إلخ

وعود إلى المدرسة. فقد كان معنا في نفس الصف طالب أبكم ولتواضع الإمكانات التعليمية والتربوية وضعف الإمكانات وإن شئت فقل لعدم إعدادا لمعلمين لرعاية مثل هذه الحال فقد كان المطلوب منه كالمطلوب من الأسوياء ! . بقي هذا الطالب ما شاء الله أن يبقى ثم هجر التعليم إلى غير رجعه؛ وقد رأيته بعد حين يعمل مستخدمًا في مصلحة حكومية. وبعد أن أنهيت تعليمي وباشرت التعليم كان أبناؤه ممن علمتهم. وأنا أرى هذا الزميل بين حين وحين فيقابلني بابتسامة عفوية ويهز رأسه ويضع يده على صدره مغتبطًا باللقاء كأنّه يقول هل تذكر صحبتنا القديمة ؟

كان الرسوب في الصف الأول أمرًا معتادًا وقد يتكرر أكثر من سنة، وإذا كثر عدد الراسبين أفردوا لهم فصلا مستقلا يطلق عليهم أولى كبار.

ومدير المدرسة عند دخولي هو الأستاذ/ عبدالرحمن بن صالح العليان. الذي أصبح فيما بعد مديرًا للتعليم. ووهو أول من تسمى مدير تعليم في عنيزة. ثم تولى إدارة المدرسة بعده الأستاذ /عبدالعزيز الزامل. رحمهم الله أحياء وأمواتا.

ومما بقي في ذهني عن المدرسة السعودية أن أذكر أنّ امرأة كانت تجلس عند باب المدرسة ثم تطلب من أحد الطلاب أن يقوم بقراءة ما وصل إليها من رسائل. وهذا لإنّ الرسائل ليس فيها ما يحرص الناس على إخفائه فهي إخبار عن حال وسؤال عن أخرى.

والديباجة التي كانت متبعة في الرسائل في ذلك الزمان هي أن يبدأ المرسل رسالته بما يلي: السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته. خطكم الشريف وصل وما ذكرتم كان معلوما ويصلكم مع فلان كذا وكذا، ولا تتأخروا علينا في المراسلة ترى الخط نصف المشاهدة، ثم يبدأ بسرد الأخبار الموجبة لكتابة الرسالة.

بقينا في حارة أم حمار وكان إمام مسجدها محمد العثمان القاضي والمؤذن عبدالله الكغيل [الصيخان] رحمهما الله.

حتى جاءت توسعة الشارع بالهدم ثم انتقلنا إلى حارة الجُديِّدة وسكنا في بيت للخرب كان إيجاره السنوي ثمانمائة وخمسة وعشرين ريالاً، والماء على المؤجر، وقرأت في نهاية العقد [إيضا وصل ١٠٠/ريال وهذا باقي الحساب بعدما خصم ٩١ ريال لتصليح قصبة الماء.

وعقد الإيجار مكتوب بخط الشيخ محمد العثيمين على الجميع رحمة الله. ومدته سنة واحدة تبدأ من أول ربيع الأول لعام ١٣٨٦هـ والبيت كبير ولله الحمد ويقع على

ناحيتين المدخل الرئيسي سوق سد وجهته غربية. والثاني على جهة شرقية شمالية. وبه فناء شرقي تتوسطه نخلة من نوع أم حَمَام. وهذا الفصيل من النخل من الذي يبادر ثمره في الزهُو. وإمام المسجد هو الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الغُرِّير والمؤذن صالح الحركان عليهما رحمة الله. وممن أذكر من الجيران عبدالمحسن الشبل والطرِّيف والسماعيل وعلي وعبدالله الحمدان وهما من جيراننا في حي البابية أيضا وعبدالرحمن المقبل الذكير وناصر النعيم ومحمد الناصر وإبراهيم الشويمان وإبراهيم وأحمد وحمد العوهلي، والدوسري، وحمد البهيجان .

وهذا العام أي عام سكنانا في الجديدة أسميه عام شد البطون؛ فالوالد -عليه رحمة الله ورضوانه في هذه السنة عليه أن يسدد الإيجار وأن ينجز بناء بيتنا الجديد في حارة البابية التي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله.

وعند التوسعة الثانية هُدم بيت الخرب وبقي منه مساحة بني عليها محلات تجارية مازالت نشطة حتى كتابة هذه السطور٢٣/ ربيع الآخر/١٤٣١هـ

في حارة البابية:

بقيت في المدرسة السعودية حتى نجحت إلى الصف السادس. وبعدها انتقلنا إلى بيتنا في حارة البابية وهي حارة تقع في الطرف الشرقي للنطاق القديم لعنيزة والبيت داخل السور القديم وكان بين بيتنا وبين السور ما يقرب من أربعين مترا ويفصلنا عنه بيت وفناء. ويقع عن البابية شرقًا حارة المستغيثة وهي مزرعة قديمة خارج السور القديم. وحين عمارتنا لبيتنا كنا نستقي منها الماء لغرض البناء وقد اتفق والدي والفلاح عليهما رحمة الله على حفر خبرة يجتمع بها الماء ومن ثم ينقله العمال إلى

موقع العمل ، وهـذه الخبرة بني في موقعها بيت سـكنه محمد السليمان الخشيبان ثم سـكنه حمود الكعيد عليهما رحمة الله ثـم رحـل أهـل الحـارة إلى أماكن ومسـاكن حديثـة .

والعمـال ينقلون المـاء من الخبرة إلى موقع العمل بآلـة اسمها الزفة [زاي مفتوحة ثم فاء فتاء مربوطة] ووصفها كمايلي: يؤتى بصفيحتين من المعدن فيوضع بأعلى كل منهما قطع خشبية تكون متقاطعة على هيئة علامة زائد هكذا [+] مع تثبيتهما بطرفها العلوي ثم يوضع بوسط علامة الزائد معكوفة معدنية فيحضرون قضيبا من الخشب بمقدار مترين ويشترط فيه أن يكون لدنًا مرنا حتى لايؤثر على العامل عند حمله ويتدلى من هذا القضيب سلسلتان توصلان بالصفيحتين عند حملهما . فيضع العامل هذاالقضيب على كتفيه ويحمل الماء إلى حيث يريد ؛ وللزفة في العرف الاجتماعي مسمى آخروهي من مسميات مراسم الزواج .

وصفة هذه الخبرة كما يلي: عمقها قريب من متر ونصف وهي بشكل دائري قطرها على ما أقدر ٣م. ويصلها الماء بساقية قريبة من عشرين مترا من الشرق إلى الغرب.

ومن الشرق عن الحارة أيضا يمر مجرى للماء يجري به أوقات السيول يسمى التلعة ويصب في مكان يسمى المغارن أي المكان الذي يؤخذ منه الغرين وهو مادة طينية لزجة. وهي ثلاث خُبر كبيرة أقدر مساحة أولاها وهي الشرقية منها بخمسة عشر مترا في خمسين والثانية وهي تقع غرباً عنها بخمسة عشر في ثلاثين ثم يسيل الماء منحدرًا غربا مارًا بحارة الضليعة فالسلسلة فالملاح، فيسير قريبا من أربع كيلو حتى يستقر في مزارع الصالحيات في الجناح.

وقبل انحدار الماء من المغرنة يخرج منه لسان متجه جنوبا فيشكل المغرنة الثالثة وهي صغيرة وأقدِّرها عشرة في عشرين مترا.

ويحيط بالمغرنة الشرقية من جهتها الشمالية شقوق ناتجة من أثر السيول، وكأني أنظر إلى ذلك الشاب الظريف .رحمه الله .الذي يقود دراجته النارية بين هذه الشقوق منعطفًا بمهارة عالية يمينا وشمالا وكأنما هذه الدراجة مسبحة بين أصابعه. ويحد هذه المغرنة شمالا موقع يسمى حرابة بها بئر قديمة وهي مرتع عامر لمربي الكلاب. الذين يُجِيدون التحريش بينها وبين الغريب من كلاب الصحراء.

وعلى الطرف الشرقي للمغرنة الشرقية توجد مقصورة للمراقبة عندما كان الناس بحال أمنية مضطربة. وقد اتخذناها مكانا للقفز أثناء السباحة في المغرنة. وهذه المقصورة متصلة مع السور القديم واسمه في العرف المحلي [العَقْدَة] وهي العُقدة لأنّها تعقد أطراف المدينة.

وحي البابية هو مرتع يفاعتي وشبابي وقد سكناه في صيف عام ١٣٨٧هـ وهو المحلة الرابع للأسرة، وقد كان سكن جد أبي مع أبيه وإخوته علينا وعليهم رحمة الله

ورضوانه في حارة القاع السالف ذكرها، وحسب تقديري أتوقع بداية سكناهم في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة وبيت البابية بنظام الصبرة ومدتها خمسمائة سنة وقيمة الصبرة خمسة وسبعون ريالاً في السنة. ويقول والدي عليه رحمة الله ورضوانه إنّ حركة العقار كسدت كسادًا كبيرا بعد التصبير فعرض علي جيراني الدخول مكانهم في أراضيهم فقلت لهم أنا لن أبيع ولن أشتري ولكني سأنتظر الفرج من الله.

بناء بيت البابية:

وأحدثك عن البناء فأقول بدأنا العمار عام ١٣٨٦هـ وكان والدي ـ رحمه الله ـ هميمًا في عمله وكنت أذهب معه لننام في بيت ابن عمنا ـ عبدالله بن سليمان العُمري ـ عليه رحمة الله. لأنه خالٍ من السكن ولأنّه قريب من مكان العمل، ونذهب قبل المغرب ومما أذكره أننا نأخذ معنا

عربية، وليست العربية هي السيارة كما تسمى في بعض البلاد العربية وإنما هي في العرف المحلي ما يدفعه صاحبه أو تقوده الدواب، وما أعنيه هنا ما يُدفع وصفتها أنها ذات عجلة واحدة أمامية ولها من الخلف متكآن تقف عليهما عند التوقف وأثناء استخدامها يرفعها سائقها إلى الأمام قليلا ثم يدفعها ممسكا بقضيبين يتصلان بها من الخلف ويُغَطى طرفُ القضيبين بما يمتص حرارة الشمس والغالب أن تكون التغطية بمادة البلاستيك أو الربل، ولا تكون التغطية ملساء ليتمكن من يدفعها من القضيب وليمتص العرق الصادر من اليد ولكيلا يكون هناك انزلاق لها من اليدين عند الدفع. وكنا نضع فيها بعض لوازم البناء، كالمكتل والمسحاة. والفاروع والكزمة.

ولأن [الستاد وهو علي بن حمد الغشام رحمه الله] يعرف همة والدي وحرصه على الاستعداد للعمل وتهيئة لوازمه قبل وقته ففي يوم من الأيام ذهب الستاد إلى أحد البيوت التي واعد العمال عندها فلم يجدوا صاحبه

مستعدا . فقال لهم [يا الله لبوعمر] أي اتجهوا إلى بيت أبي عمر فسنجده مستعدًا حتى وإن كان اليوم ليس له فذهبوا فوجدوا الأمر على ما توقعوا .

قريبنا الذي خيَّب ظن أبي:

ومما يقال حول أزمة البناء أن أحدثك عن هذه السانحة فقد ذكرت لي الوالدة عليها رحمة الله ورضوانه أنّ قريبنا الفلاني خيَّب ظن أبي حين ذهب الوالد ليستلف منه ما يعينه على البناء وهي تذكر هذا عتابًا على هذا القريب ورقةً لحال أبي عليهما رحمة الله. وإني أحمد الله أنهما لم يموتا إلا بعد ما ذاقا العزة ولبسا ثوبها . وامتدت أيديهما معطية للزكاة والصدقات ﴿ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤) سورة الإسراء ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ﴾ (١٩) سورة النمل . وكانت أجرة [الستاد] اليومية عندما كنا نبني بيتنا بالبابية في عام ١٣٨٦هـ ثلاثة عشر ريالا . والعامل ست ريالات . ولا أنسى ذلك العامل النشط . واسمه عبدالله الذي كان يعمل معلم [تشبيع] فقد كان والدي.عليه رحمة الله.يزيده ريالا مكافأة له على نشاطه؛ والتشبيع هو كساء اللبن بالطين وهو مقام التلييس في العرف الحاضر؛ والطين المخصص له يختلف عن الطين المخصص للبناء، وطين التشبيع اسمه [حُر] والبناء [وقاء] والغالب أن يخلط مع طين التشبيع التبن ليزيد تماسكه،والتبن هو العود المتخلف من الزرع [القمح] بعد أن يذروه الفلاح .

مسميات عمرانية:

ومصطلح التشبيع يأخذنا إلى أن أعرفك بما سنح لي من مسميات عمرانية . فمن هذا . ساس . وهو الأساس

الذي يقوم عليه البناء ويكون من الحصى وعمله يتطلب حفرًا في الأرض بعمق ثمانين سنتي متر تزيد وتنقص قليلا وبعرض قريب من خمسين سنتي متر[نصف متر]والمصطلح الثاني [ساف] وهو الطبقة من الساس فكل طبقة تسمى سافًا ، والمصطلح الثالث[حِنَاك] وهو وضع الخشب على أسقف الغرف وهذا الخشب يكون من الأثل وما كان عريضا اسمه[ساكف] وهوالخشبة التي تربط بين جزئين من أجزاء المبنى وقام مقامه في الوقت الحاضر الجسر والحناك ليست اسما لهذا العمل ؛ وله أصل صحيح في اللغة ؛ فالحِنَاك في العربية جمع حَنَكة وهي الخشبة التي يربط بها بين الأشياء .

والمصطلح الخامس[زَقْف] بزاي مفتوحة ثم قاف ساكنة ففاء وهو مناولة العمال فيما بينهم وذلك بوقوفهم صفًا وأغلب مايكون الزقف في اللبن جمع لبنة فيقف أحدهم عند مكان جمع اللبن ويأخذ واحدة فيعطيها من بجواره ثم يعطيها هذا من بعده وهكذا حتى يصلوا إلى المكان المراد

وضعها فيه، والمصطلح السادس، نِعَال، وليس الحذاء وإنما هو ما يكون من الطين على السقف والطين المستخدم فيه من نوع طين[الشباع] وصفة النعال أن يجمع فوق الطين الموضوع فوق السعف والجريد والعُسب وهذه هي أجزاء السقف ثم يصب فوقه الماء بقدر كبير حتى يصبح كالوحل، ويغطي فوق الكعب ثم يخوض العمال فيه جيئة وذها با وفي أغلب الأحيان يصحب حركة النعال حداء وغناء يستعينون به وينشط حركتهم ثم يتركونه حتى يجف وبهذا تكون طبقات السقف انتهت، وفي بعض الأحيان يعقب الانتهاء من السقف وليمة. للعمال،والمصطلح السادس. لياق، وهو تغطية وكساء الجدران الخارجية للبيت بطبقة طينية مختلفة عن [الشباع] ويتحول بعد جفافه إلى لون يميل إلى الزرقة وهو يستعمل للتزيين. ولإعداده فإنه يوضع له حوض فيملأ بالطين الحر ويسقى بالماء ثم يترك أيامًا ثم يقلّب أعلاه أسفله فيفعل به هذا مرارا حتى يصل إلى السواد عنده يكون جاهزًا للاستعمال. وهذا النوع من

الطين اسمه في اللغة العربية [حمأة]

وفي بيت البابية كان أول عهدنا بالكهرباء داخل المنزل» ١٣٨٧ هـ « ،وكان الكهربائي الذي قام بتمديد الشبكة داخل المنزل هو عبد الكريم بن صالح الحركان رحمه الله .

سيارة الدليقان:

وإن كنت مللت حديثي عن البناء ومصطلحاته فلعل في السانحة التالية ما يبعد عنك السآمة والملل فأحدثك عن مظهر من مظاهر التعاون التي رأيتها؛ فمما سنح الحديث لك عنه أن أخبرك عن[سيارة الدليقان] وهي سيارة لإبراهيم وحمد المحمد الدليقان. عليهما رحمة الله. من نوع جيب [ولز]وكانا يوقفانها في الحيالة التي مر ذكرها سابقًا بأنّها أحد الأسواق الرئيسية في عنيزة وقبيل المغرب يخرجان بها وقد امتلأت بما اشتراه بعض من دخل السوق من أهل الضليعة من علف أو خضار أو بطيخ

ويركب معهم من رغب الركوب إلى الضليعة . ثم يضعون مابها أمام مسجد الضليعة من الجهة الجنوبية فيأتي الناس ويأخذ كل منهم مايخصه وهذا يتكرريوميا ، والدليقان يفعلون هذا احتساأبا للأجر . وهذا التوصيف كان بحدود عام ١٣٨٨هـ إلى قريب من منتصف التسعين، عندما كانت السيارات شحيحة .

شاركني في قلمك و ضعْ مقدمة بنفسك فسأنقلك بدون مقدمة إلى هذه التطرية الأدبية ثم تعود إلى حال الصبية : قال عنترة بن شداد في معلقته التي كثرت فيها الصور الفنية الجميلة . بيتًا رأيت أنّه يسير مسار المثل :

وتبيتُ عبلة فوق ظهر حشيَّةٍ   وأبيتُ فوق سراةِ أدهمَ مُلْجَمِ

حالتا متضادتان نومٌ هنيء لهذه المترفة على فراشٍ وثير ، يقابله كرٌ وفر من فارسٍ لا يعرف مستقرًا له سوى صهوة جواده ، وهذا أمر يجوز إجراؤه على حال كثيرٍ ممن حولك ، مجازًا لا حقيقة وذلك بالنظر إلى ما بين الناس من فوارق

في هذه الحياة، فهناك من استرخى حتى ملَّ الاسترخاء ، وهناك من اتخذ الكد والنصب منهجا في حياته حتى أصبح من طول ملازمته له لا يجد إلا النصب ملاذاً يسترخي فيه .

وهذا يقودني لأن أقف لك مع بيت آخر من معلقته:

فشككتُ بالرمحِ الأصمِ ثيابه

ليس الكريمُ عنِ القنا بمحرم

ووقفتي مع الشطر الثاني وهو صالحٌ لأن يكون مثلا يتمثل به الإنسان حين يرى شريفا أصابه ما يصيب الغوغاء من الضرر؛ فالشرف والجاه لا يمنعان من وقوع البلاء عليك.

ومعلقة عنترة تكثر فيها الصور الفنية الجمالية وهي نصٌ خصبٌ وجديرة بأن تخص بدراسة خاصة تبرز مواطن الجمال فيها . وإنك لتعجب أشد العجب من رقة وعذوبة كثيرٍ من الشعر الجاهلي مع أنَّ قائليه أبناء

صحراء مقفرة، وقد أحسن الزمخشري رحمه الله في كتابه ﴿ أساس البلاغة ﴾ في وصف من تؤخذ عنهم البلاغة حين قال:

﴿ ... ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها، وما تزاجرت به السقاة على أفواه قُلُبِها، وما تساجعت به الرعاة على شفاه عُلبها ﴾ فالزمخشري يأخذها من هؤلاء الذي هم في عرف هذا الزمان من عوام الناس إن لم يكونوا من الغوغاء قراضبة نجد: لصوصها. أفواه قلبها: جمع قليب. علبها: جمع علبة وهو إناء يحلب به.

واللغة العربية حين تأخذك لذة القراءة في نصوص بلغائها يبرز أمامك قول ابن جني رحمه الله في كتابه الخصائص حين انبهر بجمال اللغة ودقتها: ﴿ ... وإنما الأمر إلهامٌ وتوفيق من الله ﴾ وقد ذكرتُ كثيرًا من بلاغة العربية وتفوقها في كتابي «المسائل العُمرية في النحو ونظرات في سر العربية»

وهذه عودة إلى حال الصبية ففيها إجمام آخر

ما مِنْ عض

اَطلقْ واُطلقُ

لَكَ كل المقاضيب

لي مقضاب ولك مقضاب

هذه قوانين أربعة هي من مصطلحات العراك والتعارك بين الفتية والأتراب وشرحها كمايلي: مامن عض. هذا المبدأ المعبرعن براءة الطفولة يتفق عليه الصبية قبل بدأ العراك وأحيانا أثناءه. فيشترطان هذا بينهما ألايعض أحدهما الآخروتنتهي المصارعة عندما يحسان بالإعياء؛ والمبدأ الثاني [اَطلقْ واُطلقُ] معناه اتركني وأتركُكَ ويكون عندما يبلغ العراك ذروته فيحس أحدهما بالإعياء أو الهزيمة فيرغب بإيقافه فيقول للآخر اطلقني فيرد صاحبه اطلقني ثم اطلقك والظاهر أنّ بداية الإطلاق تبدأمن طالبه.

والثالث[لك كل المقاضيب] المقاضيب المقصود بها ما يمسكه أحد الطرفين من جسم صاحبه فيتمكن منه ويضربه أرضًا فيكون قد غلبه؛ وهذه المقاضيب مكانها ماتحت الإبطين. فيرفع المتحدي يديه ويطلب من أحد من عنده أن يمسك به من هذا المكان وعليه أن يطرحه[أي يلقي به على الأرض] إن استطاع. وهذا المصطلح الغالب أن يعمل به قويٍ يرى ضعف من أمامه، والرابع [لي مقضاب ولك مقضاب] أي أنَّهما يشترطان التساوي في تمكنهما من بعضهما أثناء العراك.

وعلى أية حال فالعراك بين الأقران من وسائل التسلية. ومن أجمل مافيه ويعين على صفاء النفوس بين الناس وبين الفتية بعضهم مع بعض أنّ كثيرًا من الأسر لاتنظر لما يحصل لأبنائها من جروح نتيجة هذا العراك، فلاغرابة أن يتعارك اثنان وتراهما وقد يسيل من أحدهما الدم فتراهما من الغد يجلسان معًا في إحدى قبب الحي؛ والأسرة التي تتدخل لمناصرة ابنها فإنَّ هذا التدخل

يسبب عزلةً له لأنَّ أصحابه لا يرغبون الدخول معه مخافة أهله.

عودة إلى البناء.

في نفسي رغبة أن أتم لك ما سنح من مصطلحات البناء فمن هذا [سُوقَة] وهي بسين مضمومة فواو فقاف مفتوحة فتاء مربوطة والمقصود بها طبقات الجدار أثناء وضع اللبنات فكل طبقة تسمى سوقة؛ وإذا تم بناء الجدار في السطح فإنّ آخر لبنة فيه اسمها [دُمَام.] ويكون وضعها في الجدار بصورة مخالفة لما تحتها فتوضع بصورة طولية؛ ومن هذه المصطلحات [مُبَاناة] وهي نصيب الجار من قيمة بناء الجدار الذي يكون بينه وبين جاره. [قشي العسبان] وهو عمل عملت به في فترات العطلة الصيفية، وأظن هذا عام[١٣٩٠هـ] وكنا نعمل عند/ عبد الله العلي الخلب[أبي خالد]والقيمة كل عشرة عسبان بريال.

والخلب مدرس سابق في المدرسة السعودية، هو من الذين كانوا يبنون البيوت الطينية ويبيعونها ، وعملت هذا في حارة الحميضي وهي تقع جنوبا عن البابية، وكيفيته أن نقوم بإزالة الخوص وهوالورق النابت في عسيب النخل لإعداد العسيب ليكون مما يوضع على خشب السقف ومن ثم يوضع عليه السعف ثم الطين فتكتمل هيئة السقف بعد هذا يأتي النعال الوارد تعريفه سابقًا .

[خرزة] وهي من الصخر الذكر تكون بشكل اسطواني ارتفاعها قريب من خمسين سم والخرزة هي وحدة بناء الأعمدة وبعد الانتهاء من مد العمود بالقدر المطلوب يوضع الخرز طولا بعضا على بعض ثم يوضع على أعلاه صخرة مربعة واسمها [حِجْل]،وسبب تصنيعها بشكل مربع ليتمكن منها الساكف الوارد تعريفه فيماسبق، وتربط خرزات العمود بواسطة الجص فهو مادة لاصقة تُحكِم تماسك ما بينها ، ومن استخدامات الحصى في البناء الفَرْش وهو صخرة كبيرة قياسا بما قبلها

وهـي بطول ٦٠X١٢٠سـم تقريبًـا و توضـع أغطيـة للبيـا رات بعـد طيهـا بالحصـى .

وجبات العمال:

في الصباح يكون الوالد ـ رحمه الله ـ أعد لهم القهوة والشاي ومعه الخبز الحار من الأفران التقليدية قبل المخابز الآلية، واسم خباز الحيالة [قايد]وخباز الضليعة ناصروهما يمنيان . وخباز الشريمية عواض وهو سعودي، وهناك خباز في قبة الطباقة وهو من إحدى جمهوريات روسيا ، وحدثني الوالد عليه رحمة الله ورضوانه أنه لقي هذا الرجل بعد مدة من تركه المخبز ومغادرة عنيزة لقيه في جدة بدكان بشارع قابل، وعندما تحدثا معًا عرف الخباز أن والدي من عنيزة قال له إني أقمت فيها مدة وكنت صاحب مخبز في قبة الطباقة، وعنيزة أول مدينة سكنتها بعد خروجي من بلدي .

وللخبز رائحة نفَّاذة فاتحة للشهية ومن قوتها تبقى عالقة في الملقح[العلاقي] فترة طويلة . ومن سوانح الخبز أن أذكر لك رجلا كنيته أبو عضيب يجلس في آخر النهار في الطرف الشمالي للحيالة، ويصيح مناديا بصوت مرتفع[العيش العيش] ومما أذكر عن بيعه أنَّه يبيعه اثنتي عشرة خبزة بريال واحد .وبعد حين أصبح لقب هذا الرجل[العيش العيش] عليه رحمة الله لكثرة ترديده لهذه الكلمة .

كان قبل الظهر هو وقت الغداء [للحرفية،]العمال ومما نقدمه لهم التمر ويكون بصحن كور وهيئته أنّه صحن نحاسي دائري قطره سبعون سم تقريبًا وهو مرتفع عن الأرض بما يقرب من خمسين سم بواسطة اسطوانة نحاسية مجوفة. ووسط التمر طاسة من غرش نضع وسطها البقل[الأقط] المخلوط مع السمن فيغمسون التمرة بالأقط والسمن بعدما يكون العامل غمزها بالإبهام ليكون لها تجويف يحمل به ما يستطيع من السمن و الأقط .

المحتسبان
حمد العثمان الخويطر
وحمد الصالح الهطلاني رحمهما الله.

وأخشى أن يطول عليك ماسنح عن البناء. وسأعود إليه. لهذا سأنقلك إلى هذه السانحة لأذكرك بشيء من التعاون فيما سبق وحب الخير الذي عُرف به كثير من جيل الآباء والأجداد؛ ومن هذا ماكانوا يقومون به من علاج للمحتاج احتسابًا للأجر من الكريم المنان؛ ومن هؤلاء المحتسبين حمد العثمان الخويطر عليه رحمة الله، وهو رجل يظهر عليه سمت السلف من بساطة في التعامل والمظهر ووضاءة في الوجه، وما أسجله هنا أمر وقع لزوجتي فقد كانت في أول زواجنا إذا لبست زينة في معصمها من ساعة أوذهب التهب كفها ومعصمها بالقروح. فزرنا أكثر من مرة أطباء في علاج هذا المرض واستعملنا ماقدر لنا من المراهم والمداهن فلم يجدِ هذا شيئًا. فذهبت بها

إليه ـ رحمه الله ـ وصليت معه العصر في مسجد الشعيبية . فلما رآها أخرج المحبرة وعود الكتابة فكتب عليها ما شاء الله أن يكتب . فما هي إلا هذه المرة فقط فكتب الله بها الشفاء وعاد كما كان . وممن عرفوا بالكتابة على القروح / حمد الصالح الهطلاني رحمه الله وهو إمام مسجد باب ساير وفلاح السندية . وهو من الذين له مودة في قلوب من يرونه فسبحان الله العظيم . وحين كان فلاحًا بالسندية اشترى الوالد منها نخلا فكنت في أحد الأيام بصحبته للبشار ، والبشار هو قطاف التمر بُعيد جفافه وقبل يُبْسه فلما انتهينا فأذا به بأحد فروع النخل فناداه الوالد رحمهما الله :[ياحمد ترى قروشك بالمعدل] والمْعَدَل هو الحاجز الذي يُفصل به الماء ويعدل مساره من جهة إلى أخرى . ويظهر في هذا ما يدل على ثقة الناس ببعضهم وعلى سهولة الوفاء عند بعضهم الآخر .

ووالدي رحمه الله أيضا ممن يكتبون على القروح؛ فكان يضع في الدكان محبرة وقلمًا خاصًا للكتابة والغالب

في القلم أن يكون من عذوق النخل ليتمكن من كمية من الحبر ولئلا يؤلم المكتوب عليه؛ فهو لا ينتهي برأس مدبب .

ومما يكتب على الجروح في مثل هذه الحالة قوله تعالى: ﴿ . . . فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ . . . ﴾ (٢٦٦) سورة البقرة. ثم يعقبها الكاتب بكتابة الدعاء الآتي :[فاحترقي بإذن الله] .

ولاشك أن ثقة كل من الكاتب والمكتوب عليه بالله ومقدار توكلهما عليه من آكد أسباب الشفاء . وأنّ الشفاء لا يمكن أن يكون لمجرد الكتابة .

يبلغ المؤلف

أيُ مؤلف درجةَ الإحسان إذا أخبر القارئ كيف وصل إلى هذا الاستنباط، فلا يقتصر على تبليغ العلم وإنما يهدي القارئ إلى السبيل الذي وصل به إلى هذا المذهب لينير له طريقًا يعرف به صناعة العلم، فلا يقف عند تعريفه بالمسألة.

أعود بك قليلا إلى سانحة سنحت حين الحديث عن بعض مصطلحات البناء . وهي ليست من خصائصه ؛ فمما جرت به الذاكرة أن أحدثك عن الدلو والرشاء العَوْقدة. والحُصْرة. أمَّا الدلو فعربية أصيلة قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ (١٩) سورة يوسف؛ وصفة الدلو المستعمل لدينا أنّه وعاء من ربَل أو جلد ، وهو بشكل اسطواني قطر قاعدته ٢٠سم تقريبا وأعلاه ٣٠سم، ويقطع أعلاه صليب خشبي يقوم المستقي بوصله بالرشاء ومن ثم إلى البئر والرشاء .وهي كذلك لفظة عربية. هوحبل مما نأخذه من الشجرة المباركة النخلة وهو مصنوع من عذوقها بعد دقها وفتلها وهو خشن ملمسه، ومن الأدوات التي سنح ذكرها مع الدلو العَوْقَدَة[بعين مفتوحة فواو ساكنة فقاف ودال مفتوحتين ثم تاء مربوطة] وهي مجموعة من الكلاليب تعلق بدائرة، وهي أداة استخراج الدلو حين يقع بالبئر بسبب انقطاع الرشاء أو انطلاقه من يد الماتح للماء ، وطريقة استعمالها

أن توصل بحبل ثم تلقى بالبئر فتحرك في الماء في كل اتجاه للبحث عن الدلو حتى تعلق به ومن ثم يخرجونه بها والرشاء والدلو هذا هو استعمالهما من القديم

قال الفرزدق رحمه الله:

وَقَد خانَ ما بَيني وَبَينَ مُحَمَّدٍ

لَيالٍ وَأَيّامٌ تَناءى اِلتِئامُها

كَما خانَ دَلوَ القَومِ إِذ يُستَقى بِها

مِنَ الماءِ مِن مَتنِ الرِشاءِ اِنجِذامُها

ولعل بقاء حال أهلنا في نجد على ما كان عليه أجدادهم في القديم يؤكد انقطاع نجدنا الحبيبة عن مواطن الحضارة، وأنّها من الأراضي العربية التي احتفظت بأصالتها فلم تدنسها قدم مستعمر

والحُصْرَة[بحاء مضمومة فصاد ساكنة فَراء مفتوحة ثم تاء مربوطة]لفافة مدورة من الخرق وهي حوا ف لاوسط لها يضعها العامل على رأسه يخفف بها من ضغط مايحمله.

مع بيت عمي رحمه الله :

نحن انتقلنا من الجديدة إلى البابية وعمي عبدالرحمن. رحمه الله وهو الأخ الوحيد لوالدي. انتقل بعد حارة أم حمار إلى حارة المداق الملاصقة لباب شارخ من الشمال، الشرقي وسكن بيتا بنظام الصبرة ومدة صبرته ألف عام. ويقع البيت بمرسدٍ بعرض سبعة أمتار تقريبًا، وللبيت بابان متجاورانٍ، ويبدأ مدخله بفناء واسع تتوسطه شجرة نبق، وعلى يمين الداخل خزان مياه ويسمى حنفية، وفي شرقه حوش الغنم، وعلى يسار الداخل من الحوش للبيت تقع الغرف وهي تحيط بقبة. وبجهتها الشرقية يقع المطبخ وبجهة القبة من الشمال الدرج المؤدي إلى السطح وبه غرفة خاصة. ويخرج من هذه القبة ممر تعلق به قرب الماء، ويكون تعليق القرب تحت الدرج ويؤدي هذا الممر الى فناء صغير يسمى ليوانًا وأظن هذه التسمية مما دخل علينا من الفارسية ولعلها محرفة من إيوان وهو بالفارسية القاعة التي يجلس فيها الملك.

وبعد الليوان يأتي مكان استقبال الضيوف ﴿ القهوة ﴾ وهي بما يقرب ٣في ٦، وفي أعلاها غربا ما كان إيقاد النار واسمه في العرف ﴿ وِجَار،والمقصود بها لغةً بيت الضبع ﴾ وعن يسار الجالس مكان وضع أدوات القهوة والشاي ويسمى ﴿ الكمر ﴾ وهويبنى من الجص ويكون فيه زخرفة لتجميله، وتوضع به أدواة إعداد القهوة والشاي، وممن أعرفه ممن كانوا يبنون الكمر، علي السليمان العصيل، وعبد الله الحمد العُلَيَّان وهما معلمان في مدرسة الضليعة « الفاروق « ومنهم عثمان بن ناصر الحليلة وهو الذي بنى الكمر في بيتنا في حارة البابية، وأحمد الصالح الحركان، والخلف المعروف بالأطر لأنه رجل أبكم، وصالح البقمي، ومنصور الهقاص وهو من الذين كان الوالد تعامل معهم، رحم الله حيهم وميتهم، ثم آل بناؤه إلى عمالة أجنبية كما هي الحال في كثيرٍ من المهن، وحين بنيت الكمر في بيتي في حي الأشرفية بناه عامل باكستاني، أعود إلى بيت عمي وخلف الوجار مستودع ضيق للحطب ويسمى الطاق،

وبجوار الطاق مخزن صغير لحفظ ما زاد من القهوة والسكر والشاي والهيل . وتسمى [صفة القهوة] ولقهوة عمي أربعة مصاريع اثنان شمالا واثنان جنوبا وكان عمي عليه رحمة الله ورضوانه يجلس بين المصراعين الجنوبيين ويكثر الخلوة مع كتاب الله، وعن القهوة جنوبا ليوان آخر وبه غرفة خاصة وبوسطه مكان لتصريف المياه حين تغسيل الضيوف بعد فراغهم من الأكل . ولأن الماء في المنازل قديما ليس عامًّا لكل المنزل بطريقة الشبكة فقد كانوا يضعون ماءً في إناء ثم نقوم ونحن صغار بصبه على أيدي الضيوف ؛ والقهوة التي تكون على ليوانين تدل على الجاه .

والصبرة تأجير طويل الأجل وأغلب التصبير يكون خمسمائة عام أو ألف . وأظن أنّهم كانوا يلجأون إلى هذه الطريقة بسبب أنّ القلة القليلة كانت تستطيع الشراء الفوري بسبب قلة ذات اليد عند أغلبهم . كما أن الإيجار يكون بمبلغ قد لا يستطيع توفيره سنويا . لهذا لجأوا إلى الصبرة . التي تكون أقل كثيرا من قيمة الإيجار . والصبرة

تسمى في بعض المجتمعات ﴿ الحِكْر ﴾

أعود بك إلى ما بين الأقران بعد هذه السانحة الفكرية: أصل كل علم قرأتَه أو سمعتَه من علوم هذه الدنيا، أصل كل هذا خاطرة تقدح في ذهن العالم لا يتجاوز مرورها إغماضةً لعينك، فالموفق يغتنم تلك الخاطرة ويقيدها فما يكاد ينتهي من قيدها إلا يجد من بناتها ما يسره ويغريه بالكتابة، وإنَّ المرء ليعجب كيف تكون نواتج هذه الخواطر وكيف تكاثرت ثمارها، فعليك أن تقيد ما قدح به عقلك من خواطر ستكون -إن شاء الله- بذرة صالحة لعلوم جمة، ولك أن تعتبر بهذه النخلة المباركة الباسقة التي طاب ثمرها وكثر نفعها فلا تجد شيئًا منها إلا له منفعة ثم انظر إلى ضآلة النواة التي نشأت منها هذه الشجرة المباركة. !

ورد في كتاب الأدب والمروءة لصالح بن جناح اللخمي رحمه الله: [أما ما يسمع من كثيرٍ من الحكمة فإنَّ أوله شيء يخطر على الأفئدة إذا خطر، وهو أصغر

من الخردلة وأدق من الشعرة وأوهن من البعوضة ثم تحركه الألسنة وتنبذه الأفئدة . . . فيعود أكثر من الكثير . . . وأثمن من الجوهر] أهـ ، وإذا رأيت كتاًبا سوَّد مؤلفه مئات الصفحات وأودعه الكثير من المجلدات فإنَّ هذا لم يولد جميعه في ساعة واحدة ولكنه نما وشبَّ حتى وصل إلى ما ترى وأصله ومبدؤه خاطرةٌ وَمَضت في ذهن المؤلف، وإني لأمسك بالقلم وفي ظني وتدبيري بأني سأكتب سطرًا أو اثنين فإذا بقلمي يسيل والأفكار تتقاطر . فالهمة الهمة فما أحوج الأمة

التحريش بين الأقران

وهذه سانحة تعود بك إلى ما بين الأقران من الفتية من التحريش وتهييج العراك بينهم . فإذا اختلف فتيان واحتد بينهما الخلاف يقفان وجهًا لوجه ثم يقوم أحد الحضور بإنجاد فتيل الخلاف بينهما قبل أن يصطلحا

فتذهب المتعة في مشاهدة التعارك، فيأخذ حفنة تراب ويمسكها بيده فيضع يده بين المتخاصمين ويردد ألفاظًا يستثيرهما بها، ويستمر بالترديد حتى يقوم أحدهما بنبذ الحفنة إلى وجه صاحبه بعدها يبدأ العراك. ! !

في مدرسة الضليعة

وكانت بعض المدراس تسمى باسم الحي الذي تقام فيه ومما أذكره من مسميات مدارس الأحياء :مدرسة البحيرية وسميت فيما بعد مدرسة عبدالرحمن الغافقي، ومدرسة الشعيبية وسميت مدرسة صلاح الدين، ومدرسة الحيالة وسميت مدرسة المأمون. ومدرسة الحلة وسميت مدرسة طارق بن زياد . ومدرسة الجناح وسميت مدرسة علي بن أبي طالب .

مدرسة الضليعة وسميت فيما بعد مدرسة الفاروق وأسست عام ١٣٧٤هـ . وكانت في مبنى طيني في

حارة الضليعة التي تقع غربا عن حارة البابية وشرقا عن باب شارخ وحارة الضليعة محلة عامرة بمحالها وسكانها وكثرة حركتها فهي تشبه البلدة الصغيرة. كان دخولي لمدرسة الضليعة[الفاروق] وأنا في الصف السادس. والمدرسة انتقلت قريبا إلى مبناها الحديث وهو مكانها الذي مازالت فيه حتى كتابة هذه السطور ٢٥/جمادى الأولى/١٤٣١هـ،وهي تقع جنوبا عن حي البابية وشمالا عن حي أم الخوابي. والمدرسة عندما كنا ندرس فيها كانت من غير سور فكنا نؤدي الطابور الصباحي وحصة التربية البدنية وكأننا خارج المدرسة. ومع أنَّها من غير سور إلا أنّي لاأذكر أن حالة هروب حصلت من المدرسة.

خريج الابتدائية:

خريج الابتدائية يعد من حاملي الشهادات وكان اسمها الشهادة الابتدائية ومما يبين مكانة هذه الشهادة أن الطلاب يوزعون على لجان بضم مجموعة من طلاب المدارس ليؤدوا اختباراتهم في مدرسة واحدة وكانت الأسئلة موحدة لجميع الطلاب على مستوى المملكة، والاختبار في المدينة يبدأ بساعة واحدة وهناك أرقام جلوس والتصحيح للإجابة على طريقة المجهول أي أنّ المصحح لا يعرف صاحب الورقة التي بين يديه فلكل ورقة رقمٌ سري لا يعرفه إلا أعضاء اللجنة، والنتائج تعلن في المذياع بيوم واحد لجميع أبناء المملكة، ومن سوانح هذا الأمر أن أقول لك إنّ إعلان النتائج في سنة تخرجي ١٣٨٨هـ بدأ بعد صلاة الظهر واستمر المذيعون يتعاقبون على قراءة اسماء الناجحين ما يقرب من تسع ساعات فلم يصل إلى مدرستنا إلا بعد صلاة العشاء.

أول مشهد عقوق في حياتي

ذكرت لك في سانحة سابقة أول مسمع عقوق، وفي حجة عام ١٣٨٩هـ أديت مع والدي ـ رحمه الله ـ فريضتي. وكان سفرنا على سيارة ـ شاحنة ـ من نوع مرسيدس عايدي وُضِعت على هيئة طابقين يفصل بينهما طبقة خشب القسم الأعلى المكشوف للرجال والأسفل للنساء . وفي قسم الرجال فتحة تتسع للنزول والصعود إلى قسم النساء، ومناولة شيء مما معهن للرجال كالكليجاء وقرص العُقيلي. وسائق السيارة هو سليمان المحمد المصري ويعاونه فلان القشيميط رحمهما الله. وفي طريقنا إلى مكة وقفت على أول مشهد عقوق في حياتي ، فكان في صحبة الحملة امرأة غاب عنها ابنها فترة من الزمن فرقت حالها حنانًا عليه واشتاقت لرؤيته، وهي تعرف أنه بمدينة عفيف يعمل بورشة سيارات فلما وصلنا إلى عفيف طلبت أن تقف السيارة بجوار الورشة ليحضر ابنها إليها وقفت السيارة ولكن الابن رفض أن يقابل والدته

فسارت الحملة وكبد الأم تتقطع على ابنها .

وهذه سانحة فكر ثم أنقلك إلى سنوات الطلب في المعهد العلمي : قد تتردُ في تأليف كتاب ترى فيه علمًا وصلت إليه ، أو تدع تدوين رأي وثقت من صوابه، تترد لأنه وقع في نفسك حسد فلان أو انَّ المسألة التي وصلت إليها قد لا تلقى قبولا في زمانك هذا فتتقاعس وتهجر ما فتح الله به عليك، ولكني رأيت فيما سلف من الناس أنهم وضعوا كتبهم مع ما وجدوا من حاسد ؛ وحين طوى الزمان الحاسد والمحسود ،وفني بعدهم من يعرف الحاسد والمحسود ، وتعاقبت القرون فنسي اللاحق ما كان من أمر السابق، رأيت من يحتفي بما خلَّف القوم ويقرأ ما كتبوه عادًّا إياهم من أهل العلم وقبلها الناس وأخذوا بها ،أقول فإن أنت وجدت في نفسك شيئًا من هذا فاكتب ما فتح الله به عليك وسيأتي زمان لا يعرفك الناس إلا من خلال ما كتبت، فسيحي قومٌ لا يجدون بينك وبينهم ضغينة، فيحتفون بما سطر قلمك ويعدونك من أهل ذاك العلم

الذي يُحتذى، وهذا كثيرٌ فيمن سبق وحضر وسيكون فيمن لحق أيضا ، حيث رأينا أعلامًا كانوا في زمانهم من ذوي العلم فتنكر لهم أقرانهم بالتحسيد أو الحسد ؛ لكن شرط الشروط الذي يجب أن لا يفارق قلمك وأن تكون محبرتك مملوءةً به هو الصدق والإخلاص لله فلن ينفعك اغترار الناس وإعجابهم بما كتبت ولن تجد حلاوة الثناء إن كنت ممن يترقبون سماعها فأنت حينها تحت الثرى، والحقيقة المؤيدة بما يرضي الله هي التي تسرك ميتا ، والحقيقة في زمن ما قد يحجبها هوى المعاصرة، أوحب التفرد بالمسألة ممن يخالفونك أو يحجبها شيوع خلافها بين الناس وهذه لا يمكن أن تدوم لأنها بنيت على غاية جيل من الناس وهؤلاء لن يكتب لهم الخلود ، فسيأتي من يراها من غير درن النفوس، وسينتفع بها أهل القرون اللاحقة ؛ ومن عجيب ما وقفت عليه من خُلق بعض الناس أنهم إلى غمط أوجهل منزلة القريب منهم ،والحيدة عن إحقاق حقه أقربُ منهم إلى إنصافه، والموفق من وفقه الله إلى فقه

هـذا الأمـر فلـم يعـزُ قصورهـم في إنزالـه منزلتـه إلى حسـدٍ أو ضغينـة ،وإنمـا هـي مـن بـاب :

والتّبرُ كالتُّربِ مُلْقىً في أَمَاكِنِهِ
والعودُ في أرضِهِ نوعٌ من الحطب

مع أنه لا محيد من القول بتسلل الحسد أو الضغينة أو الغيرة إلى بعض النفوس، ولكنَّ الحقيقة التي أردت الإشارة إليها هي العجب الذي لا ينقضي من تأصل هذا الخلق في النفوس؛ و العاقل لا يلتفت إلى ما يمسه من حر وحرقة يجدها من الأدنين قرابةً أو صحبة،فكلا الطائفتين فيهما شرذمةٌ موكلةٌ بالتنغيص،نسأل الله السلامة والعافية .

من سنوات الطلب العلمي:

وأنقلك إلى سوانح الطلب العلمي فبعد تخرجي من الابتدائية [مدرسة الضليعة»الفاروق» دخلت المعهد العلمي وهويقع في حارة الشريمية التي تقع في الشمال الغربي

عن حارتنا البابية وهو قريب المسافة فلم أجد .ولله الحمد .معاناة في الذهاب إليه كمعاناتي حين كنت في دراستي في المدرسة السعودية عندما كنا في حارة أم حمار؛ والمدرسة في الشريمية.

كانت سنوات الدراسة في المعهد أول دخولنا إليه خمس سنوات، والمواد مقصورة على العلوم الشرعية والعربية. ثم أضيف عليها سنة سادسة وأدخلت على القسم الثانوي مواد علمية وتربوية، كان الهدف منها إعداد الخريج للعمل معلمًا للمرحلة الابتدائية، ولا أنسى معاناتنا من المواد العلمية فقد أعيدت لنا دراستها بعد طول انقطاع عنها، وأرى أنَّ إدخال هذه المواد حرف المسار العلمي للمعاهد، وأبعدها عن هدفها الذي أنشئت لأجله، وهو التخصص في العلوم الشرعية والعربية، وقد أمدت هذه المعاهد المجتمع بأناسٍ أكفاء في علوم اللغة والشريعة.

ومما سنح ذكره هنا أن تعرف أنني من أقل الناس حظًا في علم الرياضيات ونظيري في هذا هو صاحبي حمد بن إبراهيم القنيبط أبو أسامة. فلم يكن أسعدَ مني حظًا في هذا. وكنَّا في مسجد البابية وهو المسجد الذي نذاكر فيه نقضي وقتًا طويلا في محاولات مضنية لفهم نظرية هندسية أو مسألة من مسائل الجبر أو حساب المثلثات. ومما أذكره أننا لم نُمْسك من علم الهندسة إلا لفظتي [بما أن وإذن] ففي الاختبار نكرر هذين المصطلحين مع انتقاء ما نراه من أرقام انتقاءً عشوائيا غير مبني على معرفة فنقول: بما أنّ كذا يساوي كذا إذن فهذا يساوي كذا فنردد كتابتها حتى نرى أننا بلغنا الغاية. فنصيب ونخطيء ولكننا في النهاية تجاوزنا من غير حصيلة ولازاد في هذا العلم والحمد لله على كل حال، وأخي حمد القنيبط لم أر أبرَمنه بوالديه، وحين كنا طلابًا في المعهد العلمي، وأظن هذا في عام ١٣٩٣هـ، كنا ننتظر الإجازة ونستعد لرحلةٍ في الغميس وهو أرض الغضا

والرمال، وفي أول يوم من الإجازة مُرض والده ١٣١٣هـ ـ ١٣٩٧هـ عليه رحمة الله وأُدخل المستشفى فترك الرحلة برًا به ولازمه مدة بقائه في المستشفى، والأعجب من هذا أنه كان في سنٍ لا يُستغرب معها قلةُ الاكتراث في مثل هذه الأمور، لكنه توفيق الله !،وشأنه مع والدته رحمها الله لا يقلُّ إن لم يزد مع شأنه مع والده، وللفائدة فليس وحيدَ أبويه فله أخوةٌ يستطيع أن يتساهل بالبر ويقيمَ أحدَهم مكانه، لكنه لا يرضى إلا أن يقوم هو بذاك.

ومن الأخطاء في التعليم أن يجبر الطالب على اجتياز جميع المواد خاصةً إذا كان موهوبًا في مادة معينة، ومما أذكر هنا أنَّ طالبًا كان معروفا بين زملائه ومعلميه بإتقان مادة الرياضيات لكنه مخفقٌ في الإملاء، وبقي يرسب أكثر من سنة في إحدى سنواته الدراسية فلما يئس ترك المدرسة، فماذا على التعليم لو غضوا النظر عنه في الإملاء واحتضنوه فيما وُهب؟

أعود بك إلى سوانح الطلب في المعهد العلمي ذلك باننا علمنا بأنَّ الفريق البرازيلي لكرة القدم الذي كان من ضمن أفراده لاعب استحوذ على شهرة كبيرة واسمه [بيليه] سيزرون الرياض، وأظن هذا في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م. فأعددنا العدة للذهاب من عنيزة إلى الرياض ولاأذكر من زملاء هذه الرحلة إلا منصور بن إبراهيم السعدي/ واستأجرنا سيارة كان قائدها مرزوق المطيري/ أبا عيد. وهو رجل طوال ويضع على عينيه نظارة ويظهر على وجهه آثار مرض جلدي أظنه الجدري. ولما قد يفاجئه في طريقه فقد وضع تحت كرسيه عجراء وهي العصا الغليظة. فشاهدنا اللعب، وللعلم فلم يكن دافعنا حب الرياضة وإنما هو الوقوف على حدثٍ لا أظنه يتكرر.

ومما تغير علينا فجأة في نظام الدراسة في المعهد الفرق الكبير بين جدية الدراسة في المعهد العلمي ومرونتها في المرحلة الابتدائية. وكذلك الفرق الكبير جدًا بين

معلمي المرحلتين، فالمعهد كان متوجًا بعلماء أجلاء أمثال الشيخ محمد الصالح العثيمين والشيخ عبدالله الحسن البريكان والشيخ علي المحمد الزامل والشيخ عبد العزيز العلي المساعد والشيخ حمد المحمد البسام والشيخ عبدالله العبدالعزيز الشبيلي والشيخ عبدالله الحمد الجلالي والشيخ محمد العامر . هذا في الجانب الشرعي، وفي الجانب اللغوي الأستاذ صالح السليمان العبيكي والأستاذ عبدالرحمن العلي التركي العمرو والأستاذ عبدالرحمن المنير النفيعي وتعلمت منه طرفًا من علم العروض ،والأستاذ صالح البراهيم العليان وسليمان المحمد السويداني . رحم الله الجميع وجزاهم عني خيرا ، كان مدير المعهد في أول دخولنا هو عبد الله اليوسف الشبل - رحمه الله - وواصل تعليمه حتى حصل على الدكتوراه في التاريخ، وختم عمله الوظيفي مديرًا لجماعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعندما كنا في حارة الجديدة كنت أراه في المسجد في رمضان يتدارس القرآن مع إمام المسجد الشيخ إبراهيم

بن عبد العزيز الغُرِّيِّر رحمهما الله، وتولى إدارة المعهد بعده محمد بن عبد الله الحُمَيدي، والمراقبون بالمعهد هم: عبد الرحمن العُمري، أبو صالح اليحي، ومحمد العيد، وعبد الله العبيكي.

ومقرر النحو في المرحلة الثانوية من المعهد كان شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومرَّبي في المعهد معلمان في النحو الأول كان يشرح لنا بأسلوب المحاضرة ويأتي للقاعدة بأمثلة من عنده تدل على تمكنه، والآخر يكتب أمثلة شارح الألفية على السبورة ثم يقوم بشرحها وكلاهما من الذين انتفعت بهم كثيرًا .

ومن الفروق بين المرحلتين ما يظهر من وقار على نظام التعليم في المعهد فلا اصطفاف صباحيا ولا تربية بدنية ولافنية، ولاأفنية للعب والترفيه وهذه إن أفقدتنا شيئًا من الترفيه فقد أكسبتنا الجدية في الحياة، وهذا ما قاله أحد زملائنا في التعليم العام بأنكم يا طلاب المعهد العلمي أكثر جدية منا .

هـذه النقلـة النوعيـة أحدثـت إرباكًـا لدينـا قبـل أن نسـتوعب هـذا الفرق. ما جعلـني أُخفـق في اجتيـاز السـنة الأولى سـنة دخـولي وهـذا الإخفـاق طـال مجموعـة كبيرة من زملائي ويبدو أنَّ هـذا الأمر معتـاد لـدى إدارة المعهد فالسـنة الأُولى بمثابة غربلة للطلاب فمن اجتازها فسيكمل تعليمه في المعهـد، مـن السـنة القادمـة تغير الأمر لـدي كما هـو لـدى كثير مـن الزمـلاء فقـد اسـتطعنا التكيـف مع هـذا المتغـير التعليمـي والبقـاء سـنتين في صـف واحـد هو آخر رسـوب مـررت بـه في حيـاتـي التعليميـة ولله الحمـد، فبـدأت عامـي الجديد بجدية ومن فضل الله علي فقد اجتزت السنة الأُولى بتفـوق وكان ترتيبي الثانـي علـى الدفعـة. ولازمـني التفـوق التحصيلـي خاصـة في الجانـب النحـوي، وفي السـنة الثانيـة فُتـح ولله الحمـد علـي في علـم الإعـراب، وهـذا مـن ثمـرات شـيخي حمـد المحمـد البسـام رحمـه الله، وهو مـن طـلاب الشـيخ عبـد الرحمـن السـعدي رحمـه الله ومـن المتمكنين في علـم الفرائض، ومـن المواقـف الـتي أذكرهـا عـن الإعـراب أنَّ

الشيخ/ صالح بن سليمان العبيكي . وهو من المتمكنين في النحو، حين انتقلت إلى السنة الثالثة متوسط رأى تفوقًا مني على زملائي في هذا الجانب فرغب أن يتأكد من هذا فطلب مني أن أعرب بيت أحمد شوقي رحمه الله الذي يقول:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقم

فلما فرغت من إعراب جملة: للأخلاق مرجعه . مع ما فيها من تقديم وتأخير وموقع إعرابي . هز رأسه وقال : أمرك عجيب يا عمر ، اجلس، والشيخ صالح ممن تعلمت منهم العلم وتعليمه ، فقد تأثرت بطريقة شرحه وجعلتها من أساليبي حين مارست التعليم .

و بقيت علاقتي بالنحو واللغة حتى كتابة هذه السطور، وفتح الله علي فألَّفت في النحو وعلومه خمسة كتب هي: إعراب أحاديث الأربعين النووية، وقواعد

ومصطلحات في اللغة والإعراب، والمسائل العُمرية في النحو ونظرات في سر العربية؛ ومِن التأكيدية وأخواتها دراسة بلاغية نحوية، الوساطة العُمَرية بين ابن مالك ومدلسيه، وشرحت شرحًا صوتيا كتاب قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام رحمه الله. وفي اللغة كتاب دراسة لواو الثمانية.

وهذه سانحة عن حياتي في التأليف ففي عام ١٤٣٢هـ كنت أقرأ في علم الأنساب وكنت أيضا في هذه الأثناء أرسم خطوط بحثي الذي أصبح بعد اكتماله بعنوان ﴿مِنْ وأخواتُها مؤكِدات لازوائد دراسة نحوية أسلوبية لثمانيةٍ من حروف المعاني﴾ وأرواح في تقسيم الوقت بينهما إلا أن الهوى إلى مباحث علم النسب كان أميل كفة؛ وفي أحد الأيام كنت خارجا من صلاة جنازة بعد صلاة العصر، وكان البحثان لا يفارقان تفكيري، خرجت من المسجد وأنا أفكر في التفرغ للبحث في علم الأنساب وأؤجل البحث الآخر وأنا أفكر بهذا أدركن ربي فإذا بي أتلو بتلقائية قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي

هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ (٦١) سورة البقرة. فكانت هذه فاصلةً قاطعة باتخاذ قرار حاسم مؤكد باني لن أقدِّم البحث في علم الأنساب على هذا؛ وللإيضاح فإن مبحث ﴿ مِن وأخواتها ﴾ مما جعلته خادمًا لكتاب الله. أنهيت هذا الكتاب ولم أعد إلى مباحث الأنساب ولا أظني عائدًا لأنه علم تبين لي أنه لا يمكن أن تقالَ فيه كلمةٌ أخيرة، والخوضُ فيه تعريضٌ للنفس وجعلها هدفًا للرماة، ويكفي منه بلغةٌ تعرف بها أصولك ونسبك لتصل رحمك وهذا ما وقفت عنده، كذلك من دواعي ترك البحث فيه أني رأيتني كلما مضيت في القراءة فيه أحسست بقسوةٍ في قلبي، وأني أجد أحيانا أني أكتب حرفًا أسيء به إلى غيري، ولا أدري هل وجدها غيري أم لا، كذلك مزلة الهوى تكون سريعة لك أو عليك أو على أحد من إخوانك المسلمين، وزاد يقيني حين عرفت أنَّ اثنين من أجلةِ العلماء ـ رحمهما الله ـ كانا في حياتهم ملْ العين والأذن، ثم بعد موتهم انقطعت السبل بعلمهم وانطمس أو ضعُف ذكرهم، وهذا

بسبب ما سطروه في كتبهم عن الأنساب، وبمقابل هذين هناك علماء لم يتعرضوا لعلم النسب في كتبهم ولا حلقاتهم لا بنفي ولا إثبات، وقصروا علمهم وتعليمهم على «قال الله وقال رسوله « وهذا من توفيق الله لهم،ومن عجائب العجب أنهم أصبحوا بعد موتهم أكثرَ رفعةً وذكرًا ، وقيض الله لهم من يقوم بجمع علمهم وطباعته ونشره، ولا شك أنَّ الحياة بعد موتهم أطول مُما عاشوه وسيبقى علمهم ينتفع به ، وومن أعرف من الذين علا ذكرهم الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد العثيمين عليهم رحمة الله .

عودة إلى المعهد العلمي وكان مما حفزنا على الجدية أن نظام المعهد يُمْهل الطالب سنةَ رسوب في أي مرحلة ثم يفصل من المعهد إن رسب سنة ثانية، فخشيت إن أنا بقيت أن يجري علي ما جرى على لُبَد؛ ولبد هذا هو المذكور في دالية النابغة حيث يقول عن ديارمية:

أَمسَت خَلاءً وَأَمسى أهلُها احتملوا
أَخنى عَلَيها الَّذي أَخنى عَلى لُبَدِ

ومما يذكر عن لُبَد أنّه اسم لنسر للقمان بن عاديا وللقمان سبعة نسور أطولها عمرًا هولبد؛ وقوله أخنى عليها أي أتى عليها مايفنيها.

ومن محاسن رفع الدراسة إلى ست سنوات. أنّه أعطى فرصة للتوظيف لمن لايريد إتمام دراسته؛ وذلك أنّ جهات التوظيف اعترفت بالشهادة المتوسطة فأصبح حاملها يستحق المرتبة الثانية والشهادة الثانوية حاملها يستحق المرتبة الرابعة وهذا أغرى بعض الطلاب بالالتحاق بالوظائف الحكومية والأهلية.

ومما بقي من سوانح الدراسة في المعهد العلمي أن أذكر لك أنَّ أحد معلمينا ـ عليه رحمة الله ـ يحب التباهي بمعرفته للنحو فكان يتعرض في مادته لسؤالنا في الإعراب فإذا حُدْنا عن الإجابة الصحيحة سألنا سؤال تعريض

بمعلم النحو فيقول: من الذي يدرسكم النحو؟ !يسأل مع علمه من هو. وكان بعض الطلاب ظريفا فكانوا يجيبون معربين إعرابًا بعيدًا عن الصواب مع علمهم بالإجابة الصحيحة ولكنهم يريدون أن يستزيدوا من هذا الموقف.

بدايتي مع الرحلات البرية

وفي دراستي بالمعهد دخلت مرحلة الرحلات البرية التي لم يكن والدي عليه رحمة الله متشددًا في رفضها لما يرى فيها من صقل للشاب وإنماءٍ لحياة الرجولة فكونتُ مع صحبة كرام مجموعة أنزل الله بيننا الألفة حيث ظلت العلاقة مع بعضهم منذ ذلك الحين/١٣٩٠هـ حتى كتابة هذه السطور١٤٣٤هـ فما زلنا نجتمع في الأسبوع مرتين.

وكانت رحلاتنا إلى الغميس الذي سبق الحديث عنه، ومدتها ليلة أو ليلتان، وفي الأعياد تمتد فتكون بمقدار مدة الإجازة. وكان هذا المتنزه مليئًا بأشجار الغضا وهو

على هيئة قريبة من الغابات، ولكن الاحتطاب الجائر وكثرة السيارات وكثرة إنشاء الطرق المارة به والتي اخترقته كثيرًا أضرت بالغضا .

ولعلي اخترق هذه المرحلة من العمر فأقفز بك إلى سانحة فكرية هي من سوانح البحث العلمي، وهي لا شك أتت بعد مرحلة متقدمة؛ فأنا أحدثك عما سنح بعد سن تقرب من الخمسين عن سن الطلب في المعهد العلمي،عن سانحة جاءت بعد التقاعد والتفرغ للبحث والمدارس .

فمن تجاربي البحثية

١ ـ إذا كنت تعالج مسألةً علمية وقطعت مرحلةً من البحث والتدوين، ثم أصبحت المصادر أو المراجع التي بدأت تطالعها تستشهد بمصادر ومراجع وتنقل نقولات عدت إليها وأثبتَ منها في بحثك فإذا تكرر عليك ورود

هـذا، فاعلم أنك بلغت من التقصي ما يمّكنك من النظر فيما جمعت ويعينك على إصدار حكم عِلمي على هذه المسألة. فإن لم يستبن لك أمرٌ تعزم عليه فنَحِّ عنك القلم والورق واسترخ مدة تجعلك بعيدًا عن بحثًك، وأشغل نفسك بآخر، فحين تعود سينفتح لك. بإذن الله. مذهبٌ تطمئن إليه.

٢ ــ قد لا تكون دوافع التأليف في موضوع ما مقصورةً على إضافة جديد على هذا النوع من العلوم إذ قد يكون من دوافع هذا إضافةُ علم للباحث وتوسيع لمداركه حول هذا الفرع، ومن ثم تأتي إضافة ما ظهر له من جديد أثناء بحثه؛ فلا يُقعِدنَّك عن العمل ضعفُ ما تجد في نفسك من قدرةٍ على الإضافة، وهناك أمرٌ من الممكن أن يخفى عليك وهو ظنك بأنَّ إضافتك ليست ذات بال في بابها، ولكنها عند غيرك بمنزلة، ومن الفوائد التي لا تأتي على بال أنَّ هذه الفائدة على ضعفها بمقياسك ستُذكّرُ آخر وتفتحُ له من منافذ البحث ما لم يخطر لك على بالٍ.

٣ـ بعض ساعات البحث العلمي تكون حُبلى؛ لهذا فمن أنفع موضوعات البحث وآثرها على النفس ما وُلد في ذهنك وقدح في خاطرك أثناء قيامك بدراسةٍ لمسألةٍ علمية، فإنَّ المولود في هذه الحالة يكون قريبا إلى النفس سهل التناول قريب المأخذ؛ ومن أبهج وأشهى ثمار البحث العلمي أن يُسلِمَك بحثٌ إلى بحث فتبقى راتعًا في جنان هذه السلسلة الذهبية؛ لذا كان من الأحق بأي فكرة تخطر بذهنك أثناء بحثك أن تُعجّل تدوينها؛ واحتفِ بها ولا تودعها ذاكرتك؛ والخواطر العلمية عزيزة النفس عظيمة الأنفة فإن لم تعطها ما تستحق من العناية قطعتك، وقطيعتها يصعب معها العَود.

٤ ـ من عجائب مسارات البحوث العلمية والدراسات أنَّ عنوان الكتاب والمقدمة هما من آخر ما يستقر في ذهن الباحث؛ فالعنوان يكون تحديده من خلال مسارات البحث؛ لأن الباحث يوجه قلمه نحو فكرة معينة وهذه الفكرة هي ما بعثه على البحث وليس العنوان، ثم أثناء

بحثه سيعرض على خاطره مجموعة من العناوين، وكلما سار قليلا خطر عنوان آخر، وإرجاء تحديد العنوان لا يعيق الباحث؛ لأنَّ الفكرة ـ وليس العنوان ـ هي التي دعته وهي التي تصاحبه في كل حرف يخطه؛ والجزم بتحديد العنوان لا يكون إلا بعد استكمال مسودة البحث، وهذا شبيه بالولادة البشرية فالجنين يتكون ثم يمكث ما شاء الله في الرحم وفي أثناء الحمل يمر على الأبوين مجموعة أسماء ثم يأتي التحديد المؤكد بعد الولادة

وأمَّا المقدمة فلا تستتم إلا في النهاية؛ لأن فقراتها تتوالد أثناء البحث. وهذا مما يؤيد أنَّ المقدمة لا يحسن إسنادها إلى غير المؤلف.

٥ ـ إذا نشرت كتابًا لا تبتغي به الربح فلا تقلل سعره فيزهدَ به القارئ.

٦ ـ جرت عادة بعض المؤلفين أن يقتطع فقراتٍ من كتابه يضعها خلف غلافه الأخير فإن أنت اخترت فاختر مزيجًا

من مائدة الكتاب واجعل القارئ يتذوق كثيرًا مما حوته تلك المائدة ليكون أدعى لفتح الشهية ولا تقتصر على فكرةٍ واحدة.

أعود لطلاب المعاهد العلمية فلهم ميزة يتميزون بها عن طلاب التعليم العام وهي المكافأة الشهرية وقدرها مائتان وسبعُ ريالات. وكانت مبلغًا يكفي كثيرًا من حاجات الأسرة. ومن الفروق عن التعليم العام أنّ أسئلة الاختبارات تأتي من الرئاسة العامة للمعاهد العلمية والكليات في الرياض ولايضعها معلم المادة وهذا يحفز معلمي المعهد على إتمام المقرر والعناية بجميع أبوابه فالمعلم يعد طلابه لأي احتمال أو مفاجأة؛ كانت عناية واضعي الأسئلة واضحة في النحو عامة وفي الإعراب خاصة إذ من المعتاد أن يطلب منا إعرابٌ في مادتي التفسير والحديث. ونظام جدول الاختبارات يكون يوما اختبار ويوما راحة، مايجعل الطلاب يصابون بالملل فمدة الاختبار تصل إلى أربعة أسابيع؛ وكان من طريقتي عند استلام الأسئلة في

قاعة الاختبارات أني لا أقرأها جملة واحدة بل أضع ورقة الإجابة على ورقة الأسئلة ثم أبدأ بالقراءة ومن ثم الإجابة فقرة فقرة فلا أضمن مفاجأة بسؤال صعب يشوش علي تفكيري ويبدد تركيزي ولنجاح هذا المسلك معي فقد اتخذته منهجًا حتى أنهيت دراستي الجامعية، وكنت أنفر كثيرًا من مراجعة الإجابة بعد خروجي من قاعة الامتحان فما عساي أن أفعل حين اكتشف نسيانًا أو خطأً في فقرة من الفقرات. !؟

إليك هذه السانحة الفكرية ثم العودة إلى الاستذكار والمذاكرة: هناك منهج أخذت به في حياتي مع التأليف، وأرى أنه جدير بأن يأخذ به غيري، وهو منهج ذكرته في كتابي «وثائق ودراسات في التاريخ الاجتماعي» حيث قلت هناك: «وحين يدور الإنسان حول إحساسين الأول أنه امتدادٌ وليس نقطةَ بداية، والثاني أنه سيكون نقطة بداية لها امتداد، فإنَّ الإحساس الأول يحفزه إلى معرفة الجذور للبحث عن فضائلهم ومنجزاتهم، ونشرها والثاني

داع إلى الإسهام بحركة التاريخ الذي يعيشه، ليكون هذا داعمًا لامتداده» وبمرور الأيام سيرتقي هو من غصنٍ إلى جذر.

كان الاستذكار في أيام طلبنا أغلبه في المساجد وقد يكون السبب في تفضيل المسجد على البيت صعوبة بعض المواد ما يتطلب وجود زملاء يتعاونون فيما بينهم، وقد يكون السبب الرغبة في تسلية الأقران لبعضهم بما يتخلل هذا من جلسات استراحة. ومواقف طريفة. كما أنَّ متابعة الأسرة لأبنائها ليست من المتعارف عليه في ذلك الوقت؛ وهذه المتابعة وصلت الآن إلى دركة مقيتة حولت المنازل إلى مدارس مسائية. ومما كنت أنادي به عندما كنت معلما ألا يعوَّل على البيت بأي مشاركة في متابعة ابنائهم فأهلهم أرسلوهم للمدرسة ليتعلموا بطريقة مفصلة لا بطريقة تمهيدية تبدأ بالمدرسة وتنتهي بالمنزل. !

لا تكره

أن سقط فلانٌ من صحبتك، فلا يبعد أن يكون هذا لطفًا خفيا أكرمك الله به، لا تكره أن منعك فلانٌ يدًا كنتَ تؤمّلها منه فقد لا يكون أهلاً لأن يصنع بك معروفا؛ فأنت عنَد الله منه أكرم .

من جيراننا في حارة البابية

وابتعد قليلا عن التعليم لأذكر لك هذه السانحة المتعلقة بأسماء العوائل من جيراننا في حارة البابية. رحم الله أحياءهم وأمواتهم. وبيتنا شارعه شمالي و يبلغ عرض الشارع قرابة ستة أمتار؛ وجارنا من الغرب مساعد الخالد السليم و عمل في تلفزيون القصيم ثم وكيلا لمحافظة عنيزة، توفي مسافرًا للعلاج إلى في أمريكا من مرض السرطان يوم الأحد ١٤٤٠/١١/٤هـ، رحمه الله، يظهر عليه الهدوء ورأيته إذا فرغ من النافلة يطيل الدعاء بعدها، ومن الشرق محمد العبدالرحمن الخويطر وهو من أصحاب الحفارات الإرتوازية ثم فتح محلاً لبيع مواد البناء ومن الجنوب حمد العبدالله الصخيبر، وفي الجهة المقابلة صالح إبراهيم الحسيني وأخوه عبدالعزيز الإبراهيم الحسيني، وفهد الرُّشَيد والجيران الذين سأذكرهم هم من كان يجمعهم مسجد البابية لأني أرى أن جماعة المسجد وإن تباعدت منازلهم إلاّ أنّهم جيران. فمنهم عبدالرحمن

الشايع الخشيبان وعبد العزيز السليمان القرعاوي وعبد الله العثمان المرعول وكان صاحب ورشة لإصلاح السيارات ومحمد السليمان الخشيبان وغنام الحمود الكعيد وخلف المحمد الميموني] مؤذن المسجد وأمير حملة حجاج الضليعة وحمد الصالح الشنيفي وهو ممن تولوا إدارة مكتب العمل ومحمد الحسن الدبيان وهو استاد طين « معلم بناء « وأخوه حمد ، ومحمد العريني ، ويحي العبد الله السليم وابنه عبد الله أبو عمر تولى محافظة عنيزة فترة من الفترات،وعبد الرحمن الفهيد وإخواه أحمد وسعد ، وعبد العزيز المطرودي أمير سابق للعوشزية ومحمد العبد الرحمن المخيمر وعبد الله الخياط وتوفي بالفشل الكلوي رحمه الله وهو من أحفاد علي الخياط الشاعر الفارس الذي ذاعت شهرة قصيدته وعبد الرحمن السعيد والغنايم وعبد الله المحمد الميمان خال الوالدة وعبد الرحمن المخيمر وعبد الرحمن الصالح الشبل سبط الشيخ عبد الرحمن السعدي وصاحب صيدلية الشبل وهي من أقدم الصيدليات في عنيزة

ومحمد العبد الرحمن الجمل تولى إدارة شركة كهرباء عنيزة فترة من الفترات وعلي وعبد الله الحمدان ولهم تجارة في بيع السيارات ﴿ داتسون ﴾ وقطع غيارها ، وسليمان البراهيم الخراز وهو إمام مسجدنا مسجد البابية وهو من مواليد ١٣٤٧هـ وتوفي يوم الأثنين ٢٣/ جمادى الآخرة / ١٤٣٣هـ، وصلينا عليه من الغد عصر الثلاثاء في جامع ابن عثيمين ؛ وهو أول من تولى الإمامة ،وصليت خلفه ما يقرب من خمس وثلاثين سنة فكان محافظا على الحضور ولو ذهبت لأحصي ما غاب به في هذه الفترة فلا يكاد يجاوز عد أصابع اليد رحمه الله، وأحيانا يكون في قرائته إطراب لا يُمل وتخشيع، وكان حارسا لمدرسة البنات التي في الحارة وفي فراغه يكثر من تلاوة القرآن وفي الصيف، حين تغلق المدارس يعمل صناعة اللِّبن من الطين ، وعمله في ساحة تقع جنوبا عن بيته ثم بعدِ فترة بنيت هذه الساحة مقرًا لجمعية البر الخيرية ، وأدركت والده شيخًا وكان ملازمًا له في إحضاره للصلاة، وأول وقت صلاه هو صلاة ظهر .

سمعت هذا منه، ومن الجيران ماجد العتيبي وهو من المكثرين لتلاوة القرآن الكريم، وعبدالله السليمان القاضي وعبدالله الناصر النعيم وعبدالله البراهيم المنصور الزامل وحميدان العبدالله الحميدان وصالح وعلي وعبدالله العصيل وصالح الشوشان وحمد البراهيم الصريخ ومحمد العبدالله الحميدان تولى فترةً الآذان في مسجد البابية وعلي البراهيم المذن وعبدالله وصالح وعبدالرحمن المحمد اليحي الموسى وعثمان العبدالله الحميدان وإبراهيم المحمد الصيخان وإبرهيم الحمد السلوم ومحمد الحمد المذن وزامل البراهيم السليم حفيد الأمير زامل السليم قتيل المليداء، وعلي العبدالله الزويهري مدير البرق ومحمدالسليمان الخويطر عضو هيئة النظر، وعبدالعزيزالعبدالله الفوزان ولد عام ١٣٤٥هـ و توفي بتاريخ ١١/ شوال/١٤٣٣هـ رحمه الله . وعبدالعزيز المحمد السلوم وناصر السليمان المزيني وهو من معلمي متوسطة ابن صالح وعبدالعزيز العبد الهادي ويحي الذكير ومحمد الخالد السليم [أميرسابق لعنيزة]

وسليمان المحمد الرميح صاحب بقالة الرميح وهي من أقدم البقالات في عنيزة وأعرفها بما يزيد على خمسين عاما قبل كتابة هذه السطور وكان مقرها السابق في شارع السلسلة تحت مبنى المكتبة العامة وهو إداري في متوسطة ابن صالح ومسؤول عن تسليم الرواتب، وسليمان العبد المحسن الحربي كذلك تولى فترةً الآذان في مسجد البابية ومحمد السليمان المرزوقي معلم لغة عربية وتولى إدارة متوسطة ابن تيمية خلق السماحة والمساهلة ظاهران فيه وحمد الصالح الحبيب صاحب مفروشات الحبيب ومركز الحبيب للأثاث هو وأولاده، وكان صاحب مندفة وصالح العمير صاحب محل لبيع الحبوب ومشهور بإيفاء الكيل ومحمد العمير معلم لغة عربية ورئيس جمعية البر الخيرية وأحمد المحمد المطرودي ومحمد الناصر السيوفي مفتش لغة عربية بإدارة التربية والتعليم وسليمان الحماد الشبل، وإبرهيم السليمان المنصور موظف بإدارة التعليم وصالح البادي، وعبد العزيز البادي وعبد الله المحمد المطوع وصالح

المحمد الخويطر وهو من المكثرين لتلاوة القرآن الكريم، وموظف بشركة الكهرباء وسليمان الريس وهو عمدة في تحديد أملاك الأثل، ومحمد الحمد العليان وعبدالله المحمد الهطلاني وهو من المكثرين لتلاوة القرآن الكريم والرمضي وشايع وحمد وصالح العلي الخشيبان ومحمد الضيف الله وسليمان الإبراهيم الحسيني رحم الله الجميع، وقد رأيت على جدار المسجد أنّه بني على نفقة حمد العلي القاضي عام ١٣٧٤هـ وجُدّد على نفقة ابنه باسل عام١٤٠٤هـ واسمه لدى دائرة الأَوقاف والمساجد [مسجد ابن تيمية]، وإمامه الآن عبدالله السليمان الجناحي. وأما الآذان فأول من أعرفهم ممن أذنوا فيه هو خلف بن محمد الميموني ثم عثمان بن ناصر الحليلة ثم محمد بن عبدالله الحميدان ثم سليمان بن عبد المحسن الحربي ثم عوض الحربي ولايزال هوالمؤذن. وكان مفتتح أذانه هو صالح الحركان الذي تولى مئذنة مسجد الجديدة رحم الله الجميع ،هذا ما أخبرني به سليمان البراهيم الخراز.

ما بعد المعهد :

وأعود بك إلى مقاعد الطلب فأنقلك إلى رحاب التعليم فعندما كنا في السنة الأخيرة في العام الدراسي ١٣٩٤هـ ـ ١٣٩٥ هـ من المعهد زارنا وفدٌ من كلية الملك فيصل الجوية ليشرحوا نظام الدراسة ويرغّبونا في الالتحاق بها فقدمت أوراقي أنا وصديقي حمد بن إبراهيم القنيبط وقُبلنا واتصلوا علينا لإنهاء إجراءات القبول ، والمتخرج منها يكون برتبة ملازم طيار ، ولكننا عدلنا عن رأينا ، ومن المفارقات التي أحدثها تبدل الأحوال أنهم كانوا في السابق يذهبون إلى الطلاب في أماكنهم لحثهم على الالتحاق بالمدارس العسكرية ، وأصبحت بعد زمن من المرغوب فيها كثيرا ولا يتمكن الطالب من دخولها إلا بشفاعة أحد الوجهاء أو المسؤولين والتحقت بالجامعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقدمت أوراقي إلى كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ وبعد فرز أوراق المتقدمين من قبل مسئولي الجامعة رأوا نقلي إلى كلية

اللغة العربية .حمدت عاقبة هذا الرأي فجزاهم الله عني خيرًا وأجزل مثوبتهم .

ونظام التعليم الجامعي في جامعة الإمام لا يختلف كثيرا عنه في المعهد العلمي فمدة المحاضرة خمس وأربعون دقيقة وهي تدخل وتخرج بجرس وهناك مراقب . هو عثمان النجران ، أبو أحمد. بل هو أبٌ لنا جزاه الله خيرًا ورحمه يمر علينا ليتأكد من الحضور وبعد المحاضرة الثانية فسحة إفطار؛ وممن تتلمذت على أيدهم علماء أجلاء رحمهم الله جميعا أمثال الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ ١٩٢٠ـ١٩٨٦م صاحب سلسلة صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين، وقد لقيته بعد تخرجي وحين عرضت عليه أن أقدم له خدمة قال لي: ما أريده منك دعوةٌ صالحة في ظهر الغيب ! وها أنا ألبي مطلبه فأسأل الله أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة . والدكتور عبد الرحمن من الذين يخرج قاريء كتبهم بتنميةٍ في أسلوبه

فهو من الذين يعتنون كثيرًا بتحبير ألفاظهم، وطلبه مني الدعاء مما استفدته منه فأقول لمن عرض علي خدمة من طلابي إذا لقيتهم أن أقول له ما أريده منك دعوةٌ صالحة في ظهر الغيب .

ومنهم الدكتور علي الجندي ومما أذكره عنه ولعه الشديد بشعر طرفه بن العبد ويسميه الشاعر المتمرد، ومع طول الفصل الزمني بين هذا الحدث وبين كتابة هذه السطور[٣٥عامًا تقريبًا] إلا أني أتخيل الدكتور الآن وهو يحلل بكل إعجاب وتفاعل معلقة طرفة ويقف كثيرًا عند مقدرته الفائقة على تصوير دقيق للناقة وتفصيل لأعضائها بل كاد يقوم عن كرسيه حين وصل إلى قول طرفة عن الناقة:

تُباري عِتاقاً ناجِياتٍ وَأَتبَعَت

وَظيفاً وَظيفاً فَوقَ مَورٍ مُعَبَّدِ

ومعنى البيت: تباري أي تغالب وهي من باريت

فلانًا أي فعلت مثل فعله على سبيل المغالبة وإظهار قوتي وبيان ضعفه، عتاقا جمع عتيقة وهي الكريمة من الأبل أي أنّ ناقتي التي امتطيها كريمة تباري مثلها ، ناجيات مسرعات، اتبعت أي أنها مواصلة سيرها بتتابع الوظيف للوظيف والوظيف هوما بين الرسغ إلى الركبة فلاتتعب من الإسراع في السير، مور المورهو الطريق، معبد مذلل لكثرة سالكيه .

ولولا مخافة الإثقال عليك أو أن تخرج هذا السوانح عن منهجها لزدتك من أبيات المعلقة، ولكني أهمس لك بأن تكثر من قراءة الشعر الجاهلي، وإن وجدت منه امتناعًا أو صعوبة في القراءة فعليك باستماعه . ففيه إثراءٌ للغتك وتفصيحٌ للسانك ، والدكتور علي من الأدباء المعدودين عليه رحمة الله ؛ و أنا أحب الشعر الجاهلي وأستمتع بقراءته وأطرب لسماعه لأني أرى أنّه يمثل مرحلة النضج اللغوي لعربيتنا العظيمة ومن علامات بلوغه درجة النضج أنّ الله بحكمته أنزول القرآن العظيم بعد أن سما

اللسان العربي وأصبحت البلاغة فطرة يتكلم بها العربي من غير تكلف .

وكثيرًا ما تأخذني عن قراءته صوارف وحين أعود إليه أحسب أنَّ الألفة خبت بيننا ولكنَّ الأمر لايحتاج إلا قراءة بيت أو بيتين حتى تعود الألفة كما كانت، بل إني في بعض الأحيان أبقى معه أكثر مما كنت قد ضربت له من وقت . فالشاعر ينطلق في شعره بعفوية وبلاغة غير مستكرهة أو مقننة، و حين بلغ العرب شأوًا عظيما في البيان أنزل الله عليهم كتابه العظيم .

وممن أذكرهم من العلماء الشيخ الدكتور/محمد بن عبد الخالق عضيمة ـ ١٣٢٨ـ١٤٠٤هـ تغمده الله برحمته وهو من الذين وددت لو أني أخذت من علمه أكثر مما اخذت وهو محب للغة عامة وللصرف خاصة ، وكنا نسمع ونحن طلابٌ في الجامعة من يقول عنه ـ رحمه الله ـ إنّه أنحى من عليها أي هو أعلم أهل زمانه بالنحو . ودرسَّنا مادة الصرف

، ولاأدري لماذا بقي في ذهني من شرحه تحليله لاسم الفاعل من الفعل جاء ، فكأني أنظر إليه ـ رحمه الله بجبته الأزهرية وهويقول: اسم الفاعل جايء فإذا جاءت عين الفعل ياءً أو واوًا تقلب همزة، والفعل جاء أصله جيأ فيكون اسم الفاعل جائئ فتبدل الهمزة الثانية ياءً فيكون اسم الفاعل جائي . ومن أنفس آثاره رحمه الله كتاب [دراسات في أسلوب القرآن] وعليه نال جائزة الملك فيصل العالمية . وهوكتابٌ نفيس تظهر فيه بركة الإخلاص .

ومن هؤلاء الشيخ/عبدالله الخثران .رحمه الله ودرسَّنا مادة النحو وكان محبا لمادته ويحرص كثيرًا على إيصالها لنا .

وفي إحدى سنوات الجامعة وأظنها السنة الثانية بُلينا بإنسان سموه لنا مدرس بلاغة ، وما أشد حاجته إلى البلاغة فلا يعرف منها ما يقيم الأود ، وليس لديه ثقافة واسعة يغطي ويرقع بها هذا العي والجهل العلمي،

فكانت حاله معنا يمثلها المثل العربي : ضِغْثًا على إبالة حيث جمع بين السوءتين جهل بمادته وضحالةٍ في ثقافته ، أضف إليهما برودةً في حيويته ، فكنا نستثقل دروسه ولا نجد فيها من جاذبية البلاغة ما يبلغنا ، وأنا أكتب هذه السوانح كأنه أمامي متحدثا ببرودة متناهية أبعدت ما بيننا وبين التذوق، حتى إن بعض الطلبة قالوا إنه دخل الكلية لأنه من العائلة الفلانية ! وشتان بينه وبين الدكتور سيد حجاب الذي أخذنا عنه قدرًا من البلاغة في سنة لاحقة . رحم الله الجميع .

وهذه سانحة فكرية عن البلاغة والمجاز: سيد قطب ـ رحمه الله ـ لتمكُّن الحس النقدي وعلو كعبه في الأسلوب الأدبي، نجد أنه يجنح في كلامه فيستغرق بتحليل بعض آيات القرآن الكريم تحليلاً أدبيا يؤدي به إلى الاستغراق في الأسلوب والإغراق في المجاز ، فيرميه من يجهل هذا بالطوام التي تصل إلى تكفيره .

بعض المؤلفين

وفقه الله حين يصدر كتاًبا يظلم نفسه فيظن أنَّ الناس سيكونون مع كتابه من باب ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ فسيزدحمون على الاحتفاء به حتى لا يصلحَ بينهم إلا الاقتراع أو أنَّ منزلة كتابه ستكون كما قيل عن موطأ الإمام مالك رحمه الله: «إن الموطأ أخمل سبعين موطأ» وهو ظنٌ يُثقِل الذهن ويجفف القلم.

كان مقر الكلية في الطرف الجنوبي لشارع الوزير، والوزير إذا أطلق فالمراد به عبد الله بن سليمان الحمدان المعروف بابن سليمان وزير الملك عبد العزيز؛ سمي هذا الشارع فيما بعد شارع الملك فيصل. وهي مقابل مصلى العيد؛ وبجوار الكلية محطة لسيارات الأجرة مخصصة للمسافرين إلى الجنوب. ويلاصق الكلية بيت طيني قديم وهو سبيل يسكنه من شاء؛ ومن الأحياء التي سكنت فيها عندما كنت في الرياض، حي الفوطة في بيتٍ بين شارعي الظهيرة والسويلم. وجنوبًا من شارع الخزان، وسكنت في حي السويدي شمالا من شارع الخزان، وسكنت في الحلة شرقًا عن البطحاء، وسكنت في السكن الجامعي على شارع البطحاء مقابل مقبرة العود. رحم الله من فيها والسكن عمارة كبيرة تقع جنوبًا عن الكلية، وخصص دورها السفلي مطعمًا للطلاب وكانت الوجبات مخفضة وقيمة ثلاث الوجبات خمس ريالات فقط. وكان رقيب المطعم يفاجئنا أحيانًا بطلب إبراز البطاقة الجامعية مخافة

أن يكون أحد الداخلين من غير طلاب الجامعة، ومما أذكره أنّهم في إحدى مفاجآتهم لنا تسلل عن عين الرقيب من استغل زحمة الطلاب من غير أن يبرز بطاقته فتبعه فوجده طالبا منتسبا وقد استلم وجبته وتهيأ للأكل فطلبوا منه الخروج فرفض فلما ألحوا عليه قال إذن أغنم الفخذ ويقصد فخذ الدجاجة التي كانت على طبقه فأخذه وانصرف. وكانت الوجبة الرئيسية لنا هي الرز، وأما توابعه فمتنوعة فمرة يكون دجاجًا ومرة لحمًا ومرة سمكًا ويصحبه طبق إيدام ونوع من الفاكهة. فاللهم لك الحمد.

من الحديث عن سوانح الجامعة أنه كان لدي ميل للمشاركات الرياضية؛ والجامعة جعلت النشاط الرياضي ضمن أنشطتها فانضممت إلى لعبة كرة اليد وكان المشرف الرياضي هو الشيخ صالح رضا ـ رحمه الله ـ استاذ مادة الحديث في الكلية فاختارني ضمن الفريق الذي سيمثل الجامعة في دوري الجامعات المقام في جامعة الملك عبد العزيز بجدة. فذهبنا إلى المشاركة وكان مشرف الرحلة هو

الشيخ أحمد السناني . ومازلت أحتفظ بمدلاة[ميدالية] حصلت عليها من تلك الدورة .

ساعات الدراسة في الجامعة كانت تنتهي الساعة الثانية عشرة يوميا ، وليس هناك اختبارات فصلية ولا أثناء الفصل وإنما هو اختبار واحد في نهاية العام وهذا أعطانا فسحة من الوقت شجعتنا على البحث عن فرص عمل فقدمت للعمل في الهاتف[الترنك] وهذا هو المسمى الذي كنا نعرفه به، ومقره في حي المربع قريب من البرج وفي الطرف الشمالي من شارع الوزير. قبل امتداده طولا نحو الشمال فكان ينتهي بشارع الوشم الذي عليه ديوان الخدمة المدنية قبل تسميته وزارة .

قدَّمت مع مجموعة من الزملاء فكان تعييني في مقر الترنك ، وبعض زملائي في القصور الملكية، فعملت على خدمة تسجيل المكالمات ، والعمل موزع على أربع فترات .

وتفصيل عملي كمايلي : أستقبل الطلب من العميل

على الرقم ٩٠٢ وبعد التعرف على الخدمة التي يريدها المتصل وهي عادة تكون بطلب الاتصال على مدينة أخرى خارج الرياض وللعلم فإنّ خدمة الهاتف الآلي في ذلك الوقت . ١٣٩٦هـ . لم تعمم على مدن المملكة فهي مقصورة على المدن الكبيرة، ثم بعد التعرف على المدينة التي يريدها أعبأُ البيانات وأعطيها المأمور الذي يدير الاتصال على هذه المدينة فيضع الطلبات أمامه ومن ثم يتصل على طالبي الخدمة .

والمكالمات الدولية لها مكان خاص ورقم اتصالها ٩٠٠ . وهناك مأمور يسمى مأمور الأقمار الصناعية يمكنه تنفيذ المكالمات الدولية بطريقة أسرع ؛ هذا لأنَّ الخدمة الهاتفية في البيوت لا يوجد فيها خدمة الاتصال الدولي ؛ والفارق لا يكاد يحاط به بين زمن هذه السوانح وبين زمن تدوينها من حيث توفر الخدمة التي توصف بثورة الاتصالات .

و مقر العمل صالة في الأدوار العلويةمن المبنى وعن يمين الداخل إليها تسجيل طلبات الخدمة المحلية، وموظفو هذا القسم يجلسون صفين متقابلين بكل صف ما يقرب من عشرة موظفين، وأمام الداخل ما مورو التنفيذ ، وأقدر عددهم بعشرة وعن يسار الداخل منفذو المكالمات الدولية وهم يجلسون صفوفا كصفوف المصلين وأمامهم شاشة فيها خدمات مكملة لعملهم .

وفي نفس الدور من المبنى مصلى و استراحة صغيرة لتناول الأكلات الخفيفة والمرطبات ولأنّ إعداد الشاي يتطلب إيقادًا فهو ممنوع حفاظًا على السلامة، ومن المحتمل أنَّ هذا قبل معرفة الأفران الكهربائية، وإثبات الحضور والانصراف بورقة اسمها [سيركي] وهي تحمل اسم الموظف وتوقيعًا للمراقب لإثبات الحضور . وهي غالبا ما تكون بلون أصفر وأتصور مقاسها ٢٠X١٠سم وهو يُعطى لمن يعملون بالأجر اليومي .

وفي أيام عيد رمضان وأظنه عام ١٣٩٧هـ كنت من الذين عملوا يوم العيد فأتى إلينا موظف وقال إنّ هناك مكافأة ستعطى للذين عملوا في هذا العيد فجمع أسماءنا بخطاب وقال إنّه سيسلمه للمسؤول وحتى هذا التاريخ ١٤٣٤هـ لم نستلم المكافأة ولاأدري أعدل المسؤول عن رأيه أم أنَّ المكافأة أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد ، وقصة لُبَد مرت بسانحة سابقة في حديثي عن الطلب في المعهد العلمي .

و عملي في الهاتف شجعني على تعلم قيادة السيارة حيث أصبح بمقدوري.ولله الحمد .امتلاك سيارة فتعلمت في مدرسة دلة لتعليم القيادة وهي تقع شمال حي العليا بالرياض وكانت تلك المنطقة في ذلك الوقت أي في عام ١٣٩٨ هـ منطقة نائية لا يوجد فيها أثر للعمران بصورته الحالية ولا قريب منها .١٤٣٤هـ، ولا نصل إليها إلا بطريق ضيق جدًا لا تكاد تلتقي فيه سيارتان إلا بحذر، وحين حصلت على الرخصة اشتريت سيارة نوع مازدا /

سـيدان بيضـاء مديـل ١٩٧٢م وهـي أول سـيارة اشـتريتها وكانـت قيمتهـا سـبعةآلاف ريـال، أدعُ السـيارة بعـد هـذه السـانحة الفكريـة .

التقـادح ممـا بلـي بـه نفرٌ مـن أهـل العلـم فيمـا بينهـم، ولوجعلنـا مـا يشـوب هـذه السـير سـببا للـترك فسـيعوزنا مـن نقتـدي بـه، وهـؤلاء العلمـاء كلٌ منهـم لـه حظـه مـن الفهـم وإن فـاق بعضهـم بعضـا ، فقـد يوفـق الله عالمـا لفهـم مسـألة ويوفـق غـيره إلى أخـرى، وهـذا الأمـر مـن التقـادح غـالبـه فيمـن تعـاصر مـن العلمـاء أو قربـت دارهـم، وقـل أن تجـد تقـادحًـا بسـبب نفسـي محض بـين عـالم سـابق وآخـر لاحق،اللهـم ارحـم جميـع علمائنـا .

وممـا سـرني ـ ولله الحمـد ـ مـن أمـر السـيارة الأولى أنـه في أحـد أيـام أعيـاد رمضـان كان معـي عمـي وأبـي ـ رحمهما الله ـ نمـر على الأقـارب للمعايـدة فقـالا مـا دام أنّ عندنـا سـيارة فسـوف نعايـد عمتنـا رقيـة وهـي رقيـة بنـت حمـد بـن محمد العُمري . أخـت الراويـة المعـروف محمـد الحمـد العُمري،

وهـي زوج موسـى العبيـد الله، وكانـت تسـكن بالعيا ريـة مع ابنها حمـود بن موسـى العبيـد الله رحمهم الله؛ وتسـميتهما لهـا عمـة من قبل تقديرهما لهـا فليسـت أختًـا لأبيهمـا ، ورقيـة ممن ذهبـوا بتاريخ شـفهي لـو دون لوجدنـا فيـه علمًـا كثيراً .

والعيا ريـة مزرعـةٌ قديمـة علـى ضفـاف وادي الرمـة مـن الجهـة الجنوبية . وهـي المسـماة قديمـا بالقريتين . وهـي مـن أقدم مواطن السـكن الحضري في نجد . وكانـا يزورانهـا قبل وجود السـيارةِ لمامًـا فهـي بعيـدة علـى مـن أراد الذهـاب مشـيا .

ومما سنح أن أحدثك عنه حول العيا رية أني وأخوتي كنـا في زيـارة لحمـود بـن موسـى العبيـد لله ،رحمـه الله. فممـا جـرى الحديـث عنـه أنـه حدثنـا بـأن قريبًـا منهـم إلى الشـمال جـادة تسـمى المِلْقَطَـة وسميـت بهذا الأسـم بسـبب كثـرة مـا لقـط منهـا مـن الذهـب . وأنّ فـلان الشـحيتان كان يسـير فيهـا فوجـد قطعًـا فانطلق ليبيعهـا فوصلوا بثمنهـا إلى خمسـة عشـر ريالا فذهـب بهـا إلى صائغ يثـق بـه فقـال قيمتهـا

عشـرون وأشـتريها منـك بثمانيـة عشـر . وهذا الـذي لقـط هـذه القطع كان ذاهبًـا للوادي ليجمع حطبًـا يبيعـه ليشـتري بثمنـه مـا يأكلـه فرزقـه الله خـيرًا مما ذهـب مـن أجلـه .

أعـود بك إلى نهاية مقاعـد الطلب في الجامعة فكان مـن نظامهـا أن يجـروا مقابلة مع الخريجين لترشـيح مـن يرونـه للإعـادة لإكمـال دراسـتهم العليـا .

فكان محدثك . ولله الحمد . ممن وقع عليهم الاختيار فعرض علي أحـد أعضـاء اللجنـة البقـاء في الجامعـة لإتمـام الدراسـات العليـا ولكـني حينهـا كنـت قدآثـرت العمـل الوظيفـي بالعـودة إلى عنيـزة .

كان أول توجيـه في تعييـني إلى وزارة الداخليـة فحولـوا مسوغات التعيين إلى عنيزة دائرة الجوازات فقابلت مديرهـا في ذلـك الوقـت وهـو الأسـتاذ /إبراهيـم بـن علـي النهابـي، وكانـت في حـي المطـار خلـف الإمارة[المحافظـة] في مقـر مسـتأجر، رحـب المدير كثـيرًا وقـال أنـت مـن الآن رئيـس قسـم الإقامـة، ولكـني كنـت مـترددًا بقبـول العمـل الإداري

لأني أجد لدي دافعا للعمل في التعليم، عندما أخبرته بهذه الرغبة لم يحل بيني وبين ما أريد -جزاه الله خيرا- وكنا في رمضان فقال لي اذهب وفكر إلى ما بعد العيد . فعدت إليه بعد العيد فلما رأى أني مازلت أرغب في التعليم وافق على إعادة أوراقي إلى وزارة الداخلية. فتابعتها عند الوكيل المساعد لشؤون الجوازات والأحوال المدنية وأذكر أنّ اسمه صالح السالم رحمه الله وأذكر مكتبه جيدا وكانت تبدو عليه البساطة فوافق جزاه الله خيرًا على إعادة أوراقي إلى ديوان الخدمة المدنية [وزارة الخدمة المدنية الآن لتكون بعد هذا إحالتها إلى وزارة المعارف[وزارة التربية والتعليم الآن] . وكان يساعدني في متابعة أوراقي بوزارة الداخلية. زوج أختي نورة/ محمد بن إبراهيم الغرير . رحمه الله، الذي كان يعمل مفتشا في الوزارة .

إحالتها إلى وزارة المعارف وافقت ـ بفضل الله ـ وجود حاجة لمعلم لغة عربية في عنيزة فلم تمكث المعاملة في الوزارة إلا يسيرًا ومن ثم أحيلت إلى إشراف عنيزة [إدارة

التربية والتعليم الآن] كانت مباشرتي في المتوسطة الأولى التي سميت فيما بعد متوسطة ابن صالح وكان تأسيسها عام ١٣٧٣هـ وموقعها في الطرف الشرقي من النطاق القديم لمدينة عنيزة ومكانها بين حيين هما حي المستغيثة وحي شُقْيرة؛ وهي وبحمد الله قريبة جدًا من بيتنا فلا أحتاج إلى سيارة في الذهاب إليها .

وهذا سانحة فكرية بعدها أعود إلى وصف المدرسة: هناك موضوع يراوح الظهور في خاطري بين حينٍ وحين ، ولا أجد فيه ما يدفعني إلى البدء والمضي، وكذلك لا أجد ما يباعدُ بيني وبينه ، فأدعُه ثم يعاودني وهكذا حالي معه بين معاودة وترك، أضعُ لك العنوان هنا لعلك تجد فيه ما يغري فتكتب فيه ، وهو كتابٌ بعنوان» الطريف في بواعث التأليف « فلعل قارئًا يجد من بين هذا البواعث ما يوقظ همةً نائمة فتكونُ بهذا مفتاح خيرٍ لغيرك، ولعله يصلحُ لأن يكون كتاأبا من الكتب التي يستجم بها الباحثون من تعب البحث فيجدون فيه متنزهًا يأوون

إليه لاستعادة نشاطهم، ومادته العلمية ميسورة؛ وذلك أنك قلما تجد كتابًا إلا أشار مؤلفه في مقدمته عن سبب تأليفه لهذا الكتاب.

والمدرسة مساحتها الإجمالية عشرة آلاف متر وتقع على شارع شرقي هوالرئيسي وممر جنوبي شرقي عرضه سبعة أمتار تقريبا. ومدخلها بفناء وعن يمين الداخل مسطح أخضر ثم بهو وتقع الإدارة وغرفة الإداريين يسار الداخل وغرفة صغيرة لإعداد الشاي للعاملين.

وعن يمين البهو يوجد مختبر المدرسة، والمدرسة مكونة من ثلاثة أدوار وبها تتوزع فصول الطلاب، ولها أفنية للاصطفاف الصباحي ولحصة البدنية، وهي كبرى المدارس المتوسطة في عنيزة؛ هذا إيجاز لوصفها حين تعينت بها ثم دخل عليها ما دخل من إضافات وتغييرات. حتى صدر قرارُ بهدمها وإقامة مبنى جديد في مكانها. وعادت إليها الدراسة في مبناها الجديد في العام الدراسي ١٤٣٦ - ١٤٣٧هـ

ويلاحظ السرعة في التعيين فالمدة بين إعادة أوراقي من عنيزة إلى وزارة الداخلية وبين مباشرتي أقل من شهر إذا عرفنا أن دوام الدوائر الحكومية يبدأ بعد العيد في ٦/١٠. من كل عام. وتاريخ مباشرتي في التعليم هو ١٣٩٩/١١/٢هـ

بعد هذا وحين بدأت العام الدراسي أسند إلي تدريس الصف الثاني وكان أربعة فصول و نصابي عشرون حصة في الأسبوع، بالإضافة إلى هذا الجدول كان من المعتاد أن يعطى المعلم إدارة بعض الأنشطة فكان مما أعطيته مع مجموعة من الزملاء منشط تنظيم الحفلات وخاصة الحفل الختامي الذي تقيمه المدارس نهاية كل عام، فكنا قبل الموعد نعد الطلاب ونختار الفقرات وإذا قرب الحفل نحضر مع الطلاب عصرًا لتدريبهم على الفقرات ومن ثم يكون هناك تنفيذ حفل تجريبي لكامل الفقرات.

وهذه سوانح عن جانب مما مر بي وقت عملي معلما للغلة العربية في المرحلتين المتوسطة والثانوية؛، ومن ثم العمل مشرفًا للغة العربية.

بقيت في الوظيفة ثلاثين عامًا . وسوف أتحدث من غير ترتيب تاريخي للحادثة وإنما بحسب ما يسنح للذهن. فمع أول هذه الأحاديث.

كنت أعلّم مادة النصوص الأدبية في الصف الأول المتوسط والطلاب مطالبون بحفظ شيءٍ من هذه النصوص. وعندما طلبت من أحد الطلاب الحفظ قال بكل براءة ووضوح: ﴿ أمي في الشهر التاسع ياأستاذ ﴾ ! ويقصد أنها قريبة من الولادة فالصراحة بهذا الشكل داخل الصف وأمام الطلاب وبأمر في منتهى الخصوصية يلين قلب المعلم ويزيده يقينًا بأنّ من أمامه يحتاجون إلى الرحمة والتغاضي عن كثير ممايصدر منهم من عبث الطفولة.

ولاأعلم كيف جعل الطالب هذا الأمرمسوغًا لعدم حفظه إلاإن كان يقصد استبشاره بالمولود والتعاطف مع أمه بسبب مارأى عليها من الإعياء المصاحب

لقرب الولادة وعلى أية حال فقد قبلت عذره على الأقل لوجاهته عنده.

ومن براءة الطلاب ما حدثني به الأستاذ/ عبد الرحمن بن ضيف الضيف حين كان مديرًا لمدرسة الملك عبد الله الابتدائية حيث اتفق مع عمال لعمل ما داخل المدرسة، وفجأة فاجأها تفوه طالبين حضوره؛ فقد أمسكوا بلصٍ تسور السور ودخل المدرسة!! يقول: فتوجهت من غير تردد إلى المدرسة. فلما وصلت وجدت طالبًا صغيرًا من طلاب الصف الخامس. أي أنّ عمره لايتجاوز أحد عشر عامًا، ولا تسأل عن حاله وهو بيد العمال!. فأخذه الأستاذ وتعامل معه برفق ثم سأله عن سبب فعله هذا فقال: إنّ المدرسة فيها طيور حَمَام وخشيت عليها من الجوع لأنّ اليوم خميس ولاأحد في المدرسة فأحضرت معي أرزًا لها لأطعمها وهذا سبب ما قمت به!!

ومن هذا أننا في فصل من الفصول ذكرت لهم

قصيدة الأستاذ إبراهيم بن محمد الدامغ رحمه الله عن الأمة العربية ومنها:

أماه ليتك تسمعين

أماه ليتك تبصرين

أماه والمستعمرون

وخادم المستعمرين

والأستاذ إبرهيم يعرفه الطلاب جيدًا فهو أحد زملائنا في المدرسة. فلما سمع أحد الطلاب[تسمعين تبصرين] سألني بكل براءة هل صحيح يا إستاذ أنَّ أمه لا تسمع ولا تبصر؟!. وقالها بلهجتنا «ما توحي ولا تشوف؟» طرح هذا السؤال يظن أنّ الشاعر يقصد بأمه أمه التي ولدته؛ إذلم يكن من مدركات هذا الطالب أنَّ الشاعر يعني الأمة العربية. والإسلامية.

حدثني أحد المربين.رحمه الله ـ أنّ معلمًا كان يطلب من الطلاب الذين حضروا إلى المدرسة ولم يصلوا الفجر أن

يقوموا بآدائها الآن. فطبقت هذا مع طلابي الذين أكون عندهم في الحصة الأولى. فترددوا أول الأمر فقام واحد فتبعه ثان فثالث. . . نسأل الله الهداية والتوفيق.

سجل الطوارئ هو ما كنت أحمله معي حين كنت معلمًا في المرحلة الثانوية، وهوعبارة عن أفكار اتحدث بها محاورة مع طلابي عندما أحس بعدم استعدادهم للشرح. لأسباب هم يرون وجاهتها فأوافق على التوقف عن الشرح. وإن كنت غير مقتنع بهذه الأسباب. إلا أنه يحسن أن يكون تقويمها من واقع سنهم ومستوى تفكيرهم ودائرة اهتمامهم؛ ومن هذه الأسباب أنّ الفصل يكون مهزومًا في مباراة مع أحد الفصول فتجد أنّ الأثر واضح على مشاعرهم والتلاوم فيما بينهم وتحليل أسباب الهزيمة فتبدو الأذهان مغلقة؛ ومن الأسباب أن يكونوا قد أدوا اختبارًا قياسيا ويحتاجون إلى التنفيس، والأسباب كثيرة والغالب علي معهم موافقة طلبهم والتوقف عن الشرح، ثم نمضي الحصة مقتطفين من أفكار هذا السجل.

ومن هذه الأفكار

١ـ كيف أبدو للناس حين أكون في مجلس أجلس فيه أول مرة مع أناسٍ لا يعرفونني ؟ هنا ـ يا بني ـ يجبً أن تستحضر في ذهنك القاعدة التي تقول: ﴿ الانطباع الأول ﴾ فإن ما يأخذه عنك هؤلاء من صورة ستكون هي حقيقتك عندهم فاحرص على ما تسمو به نفسك ودع وابتعد عما يشينها . فالانطباع الأول يصعب تغييره سيئاً كان أم حسنا بعد هذه الكلمة نبدأ بالحوار والغالب عليهم التفاعل مع الفكرة ولله الحمد .

والشباب في هذه السن يخفى على بعضهم مثل هذه القيم؛ من هنا يحسن بمن يتعامل معهم أن يذكّرهم بمثل هذا .

٢ـ احترام الآخرين عند قيادة السيارة . ابتداء الحديث عنها يكون كما يلي: هل مضايقة الآخرين أثناء القيادة موجودة عند بعضنا ؟ ومن ثم ينساب الحديث فيما بيننا

ونبحث عن الحلول . وإثارتها في أذهانهم ستحدث بإذن الله إعادة النظر في أسلوب القيادة لاحقًا .

٣ـ حوار عن إرهاق الوالدين بالمطالب . قلةٌ من الشباب هم الذين يقدرون الحال المادية لأسرهم فالجري خلف المظاهر يكاد يكون صفة غالبة من غير اعتبار لوضع الوالدين المالي .

وكما هو معتاد في طرح هذه الأفكار معهم فإنّها تبدأ بسؤال أقول فيه مثلا: ما رأيكم بطرح هذا الموضوع لنتشارك في علاجه؟

٤ـ البعد عن الاعتماد على الإشاعة: هم في هذا السن تربة خصبة ويكثر تلقيهم الأخبار عن طريق الإشاعة فتجدهم يسيرون بها من غير تثبت ويوالون ويعادون بسببها . لهذا أحببت أن أطرح مثل هذه الفكرة .

٥ ـ تنبيه على بعض المظاهر المنافية للرجولة، العناية بالمظهر مطلب شرعي؛ فالله جميل يحب الجمال، ولكنّ

المبالغة في هذا تخرج الشاب من التجمل إلى التميع الذي قد ينفيه من مصاف الرجال. ومن عجب أنّهم تفاعلوا كثيرًا مع هذا المبحث وكاد أحدهم لولا منعي إياه من أن يسرد أسماء مجموعة من الطلاب ظهر عليهم التميع كثيرًا.

٦ـ من قصص الآباء. وهذا حديث يطربون له ويستجيبون له بسرعة؛ و ربطهم بماضيهم خاصة ما يتعلق منه بشظف العيش الذي كان يحياه الآباء. فأختار قصة ثم نشترك في التعليق عليها.

٧ـ عن قول العرب: المرأ مخبوء تحت لسانه. ومن هذه الحكمة انطلق إلى توجيههم إلى التحفظ في القول؛ فإنّ مَنْ حولك يضعونك حيث ما ينطق به لسانك، فمن منطقك يصنفونك مع العقلاء أو السفهاء مع العلماء أ والجهال. مع الحكماء أو الحمقى.

٨ـ نوادر ترويحية من الشعر العربي.

٩ـ كيف أتصرف عند وجود خلاف بين والديَّ. ابتداء

فإنّه لا يمكن يا أبنائي أن نتصور أسرة بلا خلافٍ قد ينشأ أحيانًا بين بعض من أفرادها . وعندما يكون الخلاف بين أبويك بحضورك فإنّ من آكد ما تطفئ به هذا الخلاف أن تقرأ في مكان الخلاف سورتي المعوذتين [الفلق ،والناس] بصوت سري وتنفث في المجلس من غير أن يحس بك أبواك؛ وإن كان الخلاف بوجود إخوتك فخذهم إلى مكان آخر بحيث لا يسمعون مايدور بين الوالدين، ثم عد إلى والديك وخذ مكانًا يكون بينهما . . .

ثم أدخل إلى مشاركة الطلاب قائلا: وأنتم ماذا ترون ؟

١٠ - حديث عن شيء من الحكم مثل: ﴿ يا بني ذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة إلى الناس ﴾ وقلت هذا حين رأيت من بعضهم قلة اكتراثهم بالاستعانة بآخرين مع أنّه يستطيع أن يقضي أمره بنفسه كما أني أهدف من هذه الحكمة إلى غرس الأنفة في نفوسهم وتعويدهم على قضاء حاجاتهم بأنفسهم وإعلاء همتهم، وإلى أن التماس

قضاء الحاجة من الناس دَيْنٌ تلفه على رقبتك وأنت ملزم ـ عرفًا ـ بقضائه.

سانحة مفاجأة: ولَعُ بعضِ من لقيتهم في هذه الحياة بالحديث عن الماجَرَيات، أو أحاديث الواقع ومتابعتها ولعٌ عجيب؛ فلا يكاد يفتر لسانه عن حديثٍ هنا وآخرَ هناك، فيُمضي نفيس وقته بأحاديث لا تجد منها نفعًا وإنما هي شكاية عن حال من أحوال الناس أو زَفَرات يبثها عن وضع لا يعنيه، أولا يستطيع إصلاحه، ولكنه أقحم نفسه فيه فعرَّضها للداء وأثقلها وأثقل غيره في البحث عن الدواء؛ وإذا كان صلى الله عليه وسلم قال عن مقدار الأكل: بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، ألا يكون بحسبه خُبَيْرات يبصرن عقله هذا في البحث والحديث عن واقع الناس. فلا داعي للاستزادة من هذه الماجَرَيات التي تشتت الذهن وحين تجلس مجلسًا يكثر فيه هذا النوع من الأحاديث، تسأل نفسك عند انفضاضه ثم ماذا بعد ؟! ثم هؤلاء لا تدري كيف تصفو أذهانهم للعبادة

أو لاستيعاب المسائل العلمية، ومن كان منهم لديه نشاطٌ للعلم فستجد أنَّ هذه الماجَرَيات استنزفت زبدة فكره ووقته فلم تُبقِ له ما يتقوت به لتحرير مسالة علمية تحريراً صحيحا ، فتجده ينطلق إلى بحثه مُتثَّاقلا، فتأتي بحوثه مهلهلة لاروح فيها .

وهذه استبانة أوزعها نهاية الفصل الدراسي . على الطلاب [المرحلة الثانوية] . لأتعرف على مستوى أدائي معهم . وهي تجربة ناجحة أنصح كل مسؤول أن يأخذ بها فإنك لن تزداد عند طلابك أو مرؤوسيك إلا رفعة، وهي كمايلي : أخي الطالب/السلام عليكم رحمة الله وبركاته .

بين يديك استبانة الهدف منها المناصحة فأنا وأنت نعتبر لبنة يُبنى عليها ما بعدها من الأجيال، وحتى لايستمر الخطأ، ولنتعود محاسبة النفس لإصلاح العيوب أضع بين يديك هذه الاستبانة وكلي أمل بأن تتسم إجابتك بالنقد الهادف ،وأن تكون مبتعداً عن النقد المقرون بالتجريح أوالثناء المبالغ فيه .

تجنب يا بني التأثير أو التأثر واجعل ما تكتبه معبرًا عن رأيك أنت ولا تتدخل في رأي زميلك ولو كنت تراه خطأ . وأحب التأكيد عليكم بأن هذه الاستبانة خاصة بي فلا تتعرضوا لأي معلم آخر .

وها هي الاستبانة بين يديك .

ما رأيك فيما يلي:

*طريقة الشرح؟

*توزيع الأسئلة أثناء الشرح.

*طريقة التعامل معك أو مع زملائك .

*هل تجد مني حرصًا عليك . ؟

*أمعلمك قريب من نفسك أم بعيد مع ذكر السبب ؟

*هل تُستغل الحصة بما يفيد ؟

*هل معلمك ينوع في طرائق الشرح؟

*هل استفدت من معلمك معلومات عامة ؟ فصّل .

*ماذا تريد أن تقول لمعلمك ؟

*ما العيوب التي تحب من معلمك أن يتلافاها ؟

*عبارة يرددها معلمك كثيرًا

*طريقة استغلال بعض حصص الإنشاء هل هي مناسبة أم تقترح طريقة أخرى ؟ [وكنا نقضيها في بعض الأحيان بالذهاب إلى غرفة خالية من الكراسي فنجلس ثم أحضر لهم الشاي أو العصير ونشربه معا فنطرح ما نريد طرحه من موضوع بطريقة حميمية .

*ما رأيك بالوقفات التي يقفها معلمك أثناء الحصة للترويح عن النفس . ؟

*ماذا تريد أن تضيف على هذه الاستبانة ؟

الاسم: اختياري .

بعد أن أوزعها انتظر خارج الفصل فبقائي أمامهم قد يؤثر على تحديد اختياراتهم . وبعد أن أستلمها منهم نخصص لقراءتها ومناقشتها حصة كاملة .

وطريقتي عند مناقشتها أن أضع الاستبانات كاملة أمامهم ثم نختار منها بطريقة عشوائية وهذا الأسلوب لتعويدهم الشفافية. ونناقش ما ورد فيها بطريقة حرة. وللعلم فأنا لا انسق الاستبانات قبل قرائتها عليهم فأنا أحضرها كما استلمتها منهم ثم نقرأ ما نستطيع كيفما اتفق.

ومن ثمراتها: تعزيز ثقتهم بعدالة معلمهم، تعويدهم النقد الهادف، إعدادهم للحياة القادمة فقد يتولى أحدهم قيادة ما فعندها لايجزع ممن يوجه إليه ملاحظات معينة، التنفيس عن الطالب الذي لايستطيع المواجهة بمالديه.

ومن الجوانب التربوية التي كنت أتعامل بها معهم أني عند نهاية الاختبار الفتري وحين أعيد لهم أوراق الإجابة بعد التصحيح ووضع الدرجات أطلب من أي طالب لم يقتنع بدرجته أن يناقشني نقاشا علنيا ثم أقول لهم إن من أهدافي أن تتعلموا المطالبة بحقوقكم في قابل حياتكم وأن

تكون المطالبة منظمة للحد من الغيبة ولسلامة الصدور، وحفظ الحقوق لأنّ شعور الإنسان بفوات حق من حقوقه يعطيه فرصة التحدث عن الآخرين ويجعل صدره ضيقًا عليهم.

سؤال فتح الشهية.

وهو ما يكون أول الأسئلة في ورقة الاختبارات، فأضع سؤالا إجابته معروفة عند أغلبهم.

وأختم ورقة الأسئلة بسؤال تنفيسي عليه جزءٌ من الدرجة يتبين منه الطالب أنَّ الغاية تربوية وتعليمية فأحبب إليهم المادة بسؤالٍ نصه: ضع سؤالا من عندك ثم أجب عليه وأضع أمام السؤال مقدار الدرجة المستحقة.

آخر حصة في العام الدراسي .

وفي هذه الحصة اختار طالبًا وأعطيه أفكار كلمة يكتبها هو بنفسه ثم يقرأها على زملائه في الفصل بعد أن يكون قرأها علي لتصويبها نحويا وأسلوبيا ؛ ومن أفكارها شكر إدارة المدرسة والمعلمين . حث الطلاب على أن يُنهوا عامهم بقلوب سليمة، الاستعداد السليم للاختبار ؛ اغتنام الإجازة بالمفيد ، المحافظة على ما تم بينهم من مودة .

وإلى سانحة فكرية ثم العودة إلى التعليم: قال الشاعر :

يُقْضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنًا ماليس بالحسن

تضيق السبل بالإنسان حين تنزل به محنة وتنسد أمامه فُرَجُ الانفراج فتطيش حيلته ويتخبط في تطُّلب المخرج ويضطرب رأيه؛ والعاقل في هذه الحال يتجرَّع مرارة الصبر ويثبت حتى تبدأ سحب النازلة بالتقشع، فكلما بدا من السُحُب فُرجة برق في ذهنه صواب الحيلة وقدح الرأي

بنوره فيبقى منتظرًا حتى تكتمل عنده عُدةُ الخروج السليم؛ فالكيّس الفطن لا يتعجل الحيلة وقت مداهمة الغمة له؛ لأنَّه ساعتئذٍ فقد زمام التدبير، ومن يتعجل المخرج من غير اعتبار للمآلات فسيكون معه الزلل؛ فإن تعلق بأول ما يلوح له فسيكون خروجه تأجيلاً للفتنة لا اجتيازًا لها وحين يبرد حرها يجد أنَّه خرج من باب ضيق وركب جوادًا هجينا لا يوصله إلى النجاة الدائمة، وتعجله جعله يرى حسنا ما ليس بالحسن، فيكون تعجله سببا في القضاء عليه. لأنَّه إذا التفت رأى الفتنة تلاحقه، بخلاف حال العاقل الحازم الذي تجرع مرارة الصبر فإنه خرج آمنا.

عملي مع الفصل عندما أدخله أول مرة. سواء في بداية العام أو في حصة انتظار فإني أكون قد هيأت نفسي لملئها بما يناسب؛ فإن كانت في بداية العام فتبدأ بترحيب ثم تعريف بالمادة التي سأقوم بتدريسهم إياها؛ وإن كان الطلاب حديثي عهد بالمدرسة فإني أعرفهم بنفسي.

واختم كلمتي بأني أحمل بيانًا بأسمائهم وقد وضعت أمام كل طالب الدرجة الكاملة للمادة فليحاول كل طالب أن يُبْقي على هذا الرصيد وذلك بالعناية والمتابعة، وإن كانت حصة انتظار فالغالب ملؤها ببعض السير الشعرية والمواقف الأدبية.

يتعرض بعض الطلاب لذكر أحد معلميهم بالتنقص؛ و من الغفلة مجاراتهم أو السماح لهم في ثلب معلميهم وهذه الغفلة تنقص قدرك أمام طلابك. وتفتح لهم فرصة للنيل منك عند زملائك المعلمين وتهز ثقتهم التربوية بك؛ فإن سمعت شيئًا من هذا من غير أن يعلم الطلاب سماعك فلتكن مناصحتك لهذا الطالب سرًا بعد نهاية الحصة. وإن كان الطالب قد أعلن هذا فلابد من الإيضاح علانية ولكن برفق.

والأولى-إن كنت موافقًا على هذا العيب وترى وجوده في زميلك- أن تختار من الأوقات ما يناسب

لمناصحته ومثل هذا الموقف يُغتنَم لإصلاح النفس فإن كان ما ذكروا من عيب فيك مثله فأصلح منهجك معهم .

في بداية العام الدراسي يوزع الطلاب على الفصول بطريقةٍ ترى المدرسة أنّها تحقق الصالح العام؛ وفي هذا الوقت يكثر تذمر بعض الطلاب إذا لم يجدوا في فصلهم زملاء معينين، فيكثر طلب الانتقال من فصل إلى فصل . وما هذا إلا لأن الطلاب في بداية الفرز لم يألفوا بعضهم . ومما ينقل عن الأستاذ/عبدالرحمن بن عبد الله الميمان . عندما كان مدير لثانوية عنيزة أنه يتعامل مع هذا الطلب بحكمة فيقول لأي طالب يرغب في النقل :إننا بعد أسبوعين سنعيد التوزيع، فعد إلى الوكيل بعد هذه المدة . فعند مُضي الأسبوعين ما كان يجد إلاقلة لا تذكر، هم الذين يرغبون في النقل، وأما البقية فقد ألفوا زملاءهم الجدد . والغالب أنّ التشكيلة لاتتأثر كثيرًا .

من طرق المذاكرة

من هذه الطرق التي كنت أنبهُ لها :

١.أن يتعاملوا مع كل موضوع في المقرر على أنّه هوا الجزئية التي سترد منها الأسئلة كاملة حتى يستفرغوا كامل قدراتهم .

٢.أن يضعوا . وهم يذاكرون أسئلة يتوقعون ورودها في الاختبار .

٣.أنّ واضع الأسئلة غالبًا ماينتقي بداية الفقرات لوضع السؤال .

٤.إذا مر بكم أثناء المذاكرة لفظة ﴿ لذلك ﴾ فاعلم أنّ هذا موطن سؤال فركز عليه وضع عنده سؤالا افتراضيًا من عندك .

في فسحة إفطار الطلاب و في حصص الفراغ خاصة في الشتاء أخرج في بعضها إلى فناء المدرسة وأجلس في

الشمس ومعي إبريق للشاي فإذا مر بي أحد الطلاب أدعوه للمشاركة ثم ثانٍ فثالث وهكذا فنحول الجلسة إلى منتدى تربوي صغير بعيد عن الرتابة وتتوفر فيه حميمية قد لاتحصل في غيره و تطرح فيه الموضوعات بطريقة عفوية،والغالب أن يجد الطلاب توافقا بينهم، ونخرج بما يفيد ، وهؤلاء الطلاب من فصول وسنوات مختلفة .

ومن سوانح الفكر هذه السانحة وهي عن طرفٍ من بلاغة القرآن الكريم فأذكر لك أنَّ بلاغة القرآن وسمو بيانه من المسلمات التي لم ينازع بها العربُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . مع ما أجهدوا به أنفسهم بالطعن بالقرآن وتنقصه فرموه ووصفوه بما هو معلوم للجميع ولكنهم لم يتجرؤا على عيب بيانه أونظمه .لأنَّ هذا شأنٌ استحكم في نفوسهم .

فكل ماخطر ببالٍ من خللٍ في النظم القرآني فاعلم أنه خاطرٌ لا يعبأ به فالعرب عريضو الدعوى في هذا وعلى

تواسع دعاواهم في النيل من القرآن الكريم لم يطعنوا ببلاغته أو نظمه، بل إن سبب قولهم إنه سحر أو شعر لما وجدوا فيه من تأثير وجمال؛ لأن الشعر أرقى فنونهم والسحر له تأثير على النفوس لا يملكون رده ولا حيلة لهم بدفعه ،كذلك القرآن فلم يستطيعوا مجاراة القول بمثله ،وعجزوا عن الخلاص من أثره .

القرآن الكريم استحث العرب بالمقارعة على الإتيان بمثله في النظم فلم يستطيعوا، وحين ناطحهم المسلمون بالسيوف جردوا سيوفهم لأنهم يستطيعون، وهذا يؤكد عجزهم ؛ إذ ليست محاولة الإتيان بمثله أسلمَ للنفس من المجالدة بالسيف، ولكنهم تيقنوا العجز فنكصوا، وهذا يؤكد تسليمهم لبيانه وانبهارهم ببلاغته، ومعرفتهم لمقادير أنفسهم في البيان أمامه وهم من هم أنفةً في التنقص من بيانهم . وتوارى منهم عرق العصبية مع فرط غلبة رغبتهم في النيل منه .

حين كنت معلمًا في متوسطة ابن صالح رن الهاتف فرددت عليه فقال لي المتصل أريد إبراهيم بن دخيل الدخيل معلم مادة اللغة الإنجليزية رحمه الله، . فنظرت إلى الجدول فوجدت عنده حصة فأخبرت المتصل فقال لي: أريده بأمر لايقبل التأجيل فذهبت إلى زميلي وأخبرته وبقيت عند الطلاب حتى عاد بعد أن أنهى مكالمته وواصل الشرح من غير أن يظهر عليه ما يقلق؛ ولمّا خرجت من الفصل بدا لي أن أسأله عن المكالمة لعلي استطيع المساعدة إن كان هناك من حاجة . فقال لي: إن المتصل هو أخي ويخبرني عن وفاة أحد إخواني ، فعجبت من رباطة جأشه و إخلاصه لعمله، وعزمت عليه أن يخرج وأبقى أنا مع الطلاب فخرج وبقيت معهم حتى نهاية الحصة، ومما يزيدك عجبًا أن المتوفى -عليه رحمة الله- في منطقة نائية وهو غريب فيها ولديه زوجه وأطفال ! !

في حصة نحو عند الصف الثالث في ثانوية محمد

الحمد الشبيلي، والدرس في فورته من تفاعل من المعلم إلى استجابة عالية من الطلاب. في هذا الأثناء ألّح علي طالب بالمشاركة وأكثر من مناداتي: يا استاذ يا أستاذا استجبت له فقال لي: عقالك يضحك !! أي تباعد ما بين حافتيه من جهته الأمامية. قال هذا ونحن على ما وصفت لك من حيوية الحصة. فرددت عليه من فوري قائلاً: ابتهاجًا برؤيتك. وانتهى الموقف.

اتصلت بي والدة أحد الطلاب تمتدح ابنها المطيع المحافظ على صلاته وتحمد الله على مستواه، فسألتها ماذا تريدين من هذه المكالمة؟ قالت إنّ لأخيها ابنًا هو فلان ابن فلان ويدرس في الصف الثاني الطبيعي؛ وقد ظهرت الاختبارات الفترية فكان ضعيفًا في عدد من المواد وبدأ يبتعد عن المذاكرة وأنا أخشى عليه من الرسوب، وطلبت مني الجلوس معه ومناصحته، فوعدتها خيرا، استدعيت الطالب وجلست معه ، وطرحت عليه جانب الضعف الذي بدأ يظهر عليه خلافًا لما نتوقعه

منه بناءً على ما نرى من قدرات متوفرة لديك. فقال: لي ياأستاذ هذه المواد التي ندرسها لاأحس أنّها صعبة وليس ضعفي بالاختبار بسبب صعوبة الأسئلة أوالإهمال؛ ولكن هذه المواد لاتغطي ولا تشبع قدرتي الذهنية، وبصراحة ياأستاذ أحس أنّها لاتستحق المذاكرة وبذل الجهد وسأنجح بحول الله، أنا أعرف هذه الطالب وأوافقه على تقدير قدراته، هذا الطالب حالة لاأشك بأنّها تتكرر كثيرا في ميدان التعليم فكيف نتعامل مع هذه الفئة؟ أرى أن نتلمس جوانب التميز في هذا الطالب ونقيسها بما لدى بقية زملائه فإذا تحققنا من وفرة مالديه فهو بحق درة يجدر بنا أن لانفوتها على الأمة، ومن هنا تسند متابعته إلى شئون الموهوبين.

ومن سوانح الذات أني كنت في إحدى الدوائر الحكومية لإنجاز معاملة تتعلق بعملي التجاري، فكلفت أحد المعقبين فاستلم الأوراق وبدأ المحاولة.

كان من سمات الموظفين الذين ينجزون هذه الأعمال في هذه الدائرة أنهم لا يخبرون بالمطلوب من الأوراق في المراجعة الأولى فيبدأون بطلب الوثائق واحدة واحدة أي أنّك كلما توقعت أنّك أنجزت ما طلبوا منك ظهروا لك بطلب جديد ؛ وكنت أظن أنَّ السبب في هذا أنهم يريدون من صاحب الطلب أن يمل فيدع المحاولة ولكن سترى أنَّ الأمر على خلاف هذا ، قدَّم المعقب كل ما طلب منه ولكني فوجئت به يقول إني بذلت ما استطيع لإنهاء هذه المعاملة فلم استطع وهذه هي كامل الأورق لعلك تحاول بنفسك .

ذهبت إلى مدير الدائرة وكان صاحب علاقة بي وشرحت له الأمر فلم يوافق على إنجازها ولكنه لم يبعد . وهذا أطمعني أن أدعه في هذا اليوم على أن أعود إليه من الغد .

فلما عدت وجدت الأمر أسوأ من الأمس ؛ فهوأشد تعنتًا في يومه هذا من أمسه، وحاولت فلم أدرك ما أريد فخرجت على أن أعود من الغد أيضا ، واستعنت بعدد من الموظفين لكنّ الأمر بدون فائدة فنقلت المعاملة إلى مدينة أخرى لعلي أستطيع إنجازها ، وحاول أخي محمد جاهدًا لكنه لم يستطع . عدت ثالثة إلى مدير الدائرة وقلت له :إنّ إنجازها سيتم هنا ولكن برشوة أي بكبيرة من الكبائر وأنتم ستضطروني إلى دفع الرشوة؛ قلت هذا لعلي أحرك فيه مكا من الخوف من الله لكن بلافائدة . بل إنّ الأمر على نقيض ما ظننت فكشر عن أنيابه وقال بكل جرأة وصفاقة وبلادة ووقاحة وووإلخ قال: اذهب إلى الموظف فلان فهو قليل الذمة وسينجزها لك بطريقته الخاصة ! ! ! .ماأتقاك وما أورعك أيها المدير القوي الأمين. ! ! ! .

عندما سمعت هذا الكلام أصابني الذهول فالذي يحدثني هو رأس الهرم في هذه الدائرة ويدلني على كيفية دفع الرشوة في دائرته التي هومؤتمن على قيادتها بئس الرئيس

هـو، ذهبت إلى موظف آخر في نفس الدائرة وخوفته بالله وأنّ الموقف سيضطرني إلى ارتكاب كبيرة. لكنه-حسب قوله-لايستطيع أن يعمل شيئًا ثم كلمت آخر والنتيجة كما ذكرت .

فرجعت إلى المدير محاولا لكنه لازال مصرًا على موقفه . كنا في تلك الساعة على آخر الدوام من يوم الأربعاء . فالتفت إلى موظف بدا لي أنّه يستطيع حل المشكلة فقال:إنّه لاحيلة له .

خرجت على أن أعود إلى هذا الموظف شخصيًا يوم السبت. مضى يوما الخميس والجمعة. وعدت يوم السبت فوجدت المدير في فناء الدائرة فقلت له الآن دخلت في الأسبوع الثالث وأنا أتابع هذه المعاملة ولم استطع إنجازها وأنت قد ذكرت لي بأنّ أحد موظفي الدائرة سينهيها لي إن أنا رشوته! قلت للمدير هذا الكلام بنصه الذي قرأته أيها القاريء، قلته له لأقنع نفسي بأنّه فهم ما أريد قوله.

فمـا دام الأمـر بهـذه الصـورة لمـاذا لاأعطيـك أنـت الرشـوة ثم تتصرف بطريقتك الخاصـة معه فتمنّع المدير تمنّع الموافـق على دفعي للرشوة . تمنّـع ولسـا ن حالـه يقول:أعطه ولاتـترد فسـيصلني نصيـبي منهـا ! ! ! ثـم ذهـب المديـر إلى الموظف المذكور فوقف عنده وأنا أنظر إليهما ودار بينهما حديـث لم أسمعـه .

التفـت إلي الموظـف المختـص ثـم حاورنـي حـوارًا فهمـت منـه أنّـه لـن ينجزهـا إلا برشـوة فـرددت عليـه بقـولي أنجزهـا وسـوف ترضـى وهـززت رأسـي مشـيرًا إلى موافقـتي علـى طلبـه .

فأخـذا لأوراق مني ولان حديثه معـي كثيرَا وأردف قائـلاً اسـترح تفضـل وما هـي إلا دقائـق قليلـة حتـى عـاد إلي وأعطاني رقـم ها تفـه الجوال ! ! ! مع بعـض الأوراق . عاد إلي هـذا الموظف بعد دقائق وأنا مسـتريح متفضل ! ! ! ! ! ! ! وقـد أنهـى المعاملـة بصورتهـا المطلوبـة تمامًـا .

كان دخولي الدائرة في هذا اليوم في الساعة التاسعة وعشرين دقيقة صباحًا وخروجي منها في الساعة التاسعة وخمسين دقيقة أي في ثلاثين دقيقة أنجزت ما لم أستطع إنجازة في أسبوعين ! ! ! .

خرجت من الدائرة فاتصلت على المدير أخبره بما تم وأسأله عن كيفية التعامل مع الموقف فهو غريب علي؛ ولعله يلومني أو يلوم الموظف ولكنّه تعامل ببلادة شديدة ! وبعدها بقليل هاتفت الموظف طالب الرشوة على أن يحضر إلي الساعة الثانية عشرة قبل الظهر .

أعددت ما يناسب للضيافة وأجمعت أمري . مستعينا بالله. عازمًا على نصحه وشرح وتفصيل خطورة هذا العمل .

قبل حضوره توضأت وصليت ركعتين أدعو الله فيهما أن يسددني ويلهمني الحكمة، وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم ؛ كذلك قبل الموعد بعشر دقائق كنت

أفرغت نفسي للدعاء والتماس العون من الله والبراءة من حولي وقوتي، حضر حسب الموعد، وكان موعد اللقاء في مكتبي التجاري فلما دخل ورأى نوعية البضاعة التي أتعامل بها فإذا هي مواد غذائية؛ فقال مقالة الواثق من تنفيذ مطلبه وبدون حياء: أريد أن يكون حقي [يقصد الرشوة] أريد أن يكون من هذه البضائع ولا أريد أن أكلفك مالاً. لله أبوك ما أشفقك علي وما أظلمك لنفسك وأهلك وولدك. ! ! !

جلسنا في المكتب فناولته الشاي . ثم دخلنا في موضوعنا الخاص فقال لي إني عندما رأيتك في مكتبنا تهز رأسك فهمت بأنك ستعطيني ما أطلب منك. إنّه إنّه إنّه يعني أني وافقت على رشوته ! ! ! . عندها فهمت أنّ هذا داء عم وطم بالنسبة له . فحزنت كثيرا عليه وعلى أسرته.

سار بنا الحديث ومنه حرصت أن أجره إلى

الحديث عن أموره الخاصة لكي أوجد بيني وبينه ألفة أجعلها بابا أدخل منه لما أريد. وهذه الطريقة يحسن الأخذ بها للوصول إلى غايتك النبيلة. فذكر لي بأنّ والدته تعيش معه في المنزل وأنّه يحسن إليها كثيرًا، وقد سافر في الصيف الماضي أي صيف ١٤٢٤هـ في سياحة وأخذها معه بقصد إدخال السرور عليها.

هذا الخلق النبيل مع والدته أطمعني في مناصحته كثيرًا فأردت أن أجعله مدخلاً لما أريد، فأثنيت على هذا الخلق وبشرته بأنّه سيكون مفتاح خير كثير.

ثم بدأنا حديثنا عن الأولاد كيفية التعامل معهم وأنّهم من نعيم الدنيا إن وفقهم الله إلى الصلاح والتقوى، ثم دخلت معه في الأسباب التي يستجلب بها صلاح الذرية بل صلاح البيت كاملاً، فلما رأيت منه قبولا دخلت إلى موضوعي إلا وهو مناصحته عن الرشوة وذلك أنّها من أسوء المكاسب التي بسببها يتصدع كيان الأسرة وأنّ

شؤمها سيكون عليك وعلى والدتك وزوجك وولدك .
وكلما زدت في حديثي زاد إصغاؤه وبدت كلماتي كالموقظة له من غفلة شديدة .

ولما زاد تأثره بما أقول بدأ يستعرض مواقف يؤيد بها صحة كلامي من أنّ هذا الكسب لم يجر عليه إلا شرًا ، ولكن الباعث له على هذا هو الحاجة وكثرة المصاريف المنزلية، فذكرته بطرق أخرى للكسب وهي حلال يستعين بها على كثرة مصاريفه .

عندها رق قلبه وبدأ الدمع يغالب عينيه وهذا بإذن الله من علامات التوبة والندم ،فلما أنهيت كلامي شكرني ودعا لي بخير وردد بأنّه ـ بإذن الله ـ لن يقدم على هذا مرة أخرى . خرج من عندي مودعًا شاكرا على هذا النصح الذي لم يسمعه ـ على حد قوله ـ من أحد قبلي

إلى التعليم : مما عجبت منه في عملي في التعليم أنّ هناك معلمِين لديهم أفكارٌ خلاقة تفيد كثيرًا لو طُبقت ،

وعندما أسمعها من أحدهم أطلب منه أن يقوم بعرضها على من يستطيع تطبيقها ، فيرفض بشدة معللاً هذا بأنّ هذه المقترحات مصيرها الإشادة الآنية من المسؤل ثم يطويها النسيان أو التناسي، ومن العلل التي يعلل بها هؤلاء أنَّ المسؤول حال قناعته بها فإنّه سينسبها إلى نفسه من غير ذكر أو إشارة إلى مصدرها الحقيقي الذي هو المعلم، فيكون هذا الهاجس سببًا في أن تأسن هذه الأفكار في ذهن صاحبها فتموت من غير أن ينتفع بها أحد ، وأقول ما على صاحب هذه الأفكار لو وكل الأمر إلى الله وأغفل وطرد هاجس التثبيط بأنَّ المسؤول سينسبها إلى نفسه ؟ أليس الله مطلعًا على حقيقة الأمر ؟ وأنه لن يضيعَ أجر من أحسن عملا،واستطرد قائلا بأنَّه مر بي صفحات كثيرة اختطفها آخرون أدرجوها ضمن أحد مؤلفاتهم،أترى أنَّ الله أضاع ثواب مؤلفيها ؟،بل أبعد من هذا فقد يكون المؤلف الحقيقي ليس بذي منزلة عند الناس ، فعندما

ينسبها مشهور لنفسه فإنَّ هذا من الأسباب الخفية التي قدرها الله لنشر علم ذاك المؤلف المغمور، وهذا النهج لا أتوجه به إلى المعلم فقط، لكن إلى كل من عرض له هذا الخاطر، والله يتولى الأمر.

كثيرًا ما يسأل الطلاب في حصة الإنشاء حين يتوقف أحدهم عن الكتابة بسبب ظنه نفاد ما يمكن أن يكتبه، وهو مع هذا يحس أنّ لديه زيادةً يستطيع أن يضيفها فنَفَسه ما زال ثائرًا بالنسبة للموضوع وسؤاله ماذا أعمل فلم استطع الكتابة وأنا لم ينتهِ ما عندي!؟؛ فأقول له: أعد قراءة ما كتبت فستنثال عليك الأفكار التي تشعر بوجودها في ذهنك، وهذا الأسلوب في استدرار الأفكار للكتابة من الممكن أن يقوم به التلميذ في مقعد تعلمه والكاتب المتمرس بين أوراقه ومحبرته، حيث إنّ قراءة ما كُتب تستجلب ما لم يُكتب ويفعل هذا مرار عند كل توقف حتى يحس بأنّ المخزون الوجداني لهذه الفكرة

قد نضب، ومن علامات نضوبه أن ينزل مستوى الأسلوب في التعبيرعن الفكرة. أوتحس ببرودة مشاعرك وتدني انفعالك تجاه ما تكتبه فعند هذا يجب على الكاتب أن يتوقف لأنّ استمراه سيهوي بأسلوبه، فالفكر كالضرع فإن مطاولة احتلابه تحيل الحليب دمًا .

في مسيرة العام الدراسي أبدأ بملاحظة الطلاب من حيث وجود جانب من جوانب التفوق في الحياة. ثم أرصدها في ذهني عنهم؛ وفي نهاية العام أجلس معهم على انفراد بكل واحد ثم أبين له ما لمسته فيه من جوانب التميز وأرشده إلى سبل الحفاظ عليها وتعزيزها؛ فمنهم من ألمس فيه جوانب أدبية ومنهم من فيه مقدرة القيادة، ومنهم من فيه محبة الإصلاح وجمع الكلمة. . . إلخ

من التجارب التعليمية التي رأيت نقلها في هذه السوانح أننا إذا عالجنا ضعف المتعلم وانصرافه بإضعاف مستوى المادة العلمية فإنَّ تدني طموح المتعلم وتوثبه

سيهبط وهكذا بلانهاية لأنَّ مكامن الضعف تتولد، فتتوارى مكامن القوة في عمق النفس حتى تموت فتنشأ أنفسٌ محبةٌ للدعة هي إلى البلادة أقرب منها إلى الجد والطموح .

ومن هذه التجارب: أنَّ اختيار المعلومة والمواءمة في عرضها على طلابي من حيث تفاوت عقولهم هذا من العسير المحبب للنفس وحين أجد إصغاءً يفضي إلى قبول ومنفعة فإني أجد لذة تنسيني مشقة ذلك الاختيار وتلك المواءمة، «الضعيف أمير الركب« هي القاعدة التي أتعامل بها مع طلابي ،فقد أجد من الطلاب من يفهم من البداية ومنهم من يحتاج الأمر معه إلى إعادة، ولكن لا أطيل حتى لا يمل الذكي ولا أسارع فيفوت الأخذ ممن هو أدنى .

بعد ذكر شيئ من التجارب التعليمية لعلي في هذه السانحة الفكرية أسوقٍ لك طرفًا من تجارب القراءة .

بعض الأقلام لديها أطباقٌ شهيةٌ من المعرفة ونافعة؛ والناس بحاجة إليها لكنَّ أسلوبَ المناكفة الذي يقدم به هذا الفكر حجب الانتفاع به، ورنة التهميش، وحب الجدل أفقدت هذه الأفكار حيويتها مع ما يتسم به صاحبها من سعة اطلاع، ولكنه يسوق فكره بطريقة يستفز بها المخالفين، ويُحسِسُك أنه لا يقول إلا حين يجد للمخالفة سبيلا؛ فهو لا يصنع الفكرة وإنما يستغل الحدث، فيبقى ناصبا شراك قلمه فإذا وجد ما يحتفي به الأكثرون تكلم قادحًا ، لديه الكثير ولكنَّ العجلة وغياب حسن التأتي جعله يحس بإقصائه، مما جعله يكثر الحز ويخطئ المفصل، مع أنه في كثيرٍ من تقديمه لفكره يفوق غيره، هو يقدِّمُ ما لديه بتوجس لأنه يحس برفض ما سيقول، لا لأنه خطأ ولكن لأنه صدر منه ! ، إحساسه هذا جعله يفرغ جهده وطاقته في المعارضة والجدل؛ فلا يكاد يجد ما ترتضيه عامة الناس وغالبيتهم إلا سلَّ قلمه عليه، ومن أخطر مزالق الفكر أن تحس بأنَّك مرفوض لإبداعك الذي تملكه ولم يقدره الآخرون.

بعد تجربة مع قراءة المقالات التي يكتبها أصحابها في الصحف ثم يقومون بجمعها بكتاب، رأيت أنها مما لا تجد فيه مادة علمية مثرية، وإنما هي خواطر آنية طُرحت لمعالجة حالات كانت صالحة في وقتها، ولكن مما يستفاد منها التعرف على حالة أطوار المجتمع، فبعد أن كان الناس مثلا قبل فترة يطالبون بكذا فقد أصبح من بدهيات معاشهم، وبعد أن كانوا يحذرون من كذا وينفرون منه صار مؤلوفًا عندهم.

رُشحت للعمل مشرفا تربويا في ١/٦/١٤٠٦هـ، وكانت المقابلة الشخصية للمشرف في ذلك الوقت تُجرى بالوزارة. وفي هذه المقابلة طُرح علي هذا السؤال هل الأصوب: عزب أم أعزب؟، ولا أعرف السبب الذي حدا بالمقابِل إلى أن يطرحه، فهو لا يقيس المستوى العلمي لمن تُجرى له المقابلة، كذلك فإن تكلف مثل هذا الدقائق العلمية يبدو لي أنه يراد به استعراض المعلومة من السائل، أو إحراج الطرف الآخر ليبرروا عدم قبوله، وللعلم فقد

اجتزت المقابلة ـ ولله الحمد ـ بنجاح ولكنهم شرطوا علي العمل مشرفا في مدينة شقراء، فرفضت وقلت لهم إني جئت للمقابلة بناءً على حاجة في عنيزة، فانتهت المقابلة وعدت إلى مدرستي. وبالنسبة للإجابة على السؤال فعزب أصح من أعزب فهي الواردة عن العرب.

وبعد أن أمضيت في التعليم قرابة أربعة وعشرين عامًا بين المرحلتين المتوسطة والثانوية بدالي أن أتقدم للإشراف التربوي، فقدمت أوراقي كالمعتاد، وكان من متطلبات التقديم أن يقدم المترشح ماقام به من دراسات أوبحوث أوماحصل عليه من دورات أوخطابات شكر؛ فجمعت مالدي من هذا وانتظرت تحديد المقابلة الشخصيةالتي تجرى للمتقدمين.

وهنا أقول إنّ المقابلة الشخصية لأي عمل يراد منها بالدرجة الأول الإجابة على سؤال اسمه(من أنت ؟) لأنّ الغالب أن تكون المعلومات العامة عن هذا الشخص

متوفرة، ولكن يبقى مالا يدرك عنك إلا بالمشافهة ، وخاصة مايتعلق منه بطريقتك بالحديث و التعبيرعن أفكارك وقدرتك على تنظيم إجاباتك وانضباطك. وثباتك وثقتك بنفسك والتزام الحضور في الموعد المحدد .

أديت مقابلة للترشح للإشراف في مقر مركز التدريب التربوي، وكان أعضاء المقابلة هم: مساعد مدير التربية والتعليم الاستاذ عبدالعزيز بن راشد الرَشيد ويتولى الأسئلة التربوية، الاستاذ عبد الله بن علي الطريف مدير الإشراف التربوي ويتولى أسئلة الثقافة العامة،الاستاذ سامي بن محمد الحُمَيدي رئيس شعبة اللغة العربية ويتولى أسئلة التخصص.

بعد المقابلة بأسبوع تقريبًا هاتفني مدير الإشراف ليخبرني بصدور قرار ترشيحي مشرف لغة العربية. فانضممت أنا وزميلي الاستاذ خالد بن عبدالعزيز الشاقي، وكان في الشعبة الاستاذان إبراهيم بن عبدالعزيز

الفوزان، وسامي بن محمد الحُمَيدي.

كان صدور قرار ترشيحي للإشراف في جمادى الآخرة من عام ١٤٢٣هـ. ثم أقيمت لنا دورة تأهيلية لعملنا الجديد. مدتها أسبوعان.

سانحة فكرية تبين طرفًا من آداب المتعلم: في مجالس طلب العلم، ذلك أنَّ تلك المجالس من أشرف ما يمكن أن يجلسه إنسان، لهذا أحببت أن أذكر في هذه السانحة ما يمكن أن يكوعونًا على التحصيل والإفادة من هذه المجالس، فكن في هذه المجالس طويلَ الصمت حاضر الذهن، وتلقف ما يقوله ويلقيه شيخك ولا تفقد القلم والورقة في جميع ساعات المجلس؛ فهناك درر تُنثرُ فجأة من فم شيخك تولد ساعتئذٍ في عقله، وقد لا يعود إليها مرة أخرى، وإياك أن تراجع شيخك مراجعة المماري؛ فإنَّ هذا يُحدِثُ في النفوس وحشة. ولا تستصغر مايطرحه غيرك من أسئلة ترى جوابها معلومًا بالضرورة، وإذا كنت

ترى رأيًا يخالف ما قال الشيخ أو سمعت من أحد العلماء مثل هذا فلا تصدع به أمام الجميع فحظوظ النفس قد تتغلب فتسمع منه مالا يريضك ، أو يولِّد هذا حرجًا في صدره عليك، وليكن هذا بينك وبينه؛ كذلك من سوء الأدب إن لم يكن من قلة التوفيق أن تسمع جوابًا من شيخك فتقول له سأسأل عن هذا فلانا تقصد أنَّك ستتأكد من صحة جواب شيخك .

عودة إلى الإشراف التربوي ، بعدها بدأ الاستعداد للدخول للميدان ، وما أدراك ما الميدان ؟، فالأمر له حكاية جديرةٌ بأن أرويَها لك ، ذلك أني حين جلست جلسات مع الزملاء في المكاتب رأيت من خلال أحاديثهم ومداولاتهم أني دخلت إلى عالم مجهول بدأت أسمع مصطلحات لأول مرة أسمعها ناهيكً عن معرفة مدلولها أو القيام بها أو تطبيقها ، ومن هذه المصطلحات ورشة عمل، عصف ذهني قياس الأثر ورقة عمل حلقة نقاش ، حقيبة تدريبية ، ومن أطرف ما وقع في ذهني عن هذه الحقيبة أنها

حقيبة حقيقية كالحقائب التي يحملها الطلاب إلى مدارسهم أو المسافرون في سفرهم فإذا المقصود بها مذكرة مرجعية تدون بها المادة العلمية التي تلقى على المتدربين

ورأيت الزملاء يتحدثون عن هذه المصطلحات ويناقشونها فيما بينهم بصفتها لازمةً من لوازم الإشراف ومسلمةً من مسلماته .

فأصبحت بينهم كما قال أبو الطيب رحمه الله :

وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فِيهَا

غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ

فأربعةٌ وعشرون عاما في التدريس كافةٌ لأن تصبغ فكري وتعمق فيه ما كان مناسبًا لتلك المرحلة، وكان مما أبعد المسافة بيني وبين هذه المصطلحات أني خلال فترة عملي السابقة لم أحضر إلا دورة أودورتين وأظن أني حضرتهما مجاملة فلم يبق في الذهن منهما ما يصلح فتيلا أشعله لأرى متطلبات المرحلة الجديدة . صدر القرار

وانتهى الأمر وليس بوسعي أن أفكر في بدائل عن استيعاب ثقافة متعمقة أتغذى بها للقيام بالإشراف على الوجه الأكمل،وهنا تذكر حكمة رواها الدكتور غازي القصيبي رحمه الله ، حيث روى : «لا شيءَ أجمع للتفكير من غياب البدائل» وأقول لك أخي القارئ توقف قليلا وقلبها في ذهنك فستجدها حقيقة واضحة ، تعينك على الثبات .

لم أبدأ بالاستشارات عن هذه المفاهيم من خبرات زملاء سابقين لأنَّ هذا في نظري يشتت الذهن ويصيب بدُوار معرفي يزعجك أكثر مما يسعدك، خاصةً أني أتحدث عن مجال تربوي والمصطلحات التربوية لا أب واحدًا لها فكثيرًا ما تتشت التعريفات لمصطلحٍ واحد .

إذن الخط الوحيد الذي يجب علي انتهاجه هو التثقيف الذاتي والتثقيف فحسب، فعكفت على القراءة في هذا المجال وأقبلت عليها إقبال من يقال له: العدو أمامكم والبحر خلفكم. فخيار التراجع لا وجود

له عندي ، فأخذت أتابع المداولات الإشرافية وأقرأ الحقائب التدريبية والكتب المتخصصة ، ومن حسن الحظ ومما سهل هذا أنَّ مكاتب المشرفين التربويين تحتها المكتبة العامة وفيها من الكتب مالذَّ وطاب وفوقها مكتبة تربوية تحوي مراجع كثيرة وكافية، وفي نفس المبنى يوجد مركز التدريب التربوي وهو يؤمن مشاهد مرئية لمن أراد . و»حقائب تدريبية»

أفادتني القراءة كثيرًا ما جعلني اغتبط وأحس ـ بحمد الله ـ بأني تجاوزت عقبة كأداء ،ومن هنا أنصح لكل داخل بعمل جديد بالقراء ثم القراءة ثم القراءة فيما يخص عمله وإن أضاف رؤية متعمقة عن مرؤوسيه الجدد كان أفضل ؛ فإنها تعطيك الفرصة بأن تسير في طريق صحيح ذي خيارات متعددة .

هذا التثقيف والجدية في التطوير جعلني أترك الإشراف التربوي بعد أن أصبحت ـ بفضل الله ـ قادرًا

على إقامـة دورات تدريبيـة للمشـرفين أنفسـهم. حيـث صممـت ونفـذت برنامجًـا بعنـوان ﴿ وقفـات إشـرافية ﴾ سـنرى بعضًـا مـن فقراتـه لاحقـا بـإذن الله.

ما كنت أتقدم عملي

الوظيفي اليومي بعمل آخر، وإن كان متعلقًا به أي أني إذا صحوت أتناول وجبةً إفطاري ولا أدخل مكتبتي لأي عمل ،ومن الخطأ أن تذهب إلى عملك الوظيفي بعد أن تكون استنفذت شيئًا من طاقتك بالقيام بعمل آخر، وكنت أفضل السهر والتأخير في النوم لإنجاز ما يلزم إنجازه، حتى لا أضطر إلى أي عمل في الصباح يسبق عملي الرسمي ؛ لأني أريد أن أذهب إلى عملي وأنا بكامل نشاطي .

وهـذه مـن سـوانح الـذات الـتي هـي مـن بـاب حفـظ شـيءٍ مـن التاريخ الاجتماعـي ثـم أعـود بـك إلى الإشـراف التربـوي: هنـاك جُمَـلٌ ورثناهـا ممـن قبلنـا يتبـارى الصبيـة في ترديدهـا على ألا يخطئوا وهـي جمل ذات حـروف متشـابهة مثـل: حـوش خميـس أخـس الحوشـة ،ومثـل حمامـة طـارت ووقعـت علـى جـدار دار طـه وأثـر جـدار دار طـه طـين، ومثل خشـب الحبس خمس خشـبات ، وهـي جمـل يصعب علـي نقلهـا لـك كمـا كنـا ننطقهـا ، وكان ممـا يداعـب بـه الآبـاء أطفالهـم أنهـم يمسـكون ذراع الطفـل ثـم يُمِـرون أصابعهـم بلطف على باطـن الـذراع وهـم يقولـون: الدبايـة تدبي تدبي يـرددون هـذا المقطـع حتـى يصلوا إلى الأبط ثـم يقولـون تدخـل بخخيـره عندهـا يقهقـه الصبي فرحًـا ، وهنـاك مقطـع ترـدده الأم حـين تضـع طفلهـا علـى فخذيهـا وتحركهمـا تريـده أن ينـام فكانـت تقـول مـرددةً اسمـه فتقـول مثـلاً محمـد يـبي ينـام نذبـح لـه جـوز الحمـام ، وتبقـى تـردد حتـى يسـتغرق الطفـل بالنـوم، وممـا يسـلي بـه الوالـدان أبناءهـم أنهـم أن يأمرونهـم ببسـط

راحاتهم على الأرض ثم يرددون هذه المقطوعة ويمرون بأحد أصابعهم على أكف أبنائهم : حدارجا بدارجا يا كلِ عين سارجا والحبة حبة اللولو وتلالي مذبح الديك حبها وكُفها يا راعي ذي) ثم يغمز منشد المقطوعة أحد الأكف وهو الكف الذي يقع عنده نهاية الإنشودة ، وهكذا حتى تُكف جميع الأيدي وصاحب الكف الأخيرة هو الفائز ، ومن الأناشيد التي كنا نرددها أمام بيوت الحارة :

عمار وباقي باقي

تحت النخل والساقي

عسى محمد يحج بامه

شر البندق تعداه

نرددها حتى يهدوا إلينا شيئًا ، وغالبًا ما تقال عند البيوت التي عاد أهلها من الحج، ومن طريف ما أحب أن أرويه لك من مواقف الصبية أنَّ اثنين من أبناء الحارة تشاجرا ،وكانت أمُ أحدهما كالمسترجلة فخرجت من بيتهم ترعد وتزبد ، تريد من تشاجر مع ابنها ، فأمسكت

به على غفلة قابضةً على ثوبه، فما كان منه إلا أن سلَّ نفسه من الثوب وفر إلى منزلهم، والطريف الذي أحببت روايته لك أنَّ هذا الصبي ذهب يجري وهو عارٍ من غير أن يستر عورته شيء ؛ لأنه ما كان يرتدي غير ثوبه هذا .

بخلاف ما أرى عليه أحفادي من أنهم لا يكادون يخرجون من البيت إلا للصلاة أو المدرسة، فقد كان جيلنا يكثر الخروج من المنزل، وهذا له أثر تربوي جيد عرفنا قيمته حين فُقد ، ففي الحارة شجار وفيه ألعاب جماعية وفردية حتى الشجار لا يخلو من فائدة ، من الشائع عرفًا في بعض البلدان أن يكون في البلد مقاهٍ عامة يجتمع بها الناس للتسلية ومجاذبة الأحاديث ، وهي مجالس تتلون وتظهر بحسب من يرتدها ، أن كان من العامة أو المتعلمين،لكن عنيزة وسائر بلاد نجد لا يوجد فيها هذا اللون من أماكن التسلية،وقام مقامها أنَّ الناس يتناوبون الاجتماع بينهم في بيوتهم ، فيكون في هذه الاجتماعات ما يكون في المقاهي .

من الأعباء التي استثقل العمل بها عضوية اللجنة في حركة المعلمين لا لمشقة عملها ولكن لأنها تدخل فيما يشبه العمل القضائي فهي موازنة لحاجات المدارس وتحقيق هذا يتعارض في بعض حالاته مع رغبة بعض المديرين و المعلمين وفي هذا ما فيه من الحرج والتعرض للقيل والقال؛ وهي تعقد في نهاية كل عام دراسي ،ولا مناص من ترشيحي لهذه اللجنة لأني كنت رئيس شعبة اللغة العربية،ولا بد لنجاح العضو هنا من المعرفة الكاملة بعدد حصص تخصصه في كل مدرسة وعدد المعلمين كذلك في كل مدرسة . وأن يكون كذلك على علم بمستويات المعلمين وعطائهم ليكون التوزيع أقربَ إلى العدل .

ولثقتنا ـ أعضاء اللجنة ـ بسلامة إجراءاتنا ، ولتلافي ما قد يجده بعض المعلمين من شعور بالغبن، وللقضاء على ما يجري بين المعلمين من أحاديث الشكاية والتشاكي،فقد كنا ـ أعني أعضاء اللجنة ـ نعقد احتماعًا علنيا بعد صدور الحركة يعلن موعده ومكانه لجميع المعلمين ونستمع فيه إلى

أي تظلم يراه المعلمون المشمولون بالحركة وكان الحضور قليلا بل لا يكاد يذكر ما يؤكد قناعة العموم بما صدر .

الأسلوب الإداري الذي كان يميل إليه مدير التربية والتعليم - الأستاذ إبراهيم بن علي العبيكي - كان من أساليب استطلاع الرأي أي أنه كثيرًا ما كان يدعو إلى اجتماع للمشرفين لتدارس فكرة مشروع تربوي أو إداري تنوي الإدارة تنفيذه أو طلبت منها الوزارة دراسته . وبالمناسبة فإنَّ أحد مسؤولي الوزارة قال مرة : إنَّ المشروع الذي تطرحه الوزارة ثم توكل دراسته إلى تعليم عنيزة فإنَّ صاحب فكرة المشروع يغتبط كثيرًا بهذا التكليف ذلك لثقافة تأصلت في الوزارة وهي الجدية التي يتعامل بها منسوبو التعليم في عنيزة. مع ما يطرح . أحد المشرفين يتعامل مع الاجتماعات ببرودةٍ مزعجة وعدم اكتراث ولا يشارك في الرأي، ومرد هذا عنده أنَّ الأمر « مطبوخ « ومحسوم وما هذا الاجتماع إلا تغطية وبهرجة إعلامية لاقيمة لها ! كنت أتضايق كثيرًا من هذا التفكير المثبّط

واستغرب صدوره ممن يفترض فيه أنه تجاوز هذا النمط من التفكير ،وأظن أنَّ من يقول به يغطي عجزًا لديه فهو لا يملك ثقافة تؤهله ليضيف جديدا فيلوذ بالتثبيط، ولكني لا ألتفت إليه واتفاعل بما أستطيع رفضا أو قبولا، وأقول لفئة المثبطين إذا كنت ترى ما ترى فلا أقل من أن تتعامل بأمانة فتقول ما لديك وتدع هذه الأوهام وتكل أمر النتيجة إلى الله . كان مثل هذا التفكير قد مر علي في مواقع سابقة ولكني أعجب من وجوده بين أناس يسميهم التربويون صفوة الصفوة أعني المشرفين التربويين؛ وأجزم أنَّ هذا الفكر المقيت موجود على جميع المستويات القيادية ولا أستثني المجالس البرلمانية ومجالس الشورى بل ومجالس الوزراء ؛ وإني أعزو تسرب مثل هذا التفكير إلى الشخص أنه ضعيف الثقة في نفسه وأنّه لا يستطيع أن يقترح مفيدًا ، أو أنه ضعيفٌ في أمانته . والبلاء كل البلاء أن يكون هذا المثبّط وصل إلى هذا الموقع بتوصية لا بجدارة . والوصول إلى أيَ منصب قيادي بسبب توجيه من جهة أعلى يدمر

الجهاز ويحبط الجادين ، ورأيت أنّ كثيرًا ممن يَصِلون بهذه الأسلوب أنه يسترخي على الكرسي ويجعله متعة إعلامية وثديا يرضع منه الشهرة. لا تكليفا وأمانة .

أقول إن مما يزيد حماستي في المشاركة أني أطمح من أن يكون رأيي ومشاركتي سببا في إحداث أمر يُنتفع به مِن بعدي، أو نافذة تذكر غيري، في هذه الاجتماعات كنت أتجنب الجلوس بجوار أحد المشرفين الذي لا يفتأ بصوت خفي خافت من السخرية بمتحدثٍ أو بمداخل .

سانحة ذاتية ثم العودة إلى الإشراف التربوي: إنك لست مستطيعًا بهذه الحياة بأن تبلِّغَ البشرية الغاية القصوى التي خلقتْ من أجلها ،ولكنك مأمورٌ بأن تشارك بإدارة العجلة،والعجلة ستدور بك أو بغيرك حتى تبلغ الغاية التي كتبها الله،وأنت ذو حظٍ عظيم إن شاركت بإدارتها على الطريق المستقيم ولم تتعجل الثمرة ،إن المناهج البشرية المبنية على تطلُب ثمرةٍ قبل نضجها هي التي تتعجل فتقطفها قبل نضجها .

الخطأ في تفسير أسباب موقفٍ ما من مواقف الحياة قد يثير مشكلةً تسبب ذهاب الصفو بين الطرفين، وخاصةً في مواقف الأسرة، فقد جربت ومررت بتجارب أخطأتُ في تفسير السبب فنتج عن هذا ضيقٌ أذهب الطمأنينة سواد ذلك اليوم، قد يكون لديك ما يبرر هذا التفسير لأنك تحمل آثار مواقف سابقة تحدد مباشرة ومن غير تفكير السبب من خلال وحي ذاك الموقف، ثم تكتشف أنك مخطئ فيأخذ منك الندم ما يأخذ ،وقديمًا العربُ سمت العجلةَ أمَ الندامة، فلا تجعل المواقف ذات سبب واحد فقد تجد بعد التأني أنَّ هناك سببا معقولا أفرز ما ترى، وإليك هذا الموقف تصرَّفَ أحد أحفادي تصرفًا لا أرغبه فلمت الخادمة على ذلك فأخبرتني بأنَّ الأمر حصل من غير إرادتها وأنها لو حاولت منع الحفيد فلن تفلح، وشعرتْ أني ظلمتها ولكنها لا تستطيع مواجهتي بهذا فسكتت سكوت المظلوم ،بعدها بقليل حصل مني ما أذهب صفاء الأسرة فعلمت أني في حالة عقوبة ربانية،فعاجلتُ التوبة وأهديتها ما يطيِّب خاطرها ويمسح عنها ما وجدت .

من واقع تجارب مررت بها

فإني أثق إلى حدٍ كبير بتصنيفي لمن أتعامل معهم، أو أسمع لهم ، خاصةً فيمن يكونون على خلاف ما هم عليه، وعلى خلاف ما يُظن بهم من صدق، فكنت أجد عدم القبول وعدم الارتياح لما يقولونه، ويقع في نفسي أنهم على خلاف هذا ، وبالتجربة التي أثبتتها الوقائع رأيت أني مصيبٌ في كثيرٍ مما ذهبت إليه .

في عملي الإشرافي أول مدرسة زرتها هي متوسطة حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وكان هذا يوم الأثنين ١٤٢٣/٨/١٥هـ ومديرها في ذلك الوقت هو الأستاذ/ عبدالله بن فيصل المُعدّي[ابوفيصل] ووكيلها الأستاذ/ عبدالله بن حمد القاضي .[أبو فراس] ومقرها حي الشَفا شرق عنيزة . وهي في مبنى مستأجر؛ وآخر مدرسة زرتها هي متوسطة الملك فهد ـ عليه رحمة الله ـ وكانت يوم السبت١٤٢٩/٦/١٧هـ ومديرها هوا لأستاذ/أحمد بن إبراهيم الجهني[أبوباسل] ووكيلها هوالأستاذ/علي بن عبدالله الرشود .[أبو عبدالله]ومقرها حي الفيحاء جنوب عنيزة. وهي في مبنى مستأجر أيضا .

دار نقاش حول صواب كتابة الحي: الشَفا أم الشِفاء . فملت إلى أنّها الشَفا بدون همزة؛ لأن المقصود بالتسمية إطلاقها على مكان مرتفع مطل على غيره وله حواف؛ قال في العين « [وشفا كلِ شيءٍ حده وحرفه] وهي بهذا المعنى تكتب بدون همزة . وبالنظر إلى

موقع الحي الذي نعنيه فإنّه تنطبق عليه هذه التسمية. أمّا الشِفاء بهمزة فهو زوال المرِض؛ وهذا المعنى لاتسمى به الأماكن. وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٩) سورة التوبة

وأروح عنك بهذا السانحة ثم أعاود الحديث عن الإشراف التربوي، وهي سانحة تبين بُعْد الأثر بين السبب والنتيجة وبين البداية والنهاية، وأنَّ الإنسان يتخذ سببًا يريد منه غايةً هي في العادة مما يحصل من هذا السبب ولكن الألطاف والمقادير والرحمة الربانية أعظمُ من تقديرنا ،حدثني علي بن عبد الله باعجلان وكان مسؤولاً في القصيم عن شركة خلفاء مجلي أحمد بامجلي وهي شركة كبيرة لها فروع كثيرة مختصة ببيع الأغذية المعلبة ؛ قال إنَّ لي قريبًا يسكن في المدينة المنورة ويبيع ويشتري في السيارات، ومن المعروض عنده سيارة جمس

صالون وبقيت مدة طويلة لم تُبع وكان لصاحب المعرض قريب يسكن الرياض ويبيع ويشتري في السيارات فقال صاحب المدينة لصاحب الرياض إنَّ لدي سيارة لها مدة معروضة من غير أن يسأل عنها أحد وهي من نوع جمس فقال له صاحبه لعلك تعرضها عندي فلها طلب في أسواقنا ، فأخذ برأيه وسافر بالسيارة من المدينة إلى الرياض، وفي طريقه وقريب من الرياض رأى رجلاً مع عائلته تعطلت بهم سيارتهم فوقف عندهم لمساعدتهم، فلما طال الوقت ولم يتمكنوا من إصلاح السيارة قال لرب العائلة خذ سيارتي واذهب بعائلتك وسألحق بكم إن شاء الله، فرح صاحب العائلة بهذه الرأي، وأعطاه عنوانه في الرياض ، ثم أعاد المحاولة في إصلاح السيارة وكرر حتى صلحت ثم ركبها إلى الرياض، كانت السيارة بها هاتف سيارة وهذه دليل على أنَّ صاحبها له منصب نافذ أوهو رجل أعمال وهذا قبل وجود خدمة الهاتف الجوال، فلما وصل الرياض نام ليلته ومن الصباح هاتفه صاحب السيارة

وسـألهعـن مكانـه، ثـم أرسـل لـه سـائقا يوصلـه إلى المنـزل، عندما وصل إلى المنزل استقبله وأكرمه وقال له أنا مسؤولٌ بإحدى المصالح الحكومية، وأظن علي باعجلان قال لي إن هذا الرجل مسئول بوزارة الداخلية، فقال له اطلب مكافأتك، فأطرق الرجل مترددًا بما سيقول لأنَّ لديه طلبًا يخشى ألا يتحقق فأدار هذا الأمر بنفسه ،ثم قال أريد الجنسية السعودية، فرحب هذا المسؤول بطلبه وقال اجمع وثائقك وأحضرها لي في المكتب، يقول فجمعت وثائقي ووثائق عائلتي فأحضرتها له ثم أخذ بإجراءات التجنيس حتى حصلنا على الجنسية مع أنها أي الجنسية من الأمور المستعصية ولكن الله إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه وقال له كن فيكون .

وإليك هذه السانحة الفكرية ثم العودة إلى الإشراف التربوي: السخرية الجادة في الأدب هي مما يدار به أدب الاختلاف وأرى أنه مما يسير عليه النبلاء في ردودهم ؛ فيتجهون إلى إضعاف حجة الخصم مبتعدين عن سوقية

اللفظ أو انحطاط المعنى، وهو نوع موجع للطرف الآخر؛ لأنه كوخز النحل بإبرها؛ ومن مجاري السخرية في هذا الفن أن يتباله الكاتب فيما يقول أثناء رده، فيثير فكرة يرى صوابها في قرارة نفسه، فيجرّد بعد الإثارة سؤالا فيه تغافلُ وتبالُه، يوحي ببراءته وتغليطَه مما قد يكون اختلط في ذهن الطرف المقابل، ومن هذا ما اوقع في أحد الردود حين وقع المردود عليه بإدخال حرف جر على فعل، وحروف الجر لا تدخل على الأفعال فيختم فقرته: لعلك ترى أنَّ حروف الجر تدخل على الأفعال فهذا سبق علمي فُتح به عليك فيختم فقرته بسخرية ساخرة كأن يقول: علم ذلك عند ربي، يذكرها سخريةً من الطرف الآخر مع إيمانه بما ذهب إليه هو من رأي، ومن أمثلة التباله ووخز السخرية الجادة أن يذكر الكاتب حقائق يوقن بصحتها، يذكرها بسخرية على أن الطرف الآخر هو الذي يملك الحق والصواب، من هذا ما ورد في مقالة محمود شاكر رحمه الله في رده على

توفيق الحكيم عن الاحتفاء بالعامية: (. . . وليس أحدٌ بالطبع،أيضا أعلم بأخبار قدامى العرب من أستاذنا الجليل . . . وإن كان أمثالنا لم يعرفوا لِمَ قيل « سكن تسلم « فأتنا بالأمر من فصه . . . وكنا نظن أنها قيلت في رجلٍ قرأ كتابا فظل يلحن . . . فلما ضاق سامعه قال له: « سكن تسلم « . . . ولكن هذا ظن ؛ والعلم عين العلم هو الذي جاءنا به الأستاذ) ومثار السخرية في قوله: « وكنا نظن أنها . . . « ولا شك بأنَّ شاكرًا يدرك حقيقة الأمر الذي وردت في هذه الجملة « سكن تسلم « ولكنها السخرية الجادة التي كثيرًا ما يجري بها قلمه .

ومما جرى به قلمه من سخرية جادة رده على طه حسين في فصل « بيني وبين طه « في كتابه المتنبي .

وليس من هذا الفن السخرية المباشرة كما ورد في رسالة التربيع والتدوير التي كتبها الجاحظ في أحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله،أو رسالة ابن زيدون الهزلية التي

كتبها ساخرًا إلى أحمد بن عبدوس على لسان ولادة بنت المستكفي رحمهم الله؛ وليس من السخرية الجادة أسلوبُ المغالطة فهي قائمةٌ على التدليس وتعمد الكذب والتغرير وإيقاع القارئ بسوء، ومن غاياتها جر الناس إلى تزيين الباطل، وكل هذا منافٍ للشيمة العلمية، أما السخرية فلا تنطوي على خبث وتدجيل لأن الساخر يدرك أنَّ خصمه يفهم ما يريد، والمغالِطة فيها مكرٌ وتلبيس، ليسا بالساخر، المغالطة قائمة على التضليل والمخادعة، ولا تدخل بهذا الباب، لأن الطرف الآخر أي الذي أريد به التغليط يدخل فيما زُين له معتقدًا الصواب، أما في السخرية الأدبية فإنَّ الخصم يعلم أنه يُسخر منه، والمغالطة لا تدخل في أبواب الردود النزيهة؛ لأن المغالط أنشأ مغالطته بهدف الطعن وجرِ غيره فيعمد إلى قلب الحقيقة وتزيين الباطل والتشكيك بالمسلمات؛ ومن أساليب عرض هذا الفن أن يعمد الكاتب ــ حين تفنيد رأيٍ رآه من يخالفه ــ إلى صوغ رده بألفاظٍ وجمل جادة في

ظاهرها ولكن باطنها السخرية بمن خالفه ،أو يرصع رده بإدراج جمل ذكرت في سياقات أخرى تَمكّنَ الكاتب بقدرته البيانية وحضوره الذهني من اجتلابها ومن ثم وضعها في ثنايا رده على أن تساعده قدرته الكتابية على إدراجها إدراجا غير متكلف، فتحس وأنت تقرأ بانه جزء عضوي أصيل في فكرة الكاتب وكتابته ،ومن هذا ما أُدرج في بعض الردود اعتراضاً على فكرة دعا إليها بعض الكتاب وأفاض في تسويغها : « وحشر لها فنادى «وهذا استدعاءٌ وتضمينٌ لموقف فرعون مع موسى، وهي نوع من الأدب الراقي الذي يملكه خواص الكتاب ممن تتسم ثقافتهم بالعمق والسعة والقدرة على استحضار المخزون المعرفي ، فيعمدون إلى أن يكون عمودُ كتابتهم مثلاً تشبيهَ حال من خالفهم بمألوف الناس، أو يسخرون بالكاتب بأنه بلغ المنزلة وجاز القنطرة فأصبحت أراؤه فوق طبقة ممن يؤخذ من كلامه ويرد فكلامه صواب كله عظيمٌ كله هبةٌ كله ،وقد

وجدت كثيرًا من هذا في ردود محمود شاكر، ومن رحم قراءتي لكتاباته رحمه الله وُلدتْ فكرة هذا المصطلح ؛ وذاك أني كنت أقرأ في كتابه «أباطيل وأسمار»؛ فمن هذا رده على توفيق الحكيم حين دعا إلى العامية بانها لغة لا فرق بينها وبين الفصحى إلا اليسير،فمما قال شاكر حول هذا في كتابه أباطيل وأسمار ص ٢٨٣ : (. . . كما أنّ النعام طائر والعقاب طائر هذا له جناحان ،ولها هي أيضا جناحان ، وإذن فهما شيء واحدٌ أيضا . . . وليس همي الآن أن أناقش في بيان فضيلة هذا المشروع الجليل . . . ولكن الأستاذ الحكيم غير مكلف بالاطلاع على شيء من ذلك لأنه كاتب عظيم القدر رفيع الذكر) وقال: (. . . ولا على الترتيب المنطقي البديع المتقن ،الذي هو أحسن بِدْعَا وأشد إتقانا من «حوار الحكيم« الذي اشتهر به عند الناس) وهذه لسعة ووخزة يشير بها شاكر إلى رواية توفيق الحكيم «حمار الحكيم« وهي رواية دار

طرف منها إلى حوار مع حمار؛ وممن سار بكثيرٍ من كتاباته على السخرية الجادة مارون عبُّود .

عودة إلى الإشراف، وقبل زيارتي للمدارس التي أسند إلي الإشراف عليها وزعت استبانة جعلتها توطئة لما سيكون عليه المنهج في التعامل مع زملائي المعلمين ومما جاء فيها :

المكرم الاستاذ/ . . . حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهنئك بهذا العام الجديد وأسأل الله أ ن يجعله عامًا مباركًا على الجميع .

أخي الكريم هذه الاستبانة التي بين يديك تهدف إلى استطلاع رأيك، والتعرف على رغباتك لمحاولة تحقيقها ما أمكن ،كما أنّ من أهدافها اختصارَ الوقت وإعطائي تصورًا ولو موجزًا عن الميدان. وكلما كانت الإجابة أدق وأوضح كان هذا أدعى للفائدة، فإليك الاستبانة مع

دعائي لك بالتوفيق :

*ما دور المشرف في نظرك ؟

*هل تفضل أن يكون حوارك مع المشرف منفردًا ؟

*ما مدى ارتياحك في عملك ؟

*ما الجانب التربوي الذي تميل للحديث عنه ؟

*هل تقترح دورة تربوية في موضوع معين ؟

*ما المعيقات في ميدانك التربوي التي ترغب في تذليلها ؟

*هل لك ملاحظات على أيٍ من مقررات اللغة العربية ؟

*ما المادة والصف الذي ترغب أن أزورك فيه ؟

*ما رأيك في طرح هذه الاستبانة ؟

*هل ترغب في إعطاء حصة في مدرسة أخرى ؟

* لو زارك زميل في فصلك من مدرستك أو من مدرسة أخرى فما مدى ارتياحك ؟

* ﴿ هام جدًا ﴾ هل هناك أمرٌ لم يرد في الاستبانة

تودطرحَه؟ ،وبعد أن عادت من المدارس جعلتها كشافا قبل زيارة المعلمين.

ومن البرامج التي قدمتها عندما كنت مشرفًا للغة العربية برنامجٌ للمشرفين التربويين

عوانه [وقفات إشرافية]

ومن فقراته

*الهدف العام: تنمية المهارات الإشرافية للمتدرب

*الأهداف التفصيلية: أن يحددا المشرف أهداف زيارته.

أن يبدأ تدوين ما سيكتبه في سجل الزيارة من بداية زيارته للمدرسة.

أن يتعرف على ما يجب أن اتحويَه حقيبةُ المشرف.

أن يعالج ضعف من يراه ضعيفًا من المديرين.

أن يتعرف على خطوات التأثير في الآخرين.

وقبل الوقفات أحب أن أقول: إنَّ المعلم والمدير وكثيرًا من العاملين في الميدان يظنون أنَّ المشرف لديه من

الصلاحيات ما يستطيع بها حل جميع إشكالاتهم، وهذه نظرة عامة من المجتمع لأي مسؤول، فلا تفاجأ حين تسمع من يطلب منك ما لا تستطيع تنفيذه، ولا تحبطهم ،وعدهم بالمحاولة ونقل الأمر إلى صاحب الصلاحية .

الوقفات

الوقفة الأولى: المفتاح

وهو أن تكون أهداف الزيارة واضحةً في ذهني ؛ لأنَّ وضوح الهدف يمنحك الانتفاع من الوقت والسير بطرقة سليمة، كذلك فإنَّ وضوح الهدف حقٌ من حقوق الميدان عليك .

الثانية: لا تنس موقع الحصة . لأن عنايتك بموقعها له أثر في قبولك أو رفضك من المعلم الذي ستزوره، فقد تكون زيارتك بعد معلم عُرف عنه ضعف الشخصية ، أو آخر عُرفت عنه القسوة على الطلاب ، فإن كان ضعيف الشخصية فالأمر بعده يحتاج جهداً لإعادة الطلاب إلى وضعهم ، وإن كانت الحصة بعد معلم معروف بالقسوة . فمن عوامل التأثير أن تعطي المعلم وقتًا قبل زيارته ليعطي طلابه متنفساً قبل أن يبدأ حصته .

الثالثة : أن تكون على دراية بما يجب أن يكون

المعلم يشرحه في يومه هذا من حيث توزيع المقرر . وهذا للنظر في دقة توزيعه لخطته الدراسية ومدى التزامه بها .

الرابعة: الإعداد للسجلّ .

والمقصود ما سيكتبه المشرف في سجل الزيارة الإشرافية فيكون إعداده من بداية الزيارة ، بحيث يدون فيه مايجده في الاصطفاف، الإذاعة الممرات ، ومايوجد فيها من وسائل تستحق الإشادة أوالتنبيه .

الخامسة : حقيبة المشرف ماذا تحوي ؟

ينبغي أن تكون حقيبتك محتويةً نشراتٍ تربوية، أوتعاميم متعلقة بالتخصص،مواعيد دورات تخدم المادة والتربية

السادسة : وقفة عن السجل من حيث مايدون فيه .

ينبغي أن يكون السجل خاليًا من أسماء المعلمين منسوبة إليهم ملاحظاتهم . ولتسطيع إيصال كل ملاحظة

إلى صاحبها لابد أن يكون هناك مشافهة لكل معلم بما يخصه من الملاحظات ليستطيع أن يعرف كل معلم ما يعنيه عند قرائتهم لما قمت بتدوينه .

السابعة : المدير الضعيف / إذا كان المدير ضعيفا يستحسن أن إذا رأيت أنّ هناك ملاحظاتٍ يلزم توقيع المعلم عليها أن تطلب من المعلم الاطلاع والتوقيع بحضورك فحضورك أدعى لانضباط المعلم وتنفيذه

الثامنة : الإفتاء :

يتعجل بعضنا الإجابة على بعض الاستفسارات التي ترد من مدير أو معلم حتى ولو لم يكن متأكدًا من علمه بهذا الأمر . فيبني المدير أو المعلم على إجابة المشرف قرارًا يتبين فيما بعد خطؤه . فيصاب المشرف بحرج يقلل من حجية الرجوع إليه فيما بعد ، ويحرج غيره من المسؤولين؛ والأولى في مثل هذه الحال أن تطلب من السائل أن ينتظر ، ومن ثم تستفتي من ترى عنده إجابة .

التاسعة : الإثارة على أحد المعلمين .

وهذا ينتج إما بسبب نفسي محض لمعلم بعينه وقد وقفت على شيء من هذا عند أحد المديرين . أويكون بسبب قلة خبرة المدير أو ضعفه، وإن تيقنت أنّ هذا بسبب عدم توافق النفسيتين بين المدير والمعلم، وأنّ المعلم يؤدي بجدارة فلابد من الوقوف بحزم أمام المدير ،وبيان أنّ الميدان التربوي ليس محل التصفية الحسابات .

العاشرة : متقصي الأخبار .

فمما شاهدته عند بعض المديرين المحاولة في استجلاب ما لدى المشرف من أخبار تخص الإدارة أو الوزارة خاصة، مع الأسف. ما يتعلق بالجوانب السلبية من إعفاء فلان أوما حصل من فلان من إشكالات . ولا تفاجأ عندما يقابلك أحد المديرين من هذا الصنف بخبر لا تعرف عنه شيئًا بل قد يكون الخبر عن الإشرف التربوي فعرفه هوقبل أن تعرفه أنت . بسبب إرخائه لأذنه ودسه أنفه، فمتى ما

وجدت هذا الصنف فلا تضيّع وقت زيارتك مع هذه الأحاديث، وأشعره بوضوح بأنَّ هذا الأمر ليس من غايات الزيارة الإشرافية، وأن تتبع مثل هذه الأخبار أثمه أكبر من نفعه.

الحادية عشرة: الزيارة يوم النشاط.

إذا وافقت زيارتك يوم نشاط للمدرسة فلا تبخل بالمشاركة. فلمشاركتك وزنٌ عند المدير والمعلمين والطلاب؛ وإن رأيت في الإذاعة الصباحية مايعجبك فلاتتردد بتعزيزه أمام الطلاب.

الثانية عشرة: الدعوة المنزلية إلى بيتك

هذا مما يعزز مجال العلاقات الإنسانية ويرقى بها حدا لألفة. ويذيب ماقد يكون من حواجز بينك وبين المعلم، ومن الممكن أن تكون دعوتك لمجموعة من المعلمين لتعزيز جوانب التآلف بينهم أوتصفية مايشوب علاقتهم من شوائب .

الثالثة عشرة : خطوات التأثير في الآخرين .

توافق انسجام تأثير

فتوافق من تريد التأثير فيه ببعض الجوانب لا القناعة تامة بها ولكن بهدف التأثير فيه .

انسجام . بعدها يحس بميلٍ إليك ومن ثم يكون هناك انسجامٌ يعقبه التأثير

تأثير . بعد الانسجام بين الرأيين يكون الشخص الآخر جاهزًا للتأثير فيه .

الرابعة عشرة : كيف تبدأ تعقيبًا على المعلم عندما تريد الحديث أمام الطلاب .

فلأستطيع أن أأثر في المعلم ليقبل ما سأقول فإني أبدأ تعقيبي على شرحه بقولي للطلاب: أنا فلان زميل المعلم فلان وأسمي المعلم المزار باسمه وأضيف: أنّ هذه عبارة عن زيارة من الزيارات المتبادلة بيني وبينه أستفيد منه

ويستفيد مني، وقد وجدتُ من هذه المقدمة أثرًا حسنًا لدى زملائنا المعلمين .

الخامسة عشرة: مقعدك داخل الصف

ليكن خلف الطلاب ،ولاتكن كتابتك قي سجلك بمتناول نظر أحد الطلاب .

السادسة عشرة:

من عوامل نجاح زيارتك أن تكون قد اطلعت قبل الزيارة على ما دونته في زيارتك السابقة عن المعلمين. وهذا بمثابة ما تطلبه من تحضير الدروس منهم .

السابعة عشرة : إيحاءات بعض المعلمين

فتجد في بعض مداولاتك الإشرافية مع أحد المعلمين من يمتدح معاملة المشرف فلان وفلان من غير أن يكون هناك مسوغٌ لذكره، فهذا الزميل يريد أن يوحي إليك بأن تتعامل معه بمرونة قد تؤدي إلى غض الطرف عن

جوانب التقصير الموجودة لديه. فانتبه وفرِّق بين المرونة والتمييع .

الثامنة عشرة: عندما تنهي زيارتك للمدرسة؛

فمن حسن التنظيم أن تدون في سجلك الشخصي ما تعتزم القيام به من أهداف في زيارتك القادمة؛ وهذا من واقع حاجات قدرتها في هذه الزيارة .

ومن سوانح عملي بالإشراف التربوي أنَّ من الأمور التي أمقتها أنَّ المشرف مضطرٌ أحيانا أن يتكلف الثناء على المدير أو المدرس حتى إذا لم يجد جانبا جادًا يثني به أثنى على نظافة الأفنية وعلى متابعة المدير لعمال النظافة، وهذا يكون مقدمة ملزمة لما سيذكره من جوانب القصور .

سانحة فكرية ومن ثم العودة إلى الإشراف التربوي: رأيت أنَّ من مناهج الردود التي يرد بها بعض من جرى بينهم خلاف على بعض، أنَّ المنتقد الأول البادئ بإظهار

الخلاف إن بنى مؤاخذاته على طعون بألفاظ نابية فإنَّ الطرف الآخر يشغله هذا وتأخذه الغضبة فينسى إبطال طعون خصمه ويبادله شتيمة بشتيمة، فهو هنا لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، فلم يرفق بنفسه ويتغافل عن الرد ولم يبطل مطاعن خصمه من هنا يبقى ظاهر الغلبة للمبتدئ. وقد يأتي من يقول إنَّ الطرف الثاني يقرَّبما نسب إليه؛ فهو لم يورد أي دليل ناقض وهذا له حظ من الصواب؛ إذا الأولى أن لا تشغله سوقية الأسلوب المخالف عن تفنيد المطاعن.

وهذه أيضا من السوانح الفكرية: مما شق على نفسي أن يبذل إنسانٌ طاقاته وينفقها في زي فكري من أزياء العصر» التدريب على تطوير الذات «أوما هو قَريبٌ منه]وهي أزياء لا تلبث إلا يسيرا حتى إذا انبعث لها من يغري بتركها ويزهّد الناس بها فإذا قبولها واحتضانها ينقلب عَيفا، إنيَ أشحُ بكلمة علم من أن أطلقها عليه، وتقصر مضامينه عندي عن تسميته فنا من فنون المعرفة، ولكن يتناهى أمره في رأيي حين أقول إنه زيٌ فكري، تشبيها

له باللباس الذي لا يلبث إلا يسيرا ثم يكون تغييره من غير أن يُبقي أثرًا على البدن ؛ لأنه تجمَّل قصير وهذا ما يحسه المتدرب أثناء حلقة التدريب، فيحس بانتفاخ في معلوماته لكنه يذهب جفاءً فور خروجه من القاعة، وكذلك يحس المتدرب بداخله بأنه حصَّل فإذا انفضت الحلقة فإذا الأمر يتقشَّعُ تقشَّعَ سحائب الصيف، وليس له صفة البقاء لأنه برقٌ خلب يغري الناظر بجماله وهيئته فقط، هذا قصارى أمره فيما أرى، وهذا الزي يُقعّدُ لمسلماتٍ أُشربَ الناسُ العلمَ بها ويؤدونها بغريزتهم بطَريقة تلقائية عفوية ! ! ! .

وهو من السوس الذي نخر في عقول بعضهم فيجعل المثقف يرى لنفسه رتبة العالم لأنَّه زيٌ قائم على تضخيم الشخص ونفخه أمام نفسه فيخيل إليه أنه ترقى إلى منزلة العلماء بسبب ما يجده في داخله من الورم المعرفي ونتوءات الإعجاب، وهذا لم أقله عن رأي فطير بل مما شاهدته من سقطات رجل عُرف به، فرأيته يُدخِله العُجْب إلى دقائق في مسائل علمية لا يملك في أحسن حالاته إلا مسمياتها .

وهـوزيٍ مطـروحٍ بالطريـق لـن يصـل أحـد فيـه إلى الكلمـة الأخـيرة.

ونبتعـد قليـلا عـن التعليـم ثـم نعـود إليـه بعـد هـذه السانحة القصيرة: وقعت علي مظلمةٌ من أحدهم، تجاوز فيها حد الأدب، وتطاول بما لايليق ولفَّق الكذب وكذَّب الصدق وأعلن هـذا على جمع من الناس، فدعتني نفسي إلى رفع الأمر إلى القضاء، ولكني لم أطعها لأني رأيت أنَّ ما سأخسره أكثر مما سأكسبه، ومن أثمن ما سأخسره ما أجده من صفاءِ ذهني فالذهن خِلوٌ من المشاغل المشغلة عن لذة العبادة والبحث في مسائل العلم: ولأني سأبقى في فترة التقاضي منصرفًا إلى تحرير الأدلة المثبتة لحقي وتفنيد الأدلة المُدعى بها ،كذلك سأنصرف في فكري إلى ما سيقوله القضاء وهل سيكون الحكم النهائي مساويا لما بذل من قلقٍ وهم، وعند الموازنة بين المصالح والمفاسد تركت التقاضيَ، فوجدت أنّ هذا لي أسلم وأنفع؛ فالتناسي أثمر النسيان والنسيان أثمر الصفاء الذهني .

ومن السوانح الفكرية أنَّ الموفق يضع قبسًا بعد قبس في طريق الأمة فتجد كتاباته مصابيحَ منيرة وعلاماتٍ يُهتدى بها، فلا يكاد ينتهي من قبس وضعه إلا أسلمه إلى آخر، فحروفه تنير ظلمة الحيران وتجلو هَمَّ الحزين، مداده حبُ الخير للجميع فيكون من ثمراته الألفة والاجتماع، لا يلتفت لبُنيَّات الطريق حين تُزيّن له الجدال أو الخصومة مع غيره من إخوانه من الجلساء أو الكتاب؛ لما يعرف ما يجره الجدل من شقاق ويتركه في القلوب من تصدع، قافلته أبدا تسير لا يوقفها إلا كلال الذهن ونقص معينه فيستظل تحت شجرة التوكل والرحمة يلتمس ما يملأ محبرته ويُمِد قلمه، بنى حياته على المساهلة وترك صغائر الاختلافات؛ من مناهجه «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» تركَ الردود العلنية لِما وجده فيها من تذكيرٍ وإشاعةٍ لشرٍ منسي: أو مَدٍ لقامةٍ قصيرة فتطول، لم يدع الإصلاح لكنه نهج في نصحه منهج الرسائل الخاصة يكتبها لمن يرى فيه مداومةً على نقص ولا يعلنها لأحد فوجد ثمرةً

طيبة من هذا من قبولٍ للخير وإسهامٍ في سلامة القلوب والصدور وسترٍ للعيوب، حين يمسك قلمه يتيقن بأن كل حرف يكتبه سيتجه إلى واحد من طريقين وكلاهما في قبره ،حرفٍ يزخرف القبر ويوطئ الفراش ويجعله وثيرا ، وآخر يكون شوكا أحدَ من حَسَك السَعَدان ؛ لهذا ألجم هذا القلم وأوثقه بقيد مَن يكتب كأنه يكتب في قبره ،لا ينشد شهرة مع محبته في إرضاء قرائه ؛ إلا أنه لم يجعل حبهم سببا يلوِّث قبره، عرف المآل فأحسن السعي إليه وركب له أهنأ مركب .ممسكٌ بعِنَان قلمه كلما رأى في إخوانه عوجًا سدده . اللهم اسلك بنا سبل رضاك .

العودة إلى الإشراف، بقيت في الميدان التربوي ثلاثين سنة حيث كان تقاعدي في ١٤٢٩/١١/٢هـ . وقرار التقاعد المبكر من القرارات التي أعتبرها من أفضل ما اتخذته في حياتي وهو من القرارات الحاسمة في حياة كل موظف . ومما أكد لي صواب رأيي في التقاعد المبكر ـ ولله الحمد ـ أنني بعد عامٍ من التقاعد طلب مني قسم التربية

في جامعة القصيم الإشراف على مجموعة من الطلاب في التربية العملية بزيارتهم وتوجيههم في المدارس التي يتدربون فيها فعملت معهم فصلاً دراسيًا كان علي شاقا ثقيلاً مملاً مع أني لم أُمضِ إلا عامًا واحدا في التقاعد فلازلت حديث عهدٍ بالميدان التربوي إلا أني بعد عملي هذا خرجت بمحصلة زادت قناعتي بصواب قرار التقاعد، لأنَّ وقتي أثناء الوظيفة بدلاً من أن كان لي أصبح ملكاً لغيري .
وهذا من أثقل الأشياء على نفسي .

ومما يضاف هنا أن أقول لك: هاتفني صديقٌ سابق من المشرفين التربوين قائلاً : إنه وفلانا يرغبان بزيارتي في أصبوحة تراها ، فقبلت الطلب على مضض وجعلته بعد يومين من المهاتفة، أتدري لماذا هذا التحديد والمضض ؟ لأسرَّيَ عن نفسي خلال هذين اليومين ما أحسسته من ضيق؛ لأنَّ هذه الزيارة ستُربك ما وجدت من فائدةٍ جمة في العزلة؛ ومن أولوياته أن ألغي أو أقلل ـ ما استطعت

ـ حضور المناسبات الاجتماعية الاحتفالية،لما فيها من مجاملات ثقيلة؛ ولأنك ـ بحكم العرف ـ قد تجد نفسك مضطرًا لمباركة أمر لا ترتضيه . ، ولأنَّ وقتها بدايةً وانتهاءً يُفرض عليك بلا خيارٍ، ثم بعد الانتهاء تفتش في نفسك عن شيء كسبته فلا تجد إلا ضجيجا امتلأ به رأسك . ويزداد العبء حين تكون الدعوة على شرف معاليه أو سعادته .

وقبل أن أغادر الحديث عن التقاعد أحب أن أُذكّر كل موظف في قطاع حكومي أو أهلي أن يستعد للتقاعد بأن يقوم بمتطلباتٍ عمله على أكمل الكمال من حيث الحضور والانصراف وأداء مهمات العمل وأن يستعذب مشاقها وإن مسه طائفٌ من الضجر فليتذكر أنه سيترك هذا المكان طوعًا أو كراهية، ولا يسلمْ نفسه لنوازع الكسل والخمول وإن ظهر له ما يثبط من صاحب أو رئيس فلا يلتفت إليه وليعزم على غايته النبيلة وليعلم أنَّه يسعى لأمر

لا يُنال إلا بإدماء الأعقاب وظمأ الهواجر، فإن هو أدى ما أنيط به وصدق ما عاهد الله عليه فسيجد. بإذن الله من نعيم الحياة وطيبها ومن بركة العمر بعد تقاعده ما لم يخطر له على بال.

أعاود الحديث عن الوظيفة بعد هذه السانحة الفكرية، قال عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في (الرسالة الشافية في الإعجاز) الملحقة بكتاب (دلائل الإعجاز) قرأه وعلق عليه/ أبو فهر محمود محمد شاكر/ رحمه الله، قال في الفقرة ٢٩ ص٦٠٤ : (وكذلك السبيل في المنثور من الكلام فإنك تجد فيه متى شئت فصولاً تعلم أن لن يُستطاع في معا نيها مثلُها) ثم مثَّل لهذا فقال: (فمما لا يخفى أنه كذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: قيمة كل امرئٍ ما يحسنه « وقول الحسن البصري رحمه الله: « ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبهَ بشكٍ لا يقين فيه من الموت «

سنح لي أن أضع أمثلةً من كلام أهل العلم أرى أنَّ هذا القيد ينطبق عليه، أمتاعًا لنفسي وبقصد الدربة لمن يقرأ مثل هذا، وهو باب لا يحاط به لأنه موقوف على القول والقول لا ينقضي، فأنت حين تقرأ هذا الكلام ستجد في نفسك أمثلة غير ما ذكرت لكِ؛ وإني أحيانًا تحدثني نفسي حين أهمُّ بالشرح بأني قد أُفسد أو أذهب عن المعنى الذي أراده الشاعر أو المتكلم أو الكاتب فلا استطيع أن أصل بالألفاظ إلى ما يريده صاحب المعنى بسبب ما يعتري لفظي من قصور؛ وهو فنٌ يُلتقط التقاطًا من بطون الكتب وأفواه المتكلمين، وهو يشبه في منهجه إلى حدٍ كبير ما صنعه الزمخشري رحمه الله فيما جمعه باسم «الكلم النوابغ» فهي شذرات يلقيها إليه فكره بين الحين والحين، ولا يُتصور أنه جلس يومًا ثم جمع هذا الكلم.

وإليك شذَراتٍ مما يجانس ما أنا بصدده، وهما بيتان غصبهما الفرزدق من قائلَيهما عليهم رحمة الله، لا لأنه لا يستطيع أن يقول في معناها فهو من هو وما أكثر ما

قال في هذا المعنى، ولكنه رأى أنَّ هذا المعنى لا يستطيعه بمثل هذا اللفظ، فالأول قول الشمردل:

وما بين من لم يُعطِ سمعًا وطاعةً

وبين تميم غيرُ حز الغلاصم

والغلاصم جمع غَلْصَمة وهي اللحم الذي بين الرأس والعُنق، والحز القطع أو الجذب بقوة. فقال الفرزدق: والله ياشمردل، لتتركنَّ هذا البيت أو لتتركنَّ عرضك (يتوعده بالهجاء) فقال الشمردل خذه على كرهٍ مني يا أبا فراس، فهو اليوم في قصيدته:

نحن بزوراءِ المدينة ناقتي

حنينَ عجولٍ تبتغِ البو رائم

والثاني قول ذي الرُّمة:

أحين أعاذت بي تميمٌ نساءها

وجُرِّدتُ تجريد اليماني من الغمد

فانتحلهما الفرزدق في قصيدته وهي أربعة أبيات» ومن

هذا قولهم: [لودامت لغيرك ما وصلت إليك] ففي هذه الجملة من معاني التذكير بسرعة زوال وتبدل الأحوال ما يقرع القلب ويقلل تعلقه بما هو فيه، فكما أنَّ الأمر وصل إليك بزواله عن غيرك فسيصل إلى غيرك بزواله عنك، فكن على حذر من أن يزول عنك اضطرارًا لا اختيارا، أو أن يزول عنك وقد شابتك منه شائبة مشينة، وكثيرًا ممن تشبثوا بمسببات الجاه وقاوموا بالمكر والحيلة كل من يرون أنه ينافسهم ما هم عليه، أقول كثيرٌ منهم ساءت خاتمته حين حان تركه لهذا الموقع، فتركه كسيرًا ذليلا، ومن ثم تنغصت حاله وعاش في ضيق وهم .

ومن هذا قول عمران بن حطان حين أسره الحجاج وأمر بضرب عنقه فقال عمران : « أبعد الموت منزلةٌ أصانعك عليها ! « فخلَّى سبيله . فلو قال عمران غير هذا وهو يريد هذا المعنى لقصَّر، ومن العجب الآخر أنَّ البلاغة كانت تجري منهم مجرى الدم فكيف فطن إلى هذا مع ما هو فيه من هول الموقف، كما تدل على أثر هذه

الكلمة في نفس الحجاج. رحم الله الجميع؛ وعندما اطلقه الحجاج طلب منه قومه أن يعاودَ القتال، فقال قولاً يدخل في هذا الباب أيضًا، فقال: هيهات! غلَّ يداً مطلقُها، واسترقَّ رقبةً معتقها، أي بعيدٌ أن أعاود القتال فقد قيَّد الحجاج يدي حين أُطلقها، واسترق رقبتي حين أعتقها.

ومن الشعر قول امرئ القيس:

كأنَّ قلوب الطير رطبًا ويابسا

لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

يصف وكر العقاب وما يوجد في هذه الأوكار من بقايا أطعمة أطعمت بها فراخها، فهو يشبِّه قلوب الطير المصيدة بعد أكلها بأنَّ منها ما هو قريب العهد بافتراسه ومنها ما هو بعيد، والمعنى الذي عبر عنه هو حال هذه القلوب حيث رأى أنَّ ما كان قريبَ العهد يشبهُ العناب، وهو تشبيه عجيبٌ وصول الشاعر إليه وعجيب حضوره في ذهنه، فإنك إذا نظرت إلى واحدة العناب رأيتها تشبه

حقيقةً قلب ذلك الطير بهيئتها، ثم إنَّ هذه القلوب في حال يبسها وتقادم عهدها تشبه الحشف وهو الرديء من التمر فلا ماء فيه ولا نُظرة، فالمعنى المراد لا يدرك إلا بمثل هذا اللفظ ولا يستطاع بغيره.

ومن عجائب صيد اللفظ ودقته وأنه لا يُستطاع الوصول إلى المعنى المراد إلا بهذا اللفظ وبهذا التركيب، أقول إنَّ من هذا قول قيس بن ذريح رحمه الله:

كأنَّ القلب ليلة قيل يُغدى   بليلى العامرية أو يراحُ
قطاةٌ عزها شركٌ فباتت   تجاذبه وقد علق الجناحُ

فالمعنى الذي أراد الإخبار عنه، هو حال قلبه حين علم بدون رحيل ليلى مع أهلها، فهو يضطرب اضطراب قطاةٍ وقعت في شَرَكٍ وتعالج الخلاصَ منه فهي دائمة الحركة باضطراب، أقول لك: استحضرْ حال قلب قلق بسبب وقع خبر محزن أو مخيف، فلست بواجدٍ أصدقَ من هذه الصورة ويضعُف ظني بأنك ستجد خيرًا من هذه الألفاظ

معبرةً عن هذا المعنى، ثم التفتْ إلى قوله : «عزها » فهي بمعنى شق عليها ولكنها أنفسُ منها وأثرى في التعبير عن المراد، ولعل الصورة عند قيس تكون أبينَ حين نزنُها بصورة قلب عروة بن حزام :

تحمّلتُ منْ عفراءَ ما ليسَ لي بهِ
ولا للجبالِ الرّاسياتِ يدانِ
كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَناحِهَا
على كبدي منْ شدّةِ الخفقانِ

ولا مداناة عندي بين الصورتين وما حملهما من ألفاظ أدت المعنى، فالمعنى المراد واحد ولكنَّ ألفاظ عروة لا تداني ألفاظ قيس، فقيس مباشرةً يعطيك مراده : كأنَّ القلب قطاة « بخلاف عروة: كأن قطاةً عُلقت، كما أنَّ قطاة عروة على الكبد ،بينما قلب قيس كأنه قطاة .

ومما يجري هذا المجرى ،ما قاله خالد بن صفوان يصف شبيب بن شبة : (ليس له صديقٌ في السّرِّ، ولا

عـدوٌّ في العلانيـة) قـال هـذا يريـد أن يبـين حقيقـة علاقـة الناس بشبيب، وأنها تقوم على المداراة والمصانعة لا على حقيقة ما نفوسهم له،فهم أصدقاؤه حين حضرته بينما هم أعـداؤه حـين غيابـه

ومما أرى أنَّ معناه لا يستطاع بغير اللفظ الذي قيل فيه، ما يروى أنَّ الحسين رضي الله عنه سأل الفرزدق رحمه الله عن أهل العراق فقال: (قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية) فهو أوجز وأبان في حكمه على أهل العراق، بأنهم يقدمونك ويرون أهليتك في الأمر،لكنك لاتملك من القوة والمال ما تستطيع به ضمهم إليك.

ومن هذا قول عثمان حين طلب منه أبو بكر رأيه في عمر ليوليه بعده فقال عن عمر: (عمر سريرته خيرٌ من علانيّته) رضي الله عنهم أجمعين ،فلا أظن أنَّ هناك حروفًا تستطيع نقل المعنى الذي أراده ذو النورين رضي الله عنه أجدرَ مما قال.

ومنه ما يروى عن المهلب بن أبي صفرة حين استنجزه الحجاج رحمهما الله، في حروب الخوارج فكأنه استبطأه في القضاء عليهم ،والحرب سجال بين الفريقين ، ولكن لم تحن الفرصة التي يريدها المهلب، فحين وصله كتاب الحجاج قال: (البلاء كل البلاء ان يكون الرأي لمن يسمعه لا لمن يراه) فالمهلب يرى والحجاج يسمع ، ولا شك أنَّ من يرى أقدرُ على تقدير المواقف ممن يسمع .

ومنه أنَّ عمر رضي الله عزل زيادًا رحمه الله، فقال له زياد: (أعن عجز أم عن خيانة ؟ فقال لا عن واحدةٍ منهما لكني كرهتُ أن أحملَ العامةَ على فضل عقلك) فقول الفاروق رضي الله عنه: (كرهت أن أحمل العامة على فضل عقلك) فيها اختيار محكم لألفاظ أدت المعنى المراد؛ فعقل زياد له مطلبٌ يثقل على عامة الناس الصبر عليه؛ ومن هذا ما وصف به السُهيلي حاله. رحمه الله .في مقدمة كتابه « نتائج الفكر في النحو « قال « (. . . وقد عزم لي بعد طول مطالبة من الزمان، ومجاذبة لأيدي الحدثان، وأمراض همةٍ لا تغيب، وزمانة مرض تنيم الخاطر

فلا يهيب، على جمع نبذ من نتائج الفكر اقتنيتها في خلس من الدهر)

وقرأت في مقدمة ابن خلدون - رحمه الله - مقولة: (ونفيُ العيبِ حيثُ يستحيلُ العيبُ عيب) وهي مما يدخل في هذا الباب، وقالها في حديثه عن نسب الأدارسة، ومؤداها أنَّ الأمر إذا تناهى عند الناس سلامته من العيب، فإنَّ الإطناب والتوسع في نفي العيب عنه يؤدي إلى العيب، فكأنَّ النافي يشكك الناس بصحة ما ثبت، وهذه المقولة قالها الجنيد رحمه الله عن قوم من المتكلمين، قيل له إنهم ينزهون الله بالأدلة، والمقصود بالعيب المنفي في كلمة الجنيد، ما كانت تطلقه بعض الفرق في نفيها العيب عن الله سبحانه بألفاظٍ لا تليق، يطلقونها متوهمين أنهم ينزهون الله عن العيب، ومن هذه الإطلاقات قولهم عن الله جلَّ وعزَّ: « . . . ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة . . . » من هنا نفهم مقولة الجنيد، وأنها ليست على إطلاقها، فالله سبحانه منزهٌ عن كل عيب

متفرد بالكمال والجمال والجلال والعظمة وله العزة جميعا؛ والجنيد المذكور هنا غير الجنيد الكاتب، الذي له أبيات هي مما نحن منه بسبيل حيث يقول حين ضَعُفت خلافة بني العباس:

خلافة جائرة فاسدة ما تبتغى
صاحبها محتجب يفرق من حرّ الوغى
خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغاء

ومنه بيتان منسوبان إلى ابن دقيق العيد رحمه الله:

أتانا من الأعراب قومٌ تفقهوا وليس لهم في الفقه قبلٌ ولا بعدُ .
يقولون هذا عندنا غير جائزٍ ومن أنتمُ حتى يكونَ لكم عندُ ؟

والمقصود التمثيل بالبيت الثاني ،حيث عبَّر بهذا اللفظ عن معنى يكثر وروده وهو ادعاء المنزلة والتعالم،فهو ينكر عليهم هذا التعاظم والتنفُخ أمام الناس ،ويردهم إلى

حقيقتهم ،وهي أنهم لم يبلغوا منزلةً من العلم تجعلهم يتفردون برأيٍ خاصٍ بهم .

أعود إلى الوظيفة، فمما أحببت أن أذكره لك عن أمر الوظيفة أني في هذه المدة لم أتقدم بطلب إجازة، خاصة ما يسميه النظام الوظيفي إجازة اضطرارية وهي حصول الموظف على عشرة أيام خلال كل عام مالي،وكانت أول إجازة انقطعت بها عن العمل في ذي القعدة عام ١٤١٦هـ أي بعد مضي ستة عشر عاما من الخدمة والثانية عام ١٤٢٧هـ . وهما إجازتنا مرضيتان كانت الأولى بسبب حساسية في الصدر صحبها ضيق في التنفس وضعف شديد في الحيوية، والثانية لإزالة كيس دهني ظهر في الجانب الأعلى الأيمن من الظهر . وللعلم فلست الأمثل بين المعلمين بالنسبة للإجازات . فهناك الاستاذ / عبد الله بن إبراهيم العُبيَسي رحمه الله/ حدَّث عن نفسه بأنه بقي في التعليم أكثر من تسع وثلاثين سنة لم يغب إلا يوما واحدا وقال لو أنني استطيع أن أصل إلى المدرسة حبوا لفعلت !

ومن سوانح الوظيفة أن أذكر لك أنني في أحد أيام عملي في ثانوية الشبيلي أصابني فتور شديد مصحوب بارتفاع في الحرارة فلم أفكر في الاستئذان وتحاملت على نفسي منتظرًا نهاية حصصي هذا اليوم وكانت قبل الأخيرة بحصة واحدة، انتهت الحصة وأديت الصلاة مع الطلاب، وحين هممت بالخروج طلب مني مدير المدرسة أن أجلس مع طالب حصل منه موقف سلوكي مثير يستدعي الاستجلاء ولهذا الموقف تبعات مع مدرسة أخرى وطلاب آخرين، طلب مني هذا لعلي أظفر منه بمفيد فجلست مع الطالب وأنا بحاجة ماسة للراحة واحتاج الأمر إلى مساءلة وتدوين ما دار بما يشبه التقرير عن الموقف. فقمت بما طلب مني وسلمته النتيجة التي وصلت إليها .

حين علم الزملاء المشرفون بعزمي على التقاعد أرادوا أن يقيموا حفلاً تكريمًا يكون فيه توديعي، وكنت أمانع بشدة لسببين أولهما أني أعلم أنَّ مثل هذه المناسبة

ستكون مليئة بالإطراء العلني الذي أمقته بشدة لا زهدًا بأن يكون لي لسانُ صدق في الآخرين فهذه دعوة دعا بها إبراهيم أبو الأنبياء على نبينا وعليهم صلاة الله وسلامه حين قال تعالى حكايةً عنه : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ الشعراء ٨٤، أمقت الإطراء العلني لأني أرى أنه أَوسع أبواب الإعجاب بالنفس، وأسرع الطرق إلى الكِبر، وأنَّ الإصغاء إليه قد يسبب الإخلاد إلى ما قدم الإنسان فيبقى يجتر ماضيَه من غير أن يضيف إليه جديدا ،السبب الثاني أني أحس بعمق أنَّ الميدان التربوي لم يبخل علي بالتكريم في كل يوم من أيام عملي سواءً من مديرين تعاملت معهم أو من زملائي المعلمين أو من طلاب أعيش معهم في أحضان المدرسة أو أقابلهم خارجها ،هذه رؤيتي التي كان من شدة تمسكي بها أني أدعو الله في سجودي بأن يصرف عني هذا التكريم، ولكن شاء الله ودبر غيرَ ما شئت ودبرت، ففي أحد الاجتماعات التي يعقدها المشرفون التربويون بقيادة رئيسهم، فاجأني

الأستاذ / صالح بن محمد القرعاوي، رئيس قسم التربية البدنية بأن افتتح مداخلته بثناء علي، وقال مخاطبا رئيس الإشراف التربوي الأستاذ / عبد الله بن محمد السويّل: إنَّ هناك الكثير من الإشكالات بين الزملاء يحلها الأَستاذ عمر قبل وصولها إليك، ويبدو أنَّ الأمر له ترتيب مسبق إذ جاء بعد هذا قصيدة توديعية للدكتور / عبد الرحمن بن عبد الله الواصل رئيس قسم المواد الاجتماعية، عنوانها :

أين ألقاك يا عمرُ ؟

يقول فيها :

يمضي الزمانُ فلا يُبقي ولا يذرُ
مفرقًا لجماعاتٍ وينتظرُ
والمرء فيها أسيرٌ طول رحلته
سلها ستنبئُك الأخبارُ والسيرُ
وليس تمنع ما يخشاه حكمته

وليس ينفعه في خوفه الحذرُ
حقيقةٌ في حياة الناسِ يكشفها
من في الحياة استبانوا الأمر أو نظروا
ما كنت أحسَبُ أنَّ الأمر يأخذني
في ضوئها وظلام الحزن يعتكر
حتى أتاني من الأخبارِ موجعُها
يومًا وإني لفعل الصبر أفتقرُ
قالوا يحين غدًا فينا تقاعده
فقلت من ؟ قيل لي يا سائلاً عمرُ
وجمت وانهار إحساسي وروعني
ما سوف يحدث واستشرى به الخبرُ
وعدت للواقع المحسوس أفحصه
فهالني الأمر واستجوى غدي الخطرُ
وصرت أحسب ما يأتي ويتبعه
فراعني في حسابي الحدس والضررُ
تقاعدٌ لا أرى أسبابَه اتضحت
فليس يدفعه ضعفٌ ولا كبرُ

غدًا إذا افتقد التعليم طلعتكم
أبا سهيلٍ فإنَّ اللحن ينتشرُ
فيخفض القوم مفعولا به علنًا
واسمٌ لكان إذا ما أعربوا كسروا
والحال يرفعها حاكٍ وكاتبها
وناصبُ الفعل فعلاً ليس يعتبرُ
كم فاعلٍ جره في القوم مرتجلٌ
حديثه كيف ترضى جره مضرُ؟
لم تخلُ من لحنهم حتى كتابتهم
ياليتهم راجعوها ليتهم نظروا
دع الفصاحة وانظر في مقاصدهم
معنى ترى الفكر بالتعبير يحتضرُ
لئن توقعت هذا بعدكم فأنا
أرى الفصاحة والإعراب تنحدرُ
ها أنت من بينهم واللحن في لغةٍ
تبدو كأنْ قد حكاها الزنج والتترُ
أبو سهيلٍ وكانت لي زمالته

بالأمس مدرسةً في عقدها دررُ

لقد تعلمت فيها نصف معرفتي

وغاب عن نصفها الثاني بها السفرُ

شوارد الشعر كم أفتى بقائلها

وقد تطاول عنها البحث والسهرُ

في النحوِ في الصرفِ ينهي كلَ مسألةٍ

بدت لديَّ فعنها الجهل ينحسرُ

كفاءِ فهو كظيمٌ حيث خرَّجها

فهمًا به النحو والإعراب ينتصرُ

قول أبي همام: كـ « فاء فهو كظيمٌ « يعني بها قولَه تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف٨٤، فقد سألني عنها الدكتور عبد الرحمن فقلت إنها للتحسين، كالفاء الملازمة لـ» قط «في قولنا: « فقط « .

وأغادر ربيع الشعر بإخوانيةٍ كتبتها للأستاذ / محمد بن عبد الله العود، أحد زملائنا في إشراف اللغة

العربيـة، حيـث ظهـرت بـوادر خشـيتُ أن تعكـرت صفـاء المشـرفين، ولأنَّ أبا عبـد الرحمـن شـاعرٌ مطبـوع طلبـت منـه تبديـد هـذا بقصيـدة يسـتحث بهـا المشـرفين علـى اللحمـة، فقلـت:

ما هيَّج الشعرَ غيدٌ أو أماليدُ
ولا دعتني له ليلى ولا جودُ
وما الصبابة مني للأولى رحلوا
ولا الظعائن شاقتني بل «العود»
عودٌ زكا منه عرفٌ لا يقاربه
عرفٌ لريا فمنه العرف والعود
ما بال نهرك هل غاضت محاسنه؟
قد كان سيفك تخشاه الصناديدُ
ما بال خيلك تجريها مدويةً
تَصهالها اليوم همٌ ثم تنديدُ
عهدي بزهرك فواحًا تسابقه
يد المروءة لا مينٌ وتفنيدُ
ما يبعد الحرُ عن وكر تعاهده

وإن رمته تصاريفٌ منا كيدُ

فوكرك الجود والعليا مدارجكم

وشعرك الشهدُ إن شاقتك تغريدُ

مازال في السرب من أضحت بضاعته

قيلاً وقالوا ولا يجديه تهديدُ

مازال في السرب بومٌ ليس يطربها

إلا النعيق وتأباها المحاميدُ

مازال في السرب من صارت نواظره

نحو المثالب لا يرضيه تسديدُ

عظمى المحاسن صغرى في عيونهمُ

إساءة الظن عند القوم تجويدُ

تغدو خماصًا ويمسي بطنها ملئًا

من جود قالوا فلا كانوا ولا الجودُ

خلاك ذمٌ فلا تمنن بقافية

تلم شعثًا بها تصفو التجاعيدُ

فقل لي «أبشر» لعل الله يقبلها

تغنيك يومًا به شابت مواليدُ

وقبل أن أعود بك إلى الوظيفة خذ هذه المبشرة:

إذا أراد الله دفع الغوائل عنك، فلا راد لفضله، ولا يضيرك ضعفك أو قلة حيلتك في الاحتراس، وانظر إلى أصحاب الكهف كيف دفع الله عنهم وهم في كهفهم مضروبًا على آذانهم، فمن اطلع عليهم ولىَّ فارًا مملوءًا رعبا، فسبحان من حفظهم.

قد يحجب الله عنك

نعمـةً أنعمهـا عليـك فألفتهـا حتـى كـدت تنسـى أنهـا مـن نعـم الله عليـك فأصبحـتْ بتقديـر الله تأتيـك طوعًا فيحجبها عنـك لا ليسـلبها ولكـن ليبتليـك ويعرفَّـك قدرَهـا ويذكـرك وجـوبَ شـكرها .

وهـذا مشـهد مـن مشـاهد الحيـاة بعـده عـودةٌ إلى الوظيفـة، فمـن مشـاهد الحيـاة أنَّ الأسـرة إذا نبـغ فيهـا عـالم وأصبـح لـه شـأن وصـار لحفدتـه بقيـة في العلـم ، فـإنَّ الحالـة إذا كانـت كذلـك فإنهـم إذا تحمـق واحـد منهـم أوزاع عـن الحق فإنه يبلغ الغاية في السوء والإسـاءة، فلا يسـتطيع أحـدٌ زجـره لمنزلـة أسـرته بين النـاس، ويصيـب النـاس مـن البـلاء مـا يتجرعـون معـه العلقـم، فيوغـل بالظلـم وجـبر النـاس على خـلاف مـا يريـد عقلاؤهـم وعقـلاء أسـرته، ولا يُـرد قولـه فيكون لـه قطيع من الاتباع يُسِـيمون، في مرعـاه، هـذا مع أنَّ الناس من حوله أو كثيرا منهم لا يخفى عليهم، وكذلك عقلاء هـذه الأسـرة يدركون حقيقـة مـا يـراد مـن سـفهائهم لكنهـم لا يملكـون قسـرهم على الترك،وهـؤلاء السـفهاء يخبطـون بـلا رويـة، وهـم يعطـون السـلطان بقـدر مـا يلقـى إليهـم مـن العلـف مـن غير اعتبـار لمنزلـة سـلفهم، ورأيتهـم لا ينتهـون إلى غايـة إنمـا هـم يعيشـون بقـدر مـا يحـل مـن رباطهـم، وإذا دخـل أحدهـم في علمٍ من العلوم وهـو ممن وصفـت لـك مـن الحمـق صـار ذو

اللوثة عالمًا وقد رأيت من هذه حاله يرى من لا يعرفه أنه من الموثوقين، ورأيت من خوارق كذبه أمرًا كثيرا ،وأعرف أسرة عُرِف جدها . عليه رحمة الله ورضوانه . بالعلم فظن من جاء منهم بعده من جهلاء أحفاده أنَّ العلم استحقاق إرثي لهم يجب ألا ينازعهم عليه أحد وأنَّ الناس تبعٌ لهم فيما يأخذون ويدعون، ولا ينبغي لهم أن يصدروا عن غير رأيهم، وأعرف منهم رجالا بأعيانهم باعوا دينهم بدنياهم، ونازعوا بغير حق على لُعَاعةٍ من المال، هي حال الأسرة حين يتصدر حمقاهم فإنَّ السلطان الخائن لا ينزع منهم منزلة، ولكنه يجعلها للسفيه منهم .

أعود للوظيفة فأقول حين أحس أثناء الدوام بأني بحاجة إلى راحة فإني أفكر بطريقة تريحني وتضمن القيام بحصصي في ذلك اليوم ولا ألجأ إلى الاستئذان، ومما كنت أفعله أني أحاول تنظيم جدولي عند التعب بإيجاد حصتين أو ثلاث وسط اليوم الدراسي أتفرغ بهما على أن آخذ ما تركت في نهاية الدوام فأذهب إلى البيت وأرتاح بما

أتيح لي من زمن ثم أعود إلى المدرسة مواصلاً عملي من غير أن أشق على أحد بغيابي.

كان من سعادتي

أن يتركوني وطلابي فلم يكن من مشاريعي أن أكون في موقع آخر غيرِ التدريس إذ من أمتع ما أمر به في يومي المدرسي أن أغلق باب الفصل علي أنا وطلابي فأناديهم باابني يا أخي وهم ـ ولله الحمد ـ يجدون في أنفسهم أبوة مني لهم. ولا يجد أحدهم حرجًا من أن يفضيَ إلي ويستشيرني بأمرٍ من أخص خصوصياته.

كنت ذات صباح في مكتبتي بالبيت فدخلت علي الخادم فـزِعة ورمت علي ورقة نقدية من فئة الخمسين ريالا وقالت أريد الآن بطاقة خدمة هاتفية لأتحدث مع أهلي في الفلبين لوجود مشكلة، وللعلم فلم تكن تتحدث معي مطلقًا ولكن لامناص هذه المرة فليس أمامها غيري، بادرتُ إلى الدعاء لها سرًا وذهبت من فوري لأشتري لها ماتريد، ولكني تريثت في تسليم البطاقة لها فقد تكون المشكلة صادرة من انفعال فتكون البطاقة سببا في تصعيدها، فلم اسلمها البطاقة إلا بعد مايزيد من ساعتين مع أنها كانت معي بعد دقائق من الطلب.

واستطردهنا لأقول إنَّ من أفلح وأنجح أسباب الحياة الطيبة هو الإكثار والمداومة على الأعمال الصالحة، وهذه ما تقطع به الآية الكريمة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) سورة النحل. إياك أن تقول سأعمل عملا صالحًا لأجرب هل أحيا حياة

طيبة أم لا ! . فالأمر وعدٌ من الله الذي لا يخلف وعده فله الخلق والأمر؛ حسنًا سأقرب الصورة في ذهنك: فلو أنك في يوم قيظٍ قائظ نزف منك العرق وأخذ منك الظمأ ألست بحاجة إلى كأس ماءٍ بارد ؟ هل ستقول أجرب الشرب فقد يزول ظمأي ؟ أم ستشرب واثقا بزوال ظمأك ؟

وإذا سلكت هذا الطريق السوي فلا تستبطئ الوصول إلى الغاية الطيبة،وسوف يعترض طريقك مفاوز ومهامه فلا تيأس فتستسلم لأنك ستصل بإذن وإن شق أوطال الطريق . .

بعد التعيين بدأ التفكير بالزواج، كان الوالدان ـ عليهما رحمة الله ورضوانه ـ قد بادراني في هذه الأمر سنة تخرجي، والمبادرة بالزواج أنصح بها لكل شاب وإذا أكرمه ربه و بادره بالذرية . فسيجد أنّه أدى كثيرًا من مسؤلياته التربوية ـ وما أشقها وأعذبها ـ يؤديها وهو قادرٌ صحيًا . وإن مد الله بعمره ووفقه فسيجد فراغًا للعبادة ومتسعا لها .

ومما جرى به اللسان وأظنه .والله أعلم.مما جرى به القدر أننا عندما كنا في الجامعة أخذنا الحديث إلى مستقبل أيامنا وما يريده كل واحد منا من عدد الأولاد فقلت أمّا أنا فأريد ثلاثة أبناء وثلاث بنات فحصل لي ولله الحمد ماسألت فلدي سهيل ،ورحاب، وأنس، ومحمد ، وندى، ورغد . جعلهم الله ذرية مباركة .

وأسأل الله بفضله ومنه أن يكرمني بهدايتهم وصلاحهم ، والتأليف بين قلوبهم، وأن يمن عليهم بالتوفيق بحياتهم وأن يجعلهم مباركين أينما كانوا . وأن يحقق لي منهم قوله صلى الله عليه وسلّم[أوولد صالح يدعو له]

إنّ من سوانح العبر التي رأيتها في حياتي وأرغب في أنّ أحدثك عنها أنّ رجلاً كان كثير السخرية بالناس والاستهزاء بهم والترفع عليهم . ويرى أنّ كثيرًا ممن حوله أقلُ منه شأنًا حتى أصحابه وأقاربه ينال منهم ويتفكه بنقائصهم . وهذا دأبه في كل حين فلايفتأ لسانه من الزراية

بمن حوله . والانتقال من عرض إلى عرض ومن غيبة إلى غيبة، ولم يزل على هذه الحال من الكبر وتنقص الخلق حتى ضربه مرض حرمه نعيم شبابه والسعادة بماله و بزوجه وولده، وأصحابه فهو طريح فراشه مع ما بذله في سبيل العلاج، وحاله في نزول . وصحته في نقص، وقد زرته أكثر من مرة وناصحته على انفراد وبينت له أنّ ما نزل به . والله أعلم. ما هو إلا دعوة من أحد الذين كان يسخر منهم وهم كثيرٌ كثير فأبدى ضيقا مني حين فاتحته وبدأ يعترض على كلامي . فما زلت أترفق بنصحه وقلت يا أخي أنا لا أحقق معك ولا أشمت بك ولكنها حقيقة فيك فلا تكابر واقبل النصيحة، بعدها لان للحق وهمَّ بتقبيل رأسي فأبيت، فشكرني وقال لي لم ينبهني أحدٌ من الأصحاب لما نبهتني إليه، وقال إن زوجتي كثيرا ما نبهتني إلى ما قلت ولكني لم اسمع لها . ! !

وأحدثك بهذه السانحة الفكرية ثم أعود لسانحة

رجل زكَّى نفس وظنها خيرًا من فلان: فمن طرائف ما رأَيته ناتجًا عن سوء فهم بسبب الالتباس في القراءة، ذلك أني كنت وأحد الإخوان نتكاتب حول مسألة نحوية طرحتها إحدى السائلات، فأوضحت لها الرأي الذي أراه، فرد علي بما يؤكد سهوه عن كلمة كتبتها في الرد، فكان من تعقيبي عليه أن قلت: (قدْ سها أخي فلان) فرد علي محتدًا ثائرًا وبأسلوب لا يليق. أتدري ما سبب هجومه لأَنَّه قرأ قولي:» كلمةً قدْ سها» «قدَّسها» فلان، قرأه على أنَّ «قدَّس» فعل والهاء مفعول به من التقديس أي أنك قلت ما قلت بسبب تقديسك للسائلة لا بسببٍ علمي. فلأمرٍ مشين قلتَ ما قلت. لا بسببٍ علمي هذا ما فهمه هوً، ولكن العجلة في القراءة وعدم الربط بين فقرات المكتوب حصل به ما حصل، وأنا كنت أعني أنَّ قدْ حرف تحقيق وسها فعل ماض» قد سها من السهو ولا علاقة بين ما فهم وبين ما أردت، أنقل هذا لطرافته ولعله يكون دعوة للتمعن قبل الرد.

ومن مواقف احتقار الناس وما يجره من شر أن أحدثك عن هذه العبرة التي لا أبالغ حين أقول لك إني رأيت فيها عقوبة القوي العزيز لمن زكى نفسه مغترًا وانتقص واحتقر أحدًا من عباد الله. ومن رسوخها في ذهني فإني أذكر جيدًا مكان هذه الكلمة التي أظنها من سخط الله. وذلك أنّ أحد إخوانك. غفر الله له. قال ذات يوم حين علم أنّ فلانًا من الناس عزم على الزواج فقال محتقرًا له: ومن سيعطيه ومن سيزوجه!؟ وهو على هذا المستوى الوظيفي المتدني ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ (٣٢) سورة الزخرف، وما علم هذا المسكين ما ستجره عليه هذه الكلمة إلا حين عزمه على الزواج فتقدم ورفضوه وتقدم ورفضوه حتى بلغت الأبواب التي طرقها عشرة، ولم يجب له طلب إلا في المرة الحادية عشرة. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ (٢) سورة الحشر

سأنقلك بعد قليل إلى المحلة الرابعة للسكن وقبل هذا أحدثك عن هذه السانحة: ومما تداعى إلى ذاكرتي

هذه السانحة فقد حدثنا الدكتور أبو عاصم عبد العزيز بن محمد الخويطر أنَّ جد أبيه محمد بن حسن الخويطر رحمهم الله كان له فلاحة في محلة الصُبيْخة وهي منزلة تقع جنوب غرب عنيزة يقول ابو عاصم إنه في أحد الأيام حين حضر العشاء وهو مرقوق وهذا الصنف من الطعام بطيء البرودة فقال نصلي المغرب ثم نعود للعشاء، وكان عندهم كلب حراسة فلما دخلوا في صلاتهم أخذ الكلب ينبح نباحًا متواصلا مما يدل بأنَّ هنا أمرًا غريبا، فلما انتهينا من الصلاة لم نجد ما هو غريب، فجلسنا نريد الأكل فأخذ الكلب يحثو ترابًا على الطعام! ،فأبعدنا الطعام عن مكانه فإذا حيةٌ فعرفنا أنها نفثت سمًا على الأكل، وهذا يؤكد قول العرب: أوفى من كلب؛ فقد عمل ما عمل مخافة أن نأكل طعامًا مسموما .

هناك تجارب في التأليف مررت بها، فمنها ما هو إعرابٌ بحت وهو كتابي إعراب الأربعين النووية، وهذا النوع من التأليف الغالب فيه أنه لا يحتاج فيه الباحث إلى

مصادر أو مراجع وإنما الأمر عائدٌ إلى تمكنه من الإعراب فالمؤلف هنا لا يبحث عن مسألة علمية نفيا أو إثباتا فهو يسير من غير عوائق تلزمه بدراسة رأي معين يفضي به إلى قبول أو رفض مبنيين على دليل، ومن أنواع تأليفي ما هو خليط بين البحث العلمي ويغلب عليه الطابع النحوي وذلك في شرحي الصوتي لكتاب قطر الندى وكتابي: المسائل العُمرية في النحو ونظرات في سر العربية، ومنه ما هو بحث علمي بنيته على مسألة علمية جرى فيها الكتاب على البحث عن حقيقة هل أثبتها أم انفيها وذلك في كتابي : مِن وأخواتها مؤكدات لا زوائد، وكتابي : دراسة لواو الثمانية؛ وهذا النوع من التأليف بحثيٌ يفتش فيه المؤلف في المصادر والمراجع عن المؤيدين والمعارضين ثم يوازن بين أدلتهم ويخرج برأيه، ومن هذا النوع كتابي « الوساطة العُمَرية بين ابن مالك ومدلسيه «ومنها ما هو خلاف ذلك مثل كتابي : عفو السوانح ، الذي هو بين يديك وهذا النوع فيضٌ من الذاكرة وتدوينٌ لتجارب فهو من فنون السِير

والتاريخ، وكتابي عن والدي عليه رحمة الله ورضوانه ﴿ وقفات مع سيرة الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن العُمري ﴾ وكتابي عن تجارة جدي عليه رحمة الله ورضوانه ﴿ صور من الحركة التجارية في عنيزة منتصف القرن الرابع عشر ﴾ ووقع في خمسة أجزاء، ومن البشائر التي رأيتها بعد تأليفي هذا الكتاب أني رأيت والدي ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ رايته في منامي وهو يشير لي بيده ويقول: « ربح البيع أبا يحي « فسألت عن تعبيرها فقالوا إنها تدل على رضى والدك وفرحه بهذا العمل، وجملة (ربح البيع أبا يحيى) قالها صلى الله عليه وسلم لصهيب الرومي رضي الله عنه حين فدى نفسه بماله فتركه لقريش ليهاجر إلى المدينة مؤثرًا صحبة خير البشر . ، وكتابي : دراسات ووثائق في التاريخ الاجتماعي ، ومنه ما هو قائمٌ على الجمع والتبويب مثل رسالة: في قواعد اللغة والإعراب

وحين تؤلف فإن كان مؤلَّفُك مما يجري مجرى البحث عن حقيقة فستجد أنك تتوقف عند نهاية

ترتضيها بأدلتها لا لأنها وافقت هوى في نفسك، ولكن لإنَّ الأدلة تقول بهذا ، وإن كنت تجري مجرى الجدل والفلسفة والاجتهادات الفكرية فستكون غايتك بعيدة ولا تجد يقينا يثلج صدرك تتوقف عنده ، ويكون تقليبك للأمور كثيرًا بين حذف وإضافة، وقد جربت هذا حين كنت أبحث عن أي اللغات أسبق فتركت البحث في هذا لأنني أيقنت أنَّ الأمر لا يوصل إليه بدليل شاف يرتضيه الجميع أو الأغلب، بخلاف من يفتش عن حقيقة يمكن إثباتها أو نفيها بدليل؛ فالقضايا الجدلية لا توقفك على حقيقة، ويبقى مجال القول فيها مفتوحًا ولا يمكن أن تقال فيها كلمة أخيرة، ومن أوضح البحوث في هذا البحوث التربوية، فتجد أنَّ الباحثين بين مبدٍ ومعيد . وختام هذه السانحة أقول لك: إنَّ من أبهج وأشهى ثمار البحث العلمي أن يُسلِمَك بحثٌ إلى بحث فتبقى راتعًا في جنان هذه السلسلة الذهبية .

وفي تجربة خاصة ظهر لي من خلالها أنَّ غذاء العقل لا يختلف عن غذاء البدن من الأكل من حيث قبوله

أورفضه وأثره على النفس والبدن؛ ذلك أني في يوم من الأيام رأيت الناس يتحدثون ويكتبون عن شأنٍ عام؛ وهو شأنٌ أقحمت نفسي فيه إقحاما؛ إذ إنه ليس من اهتماماتي في الكتابة، ولكني اندفعت إلى المشاركة فيه خاصة أنه موضوعٌ حديث لم يتناوله إلا القلة مع أهميته وتأثيره، وكان لدي علمٌ عن هذا الموضوع فرأيت أنه يستحق الكتابة، فجمعت عناصر لأكتب عنها؛ وحين بدأت الكتابة لم أكد أنهي السطر الثالث حتى وجدت رهقًا اضطرني إلى التوقف،وأحسست بحاجةٍ إلى الاسترخاء ثم التمدد، وأغلقت قلمي لعلي استعيد نشاطي، ولكن الشقة بعدت بيني وبين ما أريد الكتابة عنه، فعزوت هذا إلى أني أكرهت نفسي لأكتب عما لا تميل إليه وعلى شيئ ليس من طبعها، فشبهت حالي بمن تناول لقمةً وهو كارهٌ لها فهي وإن كانت من طعام جيد وعلى جوع، إلا أنَّ أكل اللقمةٍ على كره له أثرٌ سيئٌ يؤدي إلى التخمة وقد يعقبه مرضٌ. وكذا ما أكرهت نفسك عليه من الأفكار في أثرها على العقل .

قد تتراءى لي خاطرة وتتزين في خاطري آملةً أن أكتب عنها ولكني أتشاغل عنها مرددًا قول الشاعر:

تألق البرق نجديًا فقلت له

يا أيها البرقُ إني عنك مشغول.

كانت المحلة الرابعة للسكن هي حارة الأشرفية وتقع شرق عنيزة وسكنَّا هذا البيت في شعبان ١٤١٩هـ.

وبيتنا هذا يقع على شارعين شمالي وغربي ومساحته ٧٥٦م٢، ويتكون من طابقين وفناء شرق البيت وبطرفه الجنوبي مسطح أخضر.

اخترت مكانًا لمكتبتي في الدور الأرضي من البيت، لأرسخ في أسرتي معنى المكتبة، ولأسهل عليهم دخولها.

ومما يؤانسك في الشدة ويخفف عليك وطأة الهم حين نزوله أن تضع في ذهنك مخزنا للهموم المقلقة التي أصابتك واستطعت بتثبيت الله أن تتجاوزها، فإذا مر بك همٌ أفزعك استرجعت واستعرضت ما كنت فيه من ضراء فخف عليك ما أنت فيه وعلمت أنَّ المصائب

تبدأ كبيرة ثم تصغر فتنتهي ؛ومن الخير ألا ينسيَك همُ ما أُعطيت من نعم،اللهم إني أعوذ بك من الغفلة عن شكر نعمك .

وسنح لي

أن أذكر لك ما يكون من أسباب سلوتي عن الهموم أن أتذكر موقفين لسيدي الوالد رحمه الله ورضي عنه، وذلك أنه أصيب بمرض البواسير ودخلت عليه مرة وهو بشدة شديدة من الألم فتناولت العلاج وهو مما يدهن به فلما دهنت موضع ألمه أحس بالراحة فقال داعيا لي: فرج الله كربتك ففرحت فرحًا عظيما بهذه الدعوة وأصبحت أتوسل إلى الله بهذا الموقف كلما كنت في شدة .

والمرض الذي توفي به رحمه الله هو مرض السرطان الذي أصابه بالكبد ، وموقف آخر حين مرضه هذا وذلك أنّه اشتد عليه الألم فبدأ يتقلب فبدأت أقرأ عليه فلما رآني قال ما تصنع ؟ قلت أقرأ عليك فقال بارك الله فيه إذن اقرأ الفاتحة سبعًا .

وسيدتي الوالدة وسيدي الوالد رحمهما الله ورضي عنهما شهدت وأخوتي احتضارهما في مستشفى الملك سعود رحمه الله ، وتقرير الوفاة عن الوالدة رحمها الله بسبب التهاب رئوي . ووفاتها قبيل الفجر ووالدي قريبا من منتصف الليل . وإذا تذكرت وفاتهما راضيين عني وعن إخوتي خف كثيرٌ مما يصيبني من ضيقٍ في هذه الدنيا

سآخذك إلى أجواء أخرى وإلى سانحةٍ فكرية، وهذا ينقلني إلى أن أفضي إليك بحالي مع الكتابة، حيث إنّه كان من دأبي إذا استغلق علي فهم أو استعصى انقياد الذهن لمواصلة الكتابة عن فكرة وحين أحس بأنَّ في

الجعبة مايستحق أن أكتبه ولكنَّ سيلان القلم توقف، عندها أغمض عينيَّ وأطأطأ رأسي ضارعًا إلى العليم الحكيم أن يلطف بي ويفتح علي؛ والكثرة الكاثرة في مثل هذه الحال أن يحل الله العقدة فتنثال على الذهن المعاني ميسرة، وأمتد معك قليلا في سوانح الكتابة فأقول لك إني أشبه حال من أراد أن يكتب عن موضوع أو فكرة استجمع أمرها في ذهنه، وهو يخشى بأن تكون استجابته الذهنية على غير أو أقل مما يريد . أقول عليه أن يبدأ ثم مايدري وقد غمس مداد قلمه بهذه الفكرة فإذا المعاني تتابع وتنثال عليه من حيث لا يحتسب فتتداعى إلى ذهنه حتى يوشك ألا يُحكم زمامها ، أشبه حاله تلك بحال جائع مُنع من أكلٍ أمامه فأغراه نظره إلى الطعام، ورائحته المغربة وحفزه جوعه إلى أن يأخذ لقمة واحدة، وعزم في نفسه ألا يأخذ غيرها ، ولكنه حين أحس بلذة الطعم هاجت شهيته فلم يتمكن من مقاومتها فتناول ثانية وثالثة وهكذا حتى يجد في

نفسه شبعًا يمنعه من الأكل، وهو لو ترك اللقمة الأولى لقرتْ شهيته وسكن جوعه، وهذه هي حال الكاتب فما عليه إلا البدء، وهو في تحريك ذاكرته كمن حرَّك حجرًا في طي بئر فما يكاد يحركه من مكانه حتى يتداعى سائر الحجر، وهكذا هي الأفكار حرك أولاها ولا تسلم نفسك إلى استعصائها أول الأمر، فإنها طبيعة يجدها كل واحد همَّ بالكتابة

حين أكتب خاطرة أو موضوعا فإني أدعه كما هو ساعة ولادته من غير مراجعة، ثم أعود إليه لأتبين العلائق بين فواصله أحميمية هي أم متنافرة؟، وهل الألفاظ كافية وموحية بنقل المعنى المراد، ثم أقوم بعدها بالتغيير من حذف وإضافة أو إبقاء.

والدفقة الأُولى للخاطرة والفكرة هي الأحق بالاقتناص والتقييد ثم يأتي بعدها أمر التحبير؛ ولا أعتمد الدفقة الأولى للخاطرة لتكون هي الصورة النهائية لما أريد

؛ لأنَّها قد تولدُ عاريةً كما يولدُ الإنسان وتحتاج إلى كساء بلاغي يبرزها ويجعلها للقارئ جاذبةً لا طاردة ولكني أيضا لا أهملها فلا بد من التقييدا؛ وأكثر ما كنت أعانيه في تدوين الخاطرة عند قدحها في الذهن هو كثرة السواقط في الحروف كثرةً لا تعطي المراد ولا تشبع العقل ؛ لذلك أجد أني أقوم بالمراجعة ضرورةً . لا ترفا وتزيينا . وفي الأعم يتبين لي جوانب وتنمو أعضاء ومفاصل للخاطرة ،وقد تتكرر المراجعة حتى أرى أنَّ الموضوع استقام وبدأ يدب ويمشي وأراه خلقا آخر . لأنَّ المراجعة تجعلك تدرك بأنَّ هناك أفكارًا مكملة لهذا البناء ؛ فالخاطرة نطفةُ فكرةٍ يقذها موقفٌ في عقلك وعليك بعدها أن تبادر رعايتها ، وقد أقلب العمل أكثر من مرة حتى أطمئن أني لا استطيع أن أضيف .

وهذه سانحةٌ عن أثر المعرفة، البعد المعرفي والفوارق الثقافية إذا لم تتنبه لها في علاقاتك مع من حولك

من زوجة وأبناء وأقارب وأصحاب، وجميع من تخالطهم فقد تشوش عليك حياتك وتوقعك في ضيق ، وتبني حواجز يصعب الاقتناع بها ، فقد يكون بينك وبين هؤلاء مساحات شاسعة في الطموحات والأهداف والتفكير، فيتعاملون معك بخلاف ما ترى، وقد تفسرها أنت بأنَّ هناك عوامل قطيعة يمارسها هؤلاء نحوك، ولكنَّ الحقيقة أنَّ هذا ناشئٌ عن الفوارق المذكورة فإذا لم تحسن التعامل وتعرف أنَّ التقاطع سببه فوارق ثقافية غير مقصودة فقد تذبل هذه الوشائج، فعليك أن تحسن التأتي لمن حولك حسب ما تراه عنه من غير اعتبار أنَّ السبب هو برودة في العواطف نحوك .

ومما أحب أن أضيفه على سوانح الكتابة أنني من خلال قراءاتي وجدت أن المقروء لهم على طبقات :

الطبقة الأولى :علماء . وهم الذين يتناولون المسائل العلمية ابتداء من عند أنفسهم فيعطونها خالص فهمهم

وكامل وسعهم من البحث والاستقصاء والموازنة بين المتشابه من هذه المسائل، ويمحضونها رأيهم .فيخرجون لنا علمًا وقواعد نسير عليها .وهؤلاء يبقى علمهم تحتفي به القرون من بعدهم قرنا بعد قرن، وتتدارسه الأجيال، ومن هؤلاء من تبقى كتبهم جديدة متجددة،وهذا الباب كثير وفي كل قرنٍ

والعلم هو استنباط مجهولٍ من معلوم وإثبات معلومة جديدة نتيجة البحث والموازنة بين حقائق ذات خصائص متشابهة؛ فالعالم يحك فكرة بفكرة فيُخرج فكرةً جديدة، والفهم هو إدراك حقيقة موجودة ، فالفهم أول خطوات العلم، وحين قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ (٣١) سورة البقرة، فهو أكرمه بحقائق لا وجود لها في ذهنه، ولاعلم له بمسمياتها قبل هذا التعليم؛ وحين قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ (٧٩) سورة الأنبياء ، فقد أكرمه بحقيقة مسألة موجودة، وغابت عن فهم سليمان

عليه السلام؛ ولهذا يقّول الحق سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فالعلم هو فتح يكرم اللهُ بِه من أراد بهم خيرا .

ونطاق العقل البشري ـ لقصوره ـ لا يستطيع إيجاد حقيقة من العدم، ولكن العالم كما قلت آنفا يوازن بين حقائق ذات خصائص متشابهة، وإبداع شئ من العدم متفردٌ به الله سبحانه فهو تعالى كما قال عن نفسه: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١١٧) سورة البقرة .

قد يندهش أناسٌ من رحابة التأليف لدى زيدٍ من الناس فيصنفونه من العلماء بناءً على غزارة إنتاجه وتنوع مباحثه، و رأيت مَن هذه صفته يصنفه ـ من لا يعرف صفة العالم بأنه من العلماء بل يقولون عنه : إنه العلامة ! ـ ،والحقيقة التي تخرج بها من قراءة كتبه ـ أنَّ الوصف الدقيق لايضعه في مصاف العلماء ، ولكنك تستطيع أن تقول بأنه رجل ذو همة عالية أو أنه موسوعي أي يعرف كثيرًا عن كثير، أو هو جامع، أوهو أوتي بركةً في الوقت وسعةً في

الاطلاع وحبًا في الكتابة ولا شك عندي بفضل هؤلاء فهم يقدمون بجهدهم للباحثين مادة علمية ثرية تمكن العالم بعد دراستها وتحليلها من استنباط فوائد علمية لم يكن ليحصل عليها لولا ما جمعه له ذاك الباحث الراوية، وهم يبذلون نفيس أوقاتهم لإعداد مادة بحثية والصفة الحقة التي أراها للعالم هو أن تكون مؤلفاته باحثةً عن حقيقة، فيكون مبعث التأليف عنده أنه يجيب على إشكال حصل في ذهنه أو يصوب خطأ درج عليه غيره، فهذا حين تقرأ له فإنك من مقدمة كتابه يتبين لك أن مبعث التأليف هو تصحيح أو نفي أو إثبات، وحين تدخل مثاني بحثه تجد أنك أمام مسألة علمية جادة يراوح المؤلف بين الأدلة الناقضة أو المثبتة، فتخرج بثراء، وليس من مطالب العالم أن يقنع كل قارئ لكن من لوازمه أن ينفي ويثبت بدليل، ومن شروط الدليل أن يكون مأخذه من مصادر تعتبر أصلاً لما اختلفا فيه ،وليس من لوازم قبول الرأي أن يكون المأخذ والاستنباط مرضيا لدى الطرف المخالف لكن المصدر يجب أن يكون مما رضيه أهل الفن الذي وقع الحوار فيه، لهذا فإنه ليس

من قوة الدليل أن تحاور نصرانيا أويهوديا وتستدل بصواب رأيك من القرآن الكريم ،ولكنك تبهته بحجتك إذا أثبت له بطلان ما هو عليه من خلال كتابه الذي يؤمن به .

نبتة التأليف

لا تُعتسفُ اعتسافا ولكنَّها خاطرٌ يولد أثناء القراءة أو المباحثة مع طلبة العلم أو الاستماع لكلام عالم؛ فهي تأتيك من حيث لا تحتسب وهي إيماضٌ يقدح في الذهن يحسن بالعاقل قيده والمضي معه.

بل إني أرى أنّ كثرة المؤلفات لرجلٍ واحد من الأدلة التي تنفي صفة العالم، لأنَّ العالم الحق لايجد سعة من الوقت تمكنه من هذه الكثرة؛ ذلك أن كل كتاب لابد أن تكون فيه إضافة للعلم من غير الرواية، أو الجمع وهذه الإضافة ليس بوسع إنسان أن يتمكن منها بهذا العدد من المؤلفات،ولا أنفي أنَّ الرواية بابٌ من أبواب العلم بل هي من أشد الأبواب حاجة؛ إذا قرنت بتحقيق وتمحيص وبيان سبب المروي وسبب المتروك .

ثم إنّ كونه يؤلف في موضوعات شتى ومتباينة يبعده عن صفة العالم لإن العالم له علمٌ يعرف به؛ فلا يوصف بأنه عالم وإن أحسن الجمع والرواية في كل ما يكتب ؛ وهذا لا يجري على ما يخدم علما بأن يتوسع العالم بعلوم الآلة . و قراءتك للعالم تجعلك تستفيد مع الحقيقة كيفية استنباطها والاستدلال عليها ، والقلم السيال المترجم عن عقل كبير بوسعه أن يسوّد المئين من الصفحات بخواطر مفيدة وحكم نافعة؛ فجريان القول على اللسان والقلم لايجعل المؤلف

يرقى إلى صفة العالم، نعم هناك من جمع بين تدوين الخواطر وبين المباحث العلمية، وهذا الصنف يُحمل كلُ مُصنَفٍ له على بابه فيقال إنه عالم في الفن الفلاني وراوية أو أديب أوحكيم في الفن الفلاني.

الطبقة الثانية: أصحاب الردود أي الذين يكون تأليفهم ردًا على طائفة تخالفهم كما حصل بين الخوارج وأهل السنة وبين المعتزلة وغيرهم من الفرق وبين أهل الكلام والفرق عموما . فهذه المؤلفات ينتفع بها أهل زمانها فإذا انقرض الجيل المتصارع أصبحت ضعيفة القيمة، إلا لمن أراد أن يعرف مناهج الرد، أو يريد التأريخ لمرحلة تاريخية، وهذه الطبقة لا يكاد يخلو منها جيل وذلك لتباين المشارب والمفاهيم. وفي زماني ـ ١٤٣٤هـ ـ الذي أكتب فيه هذه الخاطرة أصبحت مؤلفات هذه الطبقة هي المسيطرة نظرًا لاحتدام الخلاف وانشعاب الشيع التي أُلبِسَها الناس. وهذا النوع من التأليف علمُ مرحلةٍ محدودة وزمن معين ،فلا تكاد تتجاوزه الأحداث حتى يُنسى لأنها تكون

دائرةً في مسائل تعني الجيل الذي وقعت فيه،وعند ما تتبدل الأحوال وتتغير المقاييس فإنَّ هذا يكون خبرًا من أخبار الماضي ،بخلاف العلوم التي يتوارثها الناس وتكون عليها حياتهم .

رأيت في بعض ما قرأت

أنَّ الراد والمردود عليه رأيت كثيرًا منهم يقرأ الرأي المخالف بنَفَس المتقصي للعيوب، وإني أرى أنَّ من الإنصاف أن تقرأ بعقلِ من يبحث عن فائدة يقتنصها ؛ فهذا هو الترياق الذي تستمال به العقول وتُسلُّ به السخائم ،ما لم يكن مبعثها الحسد؛ ومخالفك لا يخلو من آبدة أو شاردة، فلا تقرأ له بنَفَس المعادي.

وفي حال الرد على المخالف إذا كان منهجك في التبرؤ من عيوبك يكون بإظهار عيوب الطرف الآخر فهذا تأكيدٌ صحيح صريح لما قيل عنك ،وأنت هنا لا أرضًا قطعت ولا ظهرًا أبقيت، أقول هذا لما أراه بين الدول والجماعات والأفراد، فحين يُرمى أحدٌ بعيب فإنه يسير إلى إظهار عيوب خصمه وأنها أشدُّ من عيوبه، وهذا منهجٌ يخطئ ولا يكاد يصيب، فأنت لم تدفع عيوبك بل أقررت بها وأجريت موازنة بين عيوبكم فقلت إنك أخفُّ عيبا وهذا بنظرك أنت.

وبعض المؤلفين ـ وفقه الله ـ حين يصدر كتابًا يظلم نفسه فيظن أنَّ الناس سيكونون مع كتابه من باب ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ فسيزدحمون على الاحتفاء به حتى لا يصلحَ بينهم إلا الاقتراع أو أنَّ منزلة كتابه ستكون كما قيل عن موطأ الإمام مالك رحمه الله: «إن الموطأ أخمل سبعين موطأً «

ومن أخفى مواطن التلبيس في مسائل الردود والتعقيب حين يقول أحدهما : إن فلانًا قال في صفحة كذا ما نصه كذا . فقد يكون النص المنقول صحيحًا ولكنه ليس هو رأي الطرف الآخر لأن هذا النص ورد استطرادا ولم يرد ابتداء ، وسبُِق بكلام لو أنصف المخالف في نقله لاختلف رأي القارئ، ولم يكنً المنقول عنه يريد ما أراد إيصاله الناقل ، وكم ضلل مضللٌ وزلَّ غِرٌ بهذا المنهج، لكنَّ الباحث الذي أحكمته التجربة لا يسرع بالقبول بل يعود إلى موضع النقل ، خاصةً إذا لاح لائح الهوى . وظهر في المدافعة الانتصار للحظ النفسي .

ومما يضاف حول الفِرَق أن أقول: ما أحوجنا إلى أن يقوم من كل فرقة في ساحتنا المليئة بفِرق الفُرقة أن يقوم أحد منسوبيها الذين عرفوا عوارها وابتلوا، وتحاملوا على أنفسهم بالبقاء عليها والسير بمنهجها، ما أحوجنا أن يكتب بشجاعة وعلمية ينقضها ويكشف حقيقتها، فسيضيف نفسه إلى التاريخ الإصلاحي، وينجو بنفسه من التبعة، وينجي كل من استنار برأيه، ويهز كيان ذاك الفكر من الداخل، وسيسهم في لحمة الأمة وإبقاء ريحها، وسيجعل كثيرًا من منسوبي الفرق الأخرى ممن شكوا في سلامة طائفتهم ينظرون بريبة إلى طائفتهم التي ينتمون إليها وسيعزز من كان في ارتياب من أمر طائفته، ولعلنا نستفيد من تجربة الدكتور عبد العزيز حمُّودة في كتابه(المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك) حين كشف بأسلوب علمي حقيقة ذاك الفكر من الداخل، فإذا روى إنسانٌ فشل فكرٍ ما من داخله فإنه يبين من الأدلة ما لم يستطع غيره.

ومرحلة التردد في الإفصاح عن الحق الذي تبين للباحث

التي يمر بها مرحلة فيها من الضيق النفسي، وفيها من تزاحم الموانع والدوافع ما يجعل الإنسان مضطرب الفكر، وهذا ما قاله بصراحة ووضوح الدكتور حمُّودة فهو يقول معبرًا عن ملامح بداية فهمه لأفكار الفكر الذي كان أحد منتسبيه: « . . . والتي كانت تبعدني . . . بدلاً من أن تقربني . . . وطوال تلك السنوات كنت أنحي باللائمة على جهلي وتخلفي . . . وفي أحيانٍ كثيرة كنت أنحي باللائمة على تدني معدل ذكائي الفطري منه والمكتسب . . . مرة أخرى، مع كثيرٍ من الانبهار، وقليلٍ من الشك في مستوى ذكائي الفطري والمكتسب أنحيت باللائمة للمرة الألف في تعاملي . . . . فالقصور لابد قصوري أنا . . . لكنني غير قادر على إبصار تلك الإنارة» وقوله: قليل من الشك يبين أنه بدأ يضع قدمه على الطريق الصحيح، وقد مر بمراحل من التردد قبل الإفصاح عن رأيه، ولا أظن أنَّ مدرسةً من المدارس الفكرية التي يقوم فكرها على مناهضة الثوابت والقطعيات إلا بينهم من يشكك في منهجهم، فكم هم

الذين يعايشون الآن مع طائفتهم ما عايشه حمُّودة ولكنهم بين خوف من تهمة وتحامل على حساب الحقيقة. ولكن من هو الأول الذي سيرفع لواءً البراءة؟ ،ومن أخطر البقاء على الفكر مع معرفة خلله للمعتنق حين يكون انتماءً إلى فرقة أو طائفة تنطلق من أساس ديني، فتتراشق مع الفرق الأخرى بالتضليل ونحوه مؤصلةً لنفسها بأدلةٍ هي إلى سوء الفهم واختزال الشرع أقرب؛ فالولاء والبراء في مثل هذه الحال هو على أساس حزبي يُذهِب ريح الأمة، ويجعلها ذات أشلاء وطريحة طريق، فاربأ بنفسك أن تكون مسهمًا في هذا .

الطبقة الثالثة: الموسوعيون: وهم المتمكنون من علوم شتى ، وقد يكونون في طرف من بعض فنونهم من طبقة العلماء ،إلا أنهم لايفْصِلون في المسألة كما يفْصِل العلماء أي أنهم لا يصدرون عن رأي جرت به الدراسة مجرى علميا من حيث عمق ودقة الموازنة بين الأدلة ومن ثم الخروج برأيٍ إلى القطعية أقرب. وقد يبرز من هذه

الطبقة من يكون عالمًا بمجال معين إلا أنه لا يُعرف بين علماء الفن الذي برز به؛ بسبب كثرة خوضه في علوم متفرقة .

ويشبه الموسوعين من حيث عدم تخصصهم طبقةُ المثقفين إلا أنهم أقل منهم في العمق العلمي وهؤلاء ليس لهم علمٌ يعرفون به فهم يكتبون عن اللغة تارة، وعن الدين أخرى،وعن الفلك ثالثة، وعن الشعر رابعة، وعن الأخلاق . وعن الصحة . . وهكذا . وهؤلاء كتاب لايملكون الملكة العلمية القادرة على فحص الأدلة والموازنة بينها التي يملكها أصحاب الطبقة الأولى، ولكنهم يحملون همًا ولديهم رغبة تدفعهم للكتابة . ولا تخلو هذه الطبقة من أناس يريدون الإصلاح .

الطبقة الرابعة :الهواة:وهم الذين لا يكتبون لحقيقة يبينونها للناس وإنما هم سعاة ينظرون ماذا يريد الناس فيجردون أقلامهم ، وهم كذلك لا يعرفون لأنفسهم علما يأخذونها به؛ وأغلب هؤلاء يجدون ما يشبع رغبتهم في الصحف السيارة، أو المجالس العامة .

وقبل مغادرة التأليف والمؤلفين أقول: كلمة الناشر التي تتصدر بعض الكتب تكون كافية للتعريف مغنيةً عن التقريظ أو التقديم الذي يجري إليه بعض حدثاء المؤلفين للترويج لكتبهم، أو لرفع التبعة عنهم لما يوجد في الكتاب من أخطاء علمية، وتكون كلمة الناشر كافية إذا كان الناشر من طلبة العلم في فن هذا الكتاب، أما أن تكون للناشر كلمة في كل كتاب يتولى نشره فهنا يخرج الأمر من الحرص على نشر العلم إلى السمة التجارية وذلك بالإشادة بالكتاب لأغراض تجارية وقد لا يكون كل ما ورد في كلمة الناشر حقا من حيث قيمة الكتاب أو نباهة المؤلف أو المحقق، أقول هذا وإن كنت التمس العذر للناشر فهو تاجر لا عالم، من هنا يحسن عدم أخذ رأي الناشر على إطلاقه.

ابتلي أهل هذا الزمان ﴿ بشلةٍ ﴾ من الكتبة مناكفين تدور أعينهم دوران عينِ الذباب التي لا تقع إلا على القبيح، بعضهم يحمل ورقة كُتب عليها أنَّهم اجتاز الجامعة أو ما فوقها أو ما دونها ويسمونها شهادة تشهد

على أنَّ متأبطيها مروا على إجابة أسئلة تتعلق بتخصصٍ ما ، ثم أخذوا هذه الورقة ظانين أنها سلاحٌ فتاكٌ قضى على جهلهم وأرقاهم إلى مرتبة العلماء ، فأخذوا يحرثون في أقوال ذوي الفضل والنباهة حتى إذا وجدوا هفوة عالم أو زلة شريف نفشت بها أقلامهم ونصبوها راية سامري وتنادوا ، ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ فإذا امتلأت محابرهم من الأفٍ والتُف أراقوا عفنهم على الورق، و هؤلاء لا يكتبون لحقيقة يبينونها للناس وإنما هم سعاةٌ على أبواب الفُرقة ينظرون كيف يغيضون ويكيدون، فيجردون أقلامهم ، وإن لم يجدوا ما يُغيض حارت أفهامهم وملؤا سطورهم بالغث الغثيث ،؛ فتجد أحدهم يكتب في يومه عن مضار الجراد ، ثم تجده في غده عن رياضة المسنين ثم يكتب عن الحرب الدائرة في المكان الفلاني محذرا ومؤيدا ، ثم ينبري خائضا في مسائلَ شرعية يتورع الجهابذة ويتدافعون الحديث عنها ، لكنَّ قائلهم يقول أنا ابن بجدتها ، فيريق حبره بأنَّ هذا ما يراه في هذه المسألة

! ، وكأني بابن دقيق العيد رحمه الله يعنيهم بقوله :

يقولون هذا عندنا غير جائزٍ

ومن أنتمُ حتى يكونَ لكم عندُ ؟ !

تقرأ معسول كلامهم في مبدئه فإذا قرأت سطريه الأولين عاجلك ما تضطر معه إلى استدعاء كمامة أنف وتمتم شفتاك بتعوذ ومن ثم تستدعي قول عبد الله بن ربعي رحمه الله :

كشيش أفعى أجمعت لعض فهي تحك بعضها ببعض

تتعوذ لما يجبهك من سم ،ومنتهى أمرهم وغاية مبتغاهم منا كفةٌ ،فتجد أنهم يعارضون للمعارضة ويجادلون للجدل،بهذه الأقلام الصدئة ،وحين هممت بكتابة هذه السانحة دارت مسمياتهم حول مثقفين ، كتاب، حملة أقلام ، منا كفين ، فرأيت الأخيرة بهم أليق . لأنهم عن سواها يقصر باعهم . وأختم هذه الخاطرة بدعوة من يرى نفسه على هذا الشاكلة أن يريق ما في محبرته ويعيد ملأها ،

ويجلس مع نفسه بساعة صفاء يحاورها أي الفريقين خيرٌ مقاما وأحسن نديا ، وألا يستبدل ما هو أدنى بالذي هو خير فالأمة بحاجة الجميع ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

*الأُف : قذر الأظافر، التُف قذر الأنف . * الكشيش صوت جلد الأفعى .

لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . هي جملة وردت في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين كان أبو موسى قاضيا في البصرة ،لا أذكر أول مرة قرأتها ولا أدري متى حفظتها ،ولكنّ هذا قبل كتابة هذه السطور بما لا يقل عن أربعين عاما ونحن الآن في عام ١٤٣٧هـ .

قرأتها في كتاب البيان والتبيين للجاحظ رحمه الله وذاك أيام الطلب حيث كان هذا هو مقرر مادة المطالعة في الجامعة. قرأتها وعلقت في ذهني لأنها وجدت منبتا يتعاهدها ومثيراتٍ تسقيها .

لم يدرُ في الخلد بأني سأضعها منهجًا من مناهج حياتي، طوى النسيان كثيرًا من المحفوظ لكن هذه الحكمة تبقى كائنةً في الذهن ، ثم ألبث ما شاء الله فيمر حدث يعيدها جَذَعَة؛ وما يجعلها متكررة في خطْرها على الذهن ما أراه من حقائق يدعو لها متحدث أو فضائل يسوق من الأدلة والشواهد يؤكد أهميتها وضرورة تطبيقها لإصلاح المجتمع الإنساني، يعجب السامع والقارئ بهذه الفضائل ثم ما تلبث هذه الدعوة للفضائل أن تطوى كما طوي غيرها فأقول لنفسي:لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. فتأتي أحداث على حياتي الشخصية والعملية التي قضيتها في الميدان التربوي وهي ثلاثون عاما ، أقول تأتي ندوات ومحاضرات ونشرات كلها تدعو إلى ما يسمو به الفرد والمجتمع، ولكنها ما تلبث أن يلتهمها النسيان الذي لا يشبع عندها أقول لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له؛ وعند الابتعاد عن دائرة التجربة الشخصية تكشّفُ للناس كثير من الحقائق التي يدعو إليها المصلحون ويلحون على الجمهور بقبولها وتبنيها بسبب

مالديهم من حجج تؤيد مايذهبون إليه وهي حجج مقنعة وقوية لكنها مع قوتها وقناعة الناس بها لا تغير شيئًا من الواقع فأقول لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. أسمع كثيرًا من المسؤولين ممن يستطيعون إلزام الناس بما يقولون أسمعهم يحثون على فضيلة ويأمرون بها لكنَّ هذا لا أثر له في واقع الناس فأقول لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. ثم أسأل نفسي هل الناس لايطبقون إلا عندما يؤطرون على الحق أطرا ؟ ! والجواب نعم في كثير من الحالات يجب اتخاذ القوة. حتى يستقيم الأمر.

وعندما تكاثرت هذه المواقف على نفسي بدأت بالانقباض والعزلة عن الناس وأحببت الخلوة إلا في قليل تدعو إليه الفطرة من الأنس بصاحب والخلوة بجليس. وحين رأيت أنّ كثيرًا من المجالس أصبحت مجالس شكاية أحوال، وتثريبٍ من حاضرٍ على غائب، كأنَّ معقد الخير عزَّ ونفق إلا من هؤلاء المثربين جددت العزيمة على العزلة، ولم أكن في عزلتي ـ ولله الحمد ـ منكفئًا على نفسي من غير

نفع وإنما وفقني الله بفضله وكرمه أن جعلت خلوتي تلك للبحث والمطالعة والتأليف، فأثمر هذا بحمد الله تأليف كتبٍ أسأل الله الكريم أن يقبلها مني .

ومن السوانح الذاتية أسوق لك هذا السانحة المعبرة عن تجربتين في البحث العلمي ، من أشد مواطن البحث ضيقا عندي أن أُضطرَ إلى البحث في كتابة كاتب يلتوي أسلوبه ويعتاص عليه إفهام القارئ برأيه فتجده بين ركاكة لفظ وتمطيط كلام فلا تفهم منه ولا يباشرك بوضوح رأيه . ، ويزداد الأمر سوءًا حين يكون الكاتب يحمل معاول الهدم النحوي بين أسطره فلا يقيم الإعراب إلا مصادفة لادراية ومن آنس لحظات البحث العلمي أن تتمنع منك حقيقةٌ ما تمنعَ وامق، فلا هي أسلمت قيادها ولا هي أيأستك منها ، لكنها تتبدى في ذهنك مومضةً إيماضًا حتى إذا أحستْ بتتابع أنفاسك لمطاردتك لها وأنها منك بمنزلة وأشفقتْ لمدامع قلمك أسلمتْ نفسها باسمةً طيعة، عندها تجد أنك تتنفس الصعداء فتسترخي قريرَ العين ويطبق قلمك

جفنه على سنه.

من الذين يسدون النَّفَس على الإنسان أني رأيت أحدهم يتمسكن ويتباله ويحدث عن نفسه بأخبار يظن فيها أنه من أهل التقى والورع وأنَّ منزلته بالدين كالقابض على الجمر، ويسوق أخبارًا يوهم بها نفسه بأنه من ذوي القلوب السليمة، وهو على خلاف هذا كله، ومما يزيد في الحزن أنه لا يقول عن نفسه هذا وهو كاذب بل يرى أن هذا حقٌ يجب أن يصفه به من حوله؛ ومن حوله يعرفون أنه من أسوأ الناس ظنا بإخوانه المسلمين وهم يسمعون منه ومن لسانه مباشرة زراية بطلبة العلم المشهود لهم بالفضل والصلاح، ويعد نفسه من أهل العلم والفتوى، هذا الرجل رأيته مستثقلا في المجالس منفورا منه ولا يكاد يدخل على جماعة إلا تحسروا على وجوده معهم، ويشعرون بالضيق حتى يفارق جماعتهم.

وقد رأيت بملاحظتي له أنَّ من أخفى مداخل الشيطان ووساوسه أن يوقع في النفس بأنها من الأخيار

الذين لم تقدّر الجماعة قدرهم . فيجري في نفسه رهافة دينية تُقعِدَه عن الفضل . ويستشعر الغبن دائما .

عرفت أناسا لا يفرقون بين ما هو مطلوب منهم في سني عمرهم فلا يفرقون بين حالهم في الصبا واليفاع والكهولة فيما يدعون ويذرون ويرجون ويأملون فهم يتطلبون ما كانوا يفعلونه في شبابهم في زيهم ومرامهم ، ويخشون الحديث عن الموت خشيةً تكدر مجالسهم، ولعمري إنَّ هذا من نقص العقل الذي يؤتى منه ضعيف البصيرة .

من قواعد القراءة

١ـ القراءة البحثية أن يكون للقراءة هدفٌ تحاول أن تصل إليه . فالبحث عن هدف يعينك على التدبر ويحسسك بقيمة العلم .

٢ـ هناك كتب سميتها كتب الاسترواح وهي نوع من التأليف أعود إليه للاستجمام حين أحس بالتعب أو الملل من القراءات البحثية ،فهي لا تحمل هَمَّ إثبات أو نفي حقيقة فينطلق المؤلف فيها على سجيته . ومن أقرب الأمثلة على هذا كتب المذكرات والسير، وكتب الرحلات . إلا أنَّ الإكثار من هذا النوع من القراءة يجعل النفس تألف الإخلاد للراحة، فتكون نؤوم الضحى وتستثقل الجاد من مسائل العلم ، وبحسبها أن تتعاهدها به .

٣ـ اقرأ ما تنجذب إليه نفسك لا ما يحمده الناس .

٤ ـ مما فات علي بعضه ولا أحب أن يفوتك شيءٌ منه أني في بداية عهدي بالقراءة كنت أقرأ إثراء ومتعة ، فلم أقيد

كثيرًا من الشوارد التي مررت بها مع جدارتها بهذا . فضع أنت فهرسا على جلدة كل كتاب تقرأه لتدون فيه ما راقك من فوائده . ويستفيد من يقرأ بعدك .

٦ـ إذا رأيت المؤلف لا يسمح بالنسخ فالتزم برأيه ؛ فهو حقٌ له، وضعفُ قدرتك على الاقتناء لا يجيز لك مخالفة حقه

٧ ـ إذا قمت بتأليف كتاب فاحذر من منع نسخه ، وإن سخوت بإعادة طبعه لكل من أراد فهذا أكرم وأمنّ .

٨ـ إذا أعجبك عنوان الكتاب فلا تتعجل بشرائه قبل قراءة المقدمة والخاتمة واستعراض الفهرس .

٩ ـ إن أعرت كتابًا لأحد فانظر في أمرك فإنّ كان طالب الإعارة من العلماء وممن للكتب عندهم مكانة فبادر ، وإن كان طالب الإعارة من هواة القراءة فلاتعره إلا بعد أن تأخذ عهدًا بأنه سيرده عليك، ولاتتردد عند استبطاء الرد أن تسأل عن جليسك وأنيسك[الكتاب]؛ فإن هواة القراءة كثيرٌ منهم لايولون الكتاب ما يراه العلماء من حق، أقول

هـذا بعد أن ذقتُ مرارة استعارة بعضهم لأحد كتبي، فقد استعار بعضهم مني كتابا ثم سافر إلى خارج البلاد لإكمال دراسته العليا، ولم أظفر بالأنيس إلا بعد عودة المستعير.

١٠ ـ مما يشوش على الكاتب أو القارئ أنَّه في بعض خلواته أنَّه ما يكاد يغمس سن قلمه بالفكرة كاتبا عنها أو يرمي بذهنه قارئا لها، حتى يظهر له هاجسٌ يلح عليه بترك هذا والانتقال إلى موضوع آخر، فلا تصغ لهذا لأني جربت أن استجابتك ستغري هـذا الهاجس بالاستحواذ عليك وتزيين أمرٍ آخر، حتى تجد أنَّك لم تحقق ذا بال.

الانقطاع إلى القراءات والبحوث التربوية يقمع النفس الإنسانية ويحبسها، ويفصل الإنسان عن واقعه ويوهمه أنَّه وصل إلى مرحلة التفوق على من حوله، وفي فترة من الفترات انقطعتُ للقراءة التربوية فأحدث هذا في نفسي رهافة مقيتة وركبت من المثالية شططا واستعظمتُ حقي على زوجي وولدي. لكن ربي أدركني فطلقت

القـراءة فيهـا طلاقـا بائنـا إلا مـن بلغـة أتبلغ بهـا لإتمـام عملـي الوظيفـي أمـا وقـد تركـت العمـل فقـد ثبتـت البينونـة للقـراءات التربويـة وانسـلخت العـدة .

في بعـض الأحيـان يُثـني بعـض القـراء علـى الكاتـب فـلان ويغـرون بالقـراءة لـه، فأقتطـع لـه وقتـا لأقـرأ شـيئًا مـن نتاجه فـلا اجـد في نفسـي قبولاً ولا ارتياحًـا ، ولا أجـد المـادة العلميـة الـتي يشـيدون بهـا ، فـأدعُ القـراءة ثـم أعاودهـا بعـد فـترة فأجـد أنـي كحالـتي الأولى، ثـم أقـرر الابتعـاد والقـراءة بعـد حـين، فـإذا عـدت فـإذا أنـا كمـا كنـت، عندهـا أقـرر بأنـي ليـس بيـني وبين هـذا الكاتـب رحـمٌ علمـي فأنقطـع عـن القـراءة لـه .

وممـا يتـلازمٍ مـع القـراءة الحديـثُ عـن البحـث فقـد ذكـرت لـك سـابقاً شـيئًا مـن تجـارب البحـث ولعـل مـن المناسـب هنـا أن أذكِّرك بتجـارب أخـرى؛ إنـك لتعجـب وأنـت تهـم بتأليـف كِتـابٍ مـا أنـه لم يكـن في ذهنـك مـن

مصادره أو مراجعه ما يجاوز أصابع اليد فما أن تبدأ إلا وتتفح لك أوديةٌ فيح من المصادر والمراجع لا تكاد تهتدي في مسالكها ، وما هذا إلا بتوفيق الله، أقول هذا حثًا لمن خشي ضيقًا في مصادر بحثه؛ فإنك ستجد أنّ كل مصدر أومرجع يُسْلمك إلى آخر . بل قد تتزاحم المادة العلمية في بعض الأحيان حتى يصل المؤلف مرحلة يسميها » ماذا أدع لا ماذا أكتب» .

لعلي أبعد تك عن سوانح الذات ، وحياة المجتمع ولهذا أذكر لك شيئًا من حياة مجتمعي ثم أعود بك إلى سوانح الفكر:

الناس في مدينتي يحكمهم قطبان الدين والعرف، وأذكر أنني كنت ذاهبًا إلى دكان والدي-رحمه الله-حين كان بالهفوف، وفي طريقي رأيت ساعة على الأرض والسوق مزدحم بالمارة، فلم أجرؤ على التقاطها وبدأت أقول للمارة : «ساعة يا عم» وهذا من الأمانة التي رُبينا عليها ، وقع

هـذا في العقـد الأول مـن عمـري، الصـلاة لهـا شـأن في قلـوب الناس، وأئمـة المسـاجد يتفقـدون أهـل الحـي وذلـك بعدهـم بأسمائهم بعد الصلاة فينادون على فلان فيجيب حاضر، ومن تكرر غيابه فإنه عند دخوله للسوق يحسرون رأسه وهـو عيـبٌ عـرفي يشـين الرجـل أن يسـير في السـوق محسـور الـرأس، وكفـى بهـذا مؤدبًا لمـن يتأخـر عـن صـلاة الجماعـة.

كانـت النسـاء مـن الحمشـة بمـكان؛ فكـن يرتديـن عبـاءة سـوداء فضفاضـةً طويلـة لهـا ذيـل يسـحب، وكان بعـض الصبيـة يختلسـون غفلـة مـن المـرأة فيعابثونهـا ويضعـون العلـب الفارغـة على ذيـل العبـاءة، كان من أول مظاهـر التمدن التي رأيتهـا عندنـا أنـي رأيـت أحدهـم يضـع طـرف غترتـه علـى الإنـاء الـذي يشـرب بـه من القربـة الـتي توضـع في مـكان عـام يشـرب منهـا الجميـع وبالإنـاء نفسـه،يضع طـرف الغـترة حتـى لا يدخـل فمـه مـا يخـرج مـن بقايـا الدباغـة الموجـودة داخـل القربـة.

كان من الشائع أنَّ أحدنا إذا أُصيب بإسهال أن يكون التشخيص المتعارف عليه: «أنه أكل ملحوس« والمقصود أنه أكل طعامًا ولغت به أحد الهوام السامة أو بصقت به، الجنازة تقام ساعة تجهيز الميت عليهم رحمة الله، ولا ينتظرون حضور أحد بل ولا ينتظرون وقت صلاةٍ مكتوبة فيصلون عليه وقت وفاته فقد يصلون الضحى عليه مع قرب صلاة الظهر، وكان مما يفعلون لجمع جماعة للصلاة أنهم يمرون بالميت بالسوق محمولا على النعش متجهين إلى أحد المساجد، وهذا بخلاف ما عليه الناس الآن فقد تبقى الجنازة أكثر من يوم لانتظار غائب، كانت الصلاة على الميت تقام في مسجد حبيبه، ، ثم أصبحت مقصورة على جامع الجرَّاح. وهو الآن يسمى جامع ابن عثيمين. وجامع الضُلَيْعة، وبقيت هكذا مدة ثم اختُصَ بها جامع ابن عثيمين، وكان الدفن في مقبرة الطُعَيمية وحين امتلأت نقل الدفن إلى مقبرة بجوارها تقع غربًا منها، ثم أحدثوا مقبرة جديدة في شرق المدينة وسموها مقبرة الرحمة، وعلى إثر

هذا نقلت صلاة الجنائز في ١٠/شوال/١٤٣٧هـ إلى مسجدٍ بني حديثا قريب منها هو جامع البسام.

وكثيرٌ من المساجد قديمًا نجد فيها المُغَسَّل والنعش، وهما مصنوعان من الخشب والمغسل هو ما يُغسَّلُ عليه الميت وهو ذو قوائم أربع ويرتفع عن الأرض قريبًا من المتر، والنعش ليس له قوائم وله أربعة أذرعة يحمل عليه الميت على الأكتاف، بعدها أصبح التغسيل في مكان واحد اختص به محتسبون، والتغسيل والقبور ليس لها ثمن، وإذا أحبَّ أولياء الميت إعداد ما يلزم من تجهيزه فلهم هذا، وهو ما فعلناه حين وفاة الوالدين عليهما رحمة الله ورضوانه، لاوجود لدينا للمناحات التي تقام في بعض البلدان ولها مراسم وطقوس، يتباكى بها الحضور على الميت، وفي هذا الزمان أصبح أولياء الميت يجتمعون في بيت الميت لاستقبال المعزين الذين لم يشاركوا في الصلاة أو العزاء في المقبرة، والغالب أن يبادر أحد المعارف أو الأقارب بتقديم العشاء لأهل الميت.

ومما يروح به الباحث عن نفسه أن يقوم بمطالعة سير الدهاة وكيف ينجو بعضهم من بعض ويتلطف بعضهم لبعض ففيها إذكاء للعقل وتطريةٌ لحواسه وتمرينٌ له وتحريكٌ لمكامنَ لديك قد لا تعرف اتصافك بها إلا حين تجد من يُهيّجها من مجاثمها المطمورة داخل نفسك، فعليك بتتبع سير هؤلاء بين الحين والحين لعلك عاثرٌ على جوهرة في داخلك أكنَّها في عمقك تطاول الزمن بالاستغناء عنها .

فاحرص على زيارة سيرهم ، ومن هؤلاء الدهاة . معاوية، وعمرو، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم، وزياد بن أبيه رحمه الله . ومن مظان هذا كتابٌ اسمه [بدائع البدائه] لابن ظافر الأزدي عليه رحمة الله، كذلك من هذا ماجمعه صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه رحمه الله تحت باب : الأجوبة المسكتة . ومما تجد فيه شيئًا من هذا كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لابي علي مسكويه رحمه الله، ومما ورد فيه : أن الأسكندر في حربه مع الفرس نادى في الصفوف : يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبنا لكم من

الأمانات فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمناه، قال هذا خدعةً وتفريقًا لصف الفرس؛ فهو لم يكن بينه وبين أحد عهد، فلما سمع الجند هذا دب بينهم سوء ظن بعضهم ببعض فكانت هذه الحيلة سببا في اضطراب صفهم، ومما ورد فيه أيضا، أنَّ الإسكندر كتب إلى أرسطوطاليس يخبره أنَّ في عسكره من الروم جماعةً من خاصته لا يأمنهم على نفسه لما يرى من بعد همتهم وشجاعتهم وكثرة آلتهم، ولا يرى لهم عقولا تفي بتلك الفضائل، ويكره الإقدام بالقتل عليهم بالظَّنة مع وجوب الحرمة.

فكتب أرسطوطاليس : (فهمت كتابك ، وما وصفت به أصحابك . فأما ماذكرت من بعد همتهم فإن الوفاء من بُعْد الهمة، وأما ما ذكرت من شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله، فرفهه في معيشته واخصصه بحسان النساء؛ فإن رفاهة العيش توهي العزم، وتحبب السلامة، وتباعد من ركوب الخطأ والغرر، وليكن خلقك

حسنا تخلص لك النيات ولا تتناول من لذيذ العيش ما لا يمكنُ أوساطَ إخوتك مثلُه. فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة؛ واعلم أنَّ المملوك إذا اشتُري لا يسأل عن مال مولاه وإنما يسأل عن خلقه) وأقول لك لاتخلط بين الدهاء والغدر؛ فالدهاء شرف يرفع صاحبه والغدر لؤمٌ وخسة تزري بصاحبها .

وأخرج من هذا لأدخل في سانحةٍ فكرية من سوانح البحث العلمي وما قد يعتري الباحث فيشوش عليه ويكدر صفوه، فإذا كنت تبحث في مسألة علمية وأمامك عددُ من المراجع والمصادر، ثم رأيتَ أنك ما تكاد تدخل في مرجع حتى تؤمِّلَك نفسك بالتماس المسألة في الآخر، تؤملك هذا وأنت ما زلت في بداية صفحاته، تؤملك قبل أن تكون استكملت البحث والتقصي في المرجع الذي بين يديك، هنا اعلم أنك مضطرب ولا أظنك في حالتك تلك ستصل إلى رأي صائب، فعليك أن تؤجل أمرك لحين صفائك وأن تشغل نفسك بأمر لا علاقة له ببحثك فإنه أجمع للفهم

وأفتح للعقل، ولا تيأس أو تضجر فتتركَ البحث؛ فهو أمر وجده غيرك من قبل وسيجده آخرون من بعد فهذا من لوازم وعوارض نقص البشر.

وقد وجدت هذا في نفسي فقد كنت أبحث في مسألة من مسائل كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام رحمه الله، وما كنت أحسب أني سأجد فيها من الاضطراب وتأخر الفهم ما وجدت، فتركت البحث فيها متشاغلا بما لا علاقة له فيها، ثم عدت إليها ففهمني الله ما استغلق علي قبلُ فلك الحمد ربي، ولنتحدث في جانب آخر من جوانب البحث العلمي، فإنَّ من الإخلال بالأمانة العلمية والتعمية على القارئ في مباحث الردود أن يقول الراد: هذا فحوى كلامه؛ فالإنصاف يوجب عليك أن تنقل نص العبارة ثم تتبعها برأيك، فكأنك هنا تلزم القارئ بما تراه وتُقوّلُ المخالفَ ما لم يقل، وتكتب نيابةً عنه، فمهما كانت دقتك في التعبير عن رأي المخالف ومهما علا فهمك فلن تكون بمرتبة صاحب الرأي الذي تصرفتَ بكلامه؛

لأنه اختار ألفاظًا محددة أبرز بها رأيه ، وذلك أنَّ للألفاظ جرسًا وإيحاءً نفسيًا تترجم ما يجول بخاطر كاتبها ؛ فأنت بتغافلك عن النص وبنقلك المعنى ، نقلت ما يجول بخاطرك لا بخاطر من يخالفك ، ولكنَّ نقل نص العبارة يجعل القارئ على بصيرة من حقيقة ما قاله الطرف الآخر ويرفع عنك تَبعة الإخلال، وقد يكون من تنقل إليه نصَ الكلام أفقهَ وأَدَقَ فهمًا منكما فيفهم خلاف ما تفهم ، ويجد مساغًا علميًا خلاف ما خطر ببالك ، فرب مبلَغ أوعى من سامع ،كما أنك بجل من أمرك قبل الدخول بهذا الرد ، لكنك حين رغبت في تفنيدٍ أو تأييد أو إيضاح فإنك كما قال أبو الطيب رحمه الله : «»ألزمت نفسك أمرًا ليس يلزمها»» ،فعليك الالتزام بالنص ،ومن المؤكد تجربةً أنَّ الإنصاف من أفلح أسباب الإقناع .

كذلك هناك فرقٌ بين ما يقوله العالم في أول و مبدأ رده على المخالف وبين ما يقوله استطرادًا في ثنايا رده ، فلا تعجل بقبول قول طاعنٍ على طاعن إذا قرأت عند

أحدهما أنَّ فلانا قال كذا، ويزيد التلبيس حين يقول أحدهما إنَّ فلانا قال ص كذا ما نصه كذا . فقد يكون النص المنقول صحيحا ولكنه ليس هو رأي الطرف الآخر لأنَّ هذا النص ورد استطرادا ولم يرد ابتداءً وليس هو المقصود بالقول ،والناقل نقله مبتورًا عن مراد القائل؛ وهذا من أخطر وأخفى ما يأخذه ويروج به مخالفٌ على مخالف إذا بلغ بأحدهما الهوى مبلغا تمكن من القلب وأعمى عن الحق،وكم ضلل مضللٌ بهذا المنهج ،ولكن الباحث الذي أحكمته التجربة لا يسرع بقبول رأي مخالف على مخالف ،بل يعود إلى موضع النقل .

تجاوزت الستين وأنا ولله الحمد خالٍ من أمراض يعاني منه كثرٌ من أقراني : سكر،ضغطٍ الدم ،آلآمٍ مفاصل. . .إلخ،لا أبادر عند اعتلال صحتي لزيارة طبيب ،أجريت قبل سنوات عملية لإزالة كيس دهني ظهر في الجانب الأعلى الأيمن من ظهري ،وحواسي بفضل الله سليمة ،بل إني اتمتع برهافة السمع ،حتى إنَّي أسمع

همس طلابي في آخر الفصل حين يلقن بعضهم بعضًا إجابة سؤال أطرحه، التزم عند الأكل أن دعه وأنا أشتهيه، وهذا يثير عجب كثيرٍ من الأصحاب الذين لا يقومون من الأكل إلا عند الامتلاء، وذكر الامتلاء يذكرني بما سببه عند بعضهم فقد اضطرهم الإفراط في تناول الأكل إلى السمنة المَرَضية ومن ثم إلى ربط المعدة أو قص جزءٍ منها لتصغيرها لأنه لا يستطيع التحكم في شهيته عند الأكل مع أنه يغنيه عن الربط أن يكفَّ يده ويدعَ الأكل وهو يشتهيه !،لا أهتم بنوع الطعام الذي آكله فأتناول ما تيسر، وما تبقى من طعام الغداء أتناوله في العشاء، أتألم عندما يكون هناك قليلٌ يفيض عن مقدار أكلنا لا بخلاً بل هو حبٌ في حفظ النعمة، ظهرت فوارق الأجيال في نوع التغذية بيني وبين أبنائي وأحفادي؛ فهم يجدون متعةً أكثر في أنواع أطعمة ما كانت معروفةً في أرض قومي ،لست محجوبا عنً أي نوع من الأغذية، أحب التمر وهو من غذائي اليومي بل في بعض الأيام أتناوله مرتين في اليوم، لضعفٍ في عيني اليسرى فإني أضع النظارة ، ولي

نوعان منها للمشي نظارة وللقراءة أخرى في تعاملي مع النوم لدي منبهان الأول منبه إيقاظ وهو المعروف لدى الجميع ، والثاني منبهُ بين ساعة النوم وهو إحساسٌ تلقائي يدب إلى جفنيَّ قُبيل الساعة الحادية عشرة ليلا، فلا أكاد أقترب من هذا الموعد إلا تبدأ الأجفان بالاسترخاء، وعرف عني هذا أفراد أسرتي وكثيرٌ ممن أصاحبهم ،وهناك منبه إيقاظ آخر وذاك أنني إذا نمت أكثر من حاجتي فإني استيقظ بإحساسي بصداع . ولا أدع نومةً في الظهر استعد بها لفتح صفحة المساء ،بعد صلاة الصبح أسترخي قليلا ثم أصحو مبكرًا ،وكثيرٌ ممن أعرفهم من الأصحاب يطيلون النوم بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر؛ أحب الخلوة في منزلي لهذا أجد في بعض الأحيان متعةً حين أكون وحدي في المنزل، أتابع أحداث الساعة بما يقيم الأود، أخذت حظي من الرحلات الجماعية مع الزملاء عندما كنت في مقتبل عمري طُلَعة وطلقتها مبكرًا، مع أنَّ الكثير ممن أخالطهم لا يملُّون من الأسفار والترحال، وهذا من

فضل الله علي حيث إني أجد بغيتي من طيب الحياة في منزلي، كتبي عرضت طباعتها ونشرها على أكثر من جهة تجارية فلم يوافقوا لضعف أوعدم العائد الربحي ولا ألومهم، بعض الدوريات العلمية من مجلات ونحوها تشترط للنشر فيها ألا يكون البحث منشورًا أو معداً للنشر لم أوافق على هذا الشرط لأني أرى أنَّه من التحجير العلمي . ولكني ولله الحمد رأيت ثمرة الانتفاع بها من وضعها على الشبكة الالكترونية، وقراؤها بحمد الله بالآلاف .

بعد عرض شيئٍ من سوانح الذات، أسوق لك هذه السانحة الفكرية عن دراسة النصوص: فدراسة النصوص هي استكشاف خواطر النفوس من خلال النصوص التي أفرزتها العقول، وهي كذلك التعرف على ما لم يقل بالفهم العميق لما قيل وبقدر لطافة عقل الدارس وسرعة لمحه يستطيع أن يصل إلى خفي النص الذي بين يديه، وإبراز أوجه التواد أو التنافر بين المعاني وبين الألفاظ التي أدتها ، محلل النص بقدر ما لديه من لمح وفهم للخفي

من مقصود الكاتب ،وذلك بواسطة التدقيق بالألفاظ لمعرفة ما توحي إليه من المعاني والمقصودات فإنه يستطيع أن ينقل للقارئ ومَضَات من فهمه لم تخطر على منشئ النص، وعليه وهو يقوم بهذا أن يكون دليله مستقيما وفهمه واستنباطه مما تسعه اللغة،فإن لم يكن فهمه كذلك فقد عاد الاحتجاج عليه، كذلك فإن معرفة الكاتب الدقائق اللغوية ومعارج الاستعمالات يعينه على الإشادة بالنص أو الزراية به؛ التبرم وضيق العطن واستطالة الطريق موانعُ من الوصول إلى الغاية؛ فطول النفَس مطلبٌ لا غنى عنه في دراسة النص، ومن المعين أن يطرح الدارس سؤالا مثل هل الكاتب صاحب النص استطاع تأدية المعنى أو قصُر عنه ؟ من المعين أيضا أنك إذا كنت تدرس نصًا لشاعر أو ناثر أن تطيل القراءة بإنتاجه من غير هذا النص فإنك ستصل إلى علاماتٍ خفيةٍ مميزةٍ له عن غيره تهتدي بها إلى حقائق قد لا تخطر على قائل النص نفسه،ولهذا نجد أنَّ من العبارات التي يرد بها علماء الحديث ـ عليهم

رحمة الله ورضوانه. حديثا معينا أن يقولوا: هذا لم يخرج من مشكاة النبوة، يقولون هذا لأنهم عاشوا كثيرًا مع أحاديثه صلى الله عليه وسلَّم؛ وحين تكون الدراسة لنصوص وآراء متباينة فلا بد من الموازنة بين الأدلة من حيث إصابتها في الاستدلال أو خطؤها، ومن حيث صحة الاستدلال بها؛ فقد يكون الدليل صحيا والاستدلال خطأً؛ لأنَّ من غايات الدراسات في هذه الحال إحقاق قضية أو إبطالها، وذلك بالوقوف على الأدلة النافية والأدلة المثبتة، ولا بد أن يكون الدارس ذا علم ودراية بعلم النص المدروس وحين يقتصر الدارس للنصٍ على إبراز المعنى للكلمة فهذا أبرد مراتب التحليل وأدناها، وهذا لا يعطي قارئ النص حصيلةً تميز صاحب الدراسة ولا تبرز تمكنه من التحليل، ولا هي تبين معالم صاحب النص؛ لأنَّ المعاني المجردة يستطيع القارئ الوصول إليها من المعاجم، أما غاية الدراسة فهي الإبانة عن مواطن الحسن والقبح والخطأ والصواب، ونافذ البصيرة يستطيع بقراءته أن يميز بين رأيٍ سبق إليه قائل

النص وبين رأي بارد مغسول، كذلك الاقتصار على معاني المفردات لا يتبيًن معه الجو المصاحب للنص فهذا لا يكون إلا بإبراز المشاعر الداعية للقول؛ وتقليب التربة لكلام العلماء ،ونقل البذور من عقل كبير إلى عقل كبير آخر يثمر ثمرة جديدة ليست بحسبان العالم الأول ؛ والفهم له مسالك تعين الدارس،فمنها تفكيك الجملة لنصل بمعرفة الروابط بين الكلمات إلى معاني مستنبطة ،ومن لوازم هذا أن يكون العلم الذي تدرسه مما تنبسط إليه نفسك ولا يمكن للدارسة أن ترقى إلى الإبداع إذا كانت بفنٍ لا تميل إليه النفس،وبقدر ميلها تكون النتائج أقربَ وأكثرَ دقة وتكون الأحكام أكثرَ صوابا ،ومنها أن يكون الدارس قادرًا بذوقه وعلمه على أن يعيش التجربة الشعورية التي أدت إلى ولادة النص الأدبي الذي بين يديه ، ومنها إبراز العلاقة اللغوية بين ما اُستُنبِط وبين ما قيل،وهنا لا بد أن تكون تلك العلاقة مما تتسع له اللغة ؛ فالاعتساف يفسد النتيجة ويذهب بالدارس مذاهب بعيدة،ومنها صفاء الذهن أثناء التحليل

وخلوه من الشواغل ومما يفيد هنا أن يستصحب محلل النص سؤالا يعينه على حضور الذهن كأن يقول: لماذا استخدم صاحب النص الفعل المضارع وترك الماضي، أو لماذا عبر بالاسم وترك الفعل أو العكس ،مع التنبه إلى أن الإفراط في هذا يفضي إلى التكلف ،ومن أول خطوات التحليل إبانة المعنى العام للنص والمعنى الخاص لكل فقرة ، وشرح غوامض الألفاظ، ومن مناهج التحليل إظهار العلاقة بين أطراف النص، وحسن انتقال منتج النص من فكرة إلى فكرة وبراعة الاستهلال وجودة الختام، لا بد من قراءة النص المراد تحليله قراءة أولى متأنية مع تدوين ما يظهر لك من هذه القراءة، ولا يصح الركون إليها واعتبارها النتيجة الأخيرة ، تكون آراء الناظر بالنص أقربَ إلى الحقيقة وأبلغَ بالتأثير بقدر قدرته على مقاومة هوى النفس أو السير بطريق تقادح الأقران، الموهبة ركن ركين في هذا الباب، فلو حفظ قواعد الموازنات من لم يوهب مقدرة الكشف فلن يصل إلى المرادات الخفية ،فحاله كحال من أتقن بحور

العروض بزحافاتها وعللها لكنه لم يوهب قول الشعر فلن يستطيع قول بيتٍ واحد ، ومن خطوات التدريب الأولى أن تختار نصًا تميل إليه النفس، وبعد أن تضرب بسهم بهذا التدريب تقوم بالاختيار العشوائي ،فتفتح مثلاً كتاب المعلقات كيفما اتفق ثم تقوم بتطبيق هذه القواعد على ما يظهر لك من نص، لأن تحليل نص مختار بما يتوافق مع النفس لا يعطي القارئ الصورة المثلى لخفايا النص ولا مقدار علم الدارس . فالمحلل يدخل على النص بصورة راغبة فكأنه يحقق بغية خاصة ،وهذا في الدراسات التي يتناولها الدارسة ابتداءً ليجعلها نماذج تطبيقية ، أما أن يختار الدارس إنتاج أديب أو شعر شاعر فلا يدخل في هذا ، وكذلك لا ينبغي أن يدخل على نص وهو كارهٌ لصاحبه لأنَّ هذا سيجعله يتحرك من خلال منظور سابق قد يعميه عن جوانب مؤثرة في النص الذي أمامه، من الفروق التي تكون في مجال تحليل النصوص أن ندرك الفرق بين تحليل نص أدبي لا علاقة لنا بمنتجه سوى العلاقة العلمية، وبين نص نقرأه

لنرد على صاحبه معارضين أو مؤيدين ؛ فغاية الدراسة لأجل التأييد أو المعارضة تكون واضحة المعالم من حين أن يبدأ الكاتب كتابته، مصدر النص الشخصي أعني به منتج النص، أو المصدر البيئي أي البيئة التي ولد بها النص، لابد من اعتبار هذا العنصر عند التحليل، ففرقٌ بين أن يكون مبدع النص فقيرا وبين أن يكون غنيا وبين أن تكون البيئة ريفية أو حضرية أو بدوية، وكذلك نوع المبدع هل هو ذكر أم أنثى؛ محلل النص قد يجد ذوقه مستوحشا من غثاثة لفظة لا تناسب موضوع النص،فإن جاءك هذا الخاطر عفوًا من غير اجتلاب فالغالب فيه أن يكون ذوقك على حق، ومن علامات هذا أنك تجد من نفسك نشاطًا وأنسًا وأنت تقرأ النص فيصيبك فجأة فتورٌ في هذا النشاط بسبب ضعف طرأ على منشئ النص أثر على عبارته فأصاب قواك ،محلل النص ساعة تحليلها هو أديب ينشئ نصا ؛ لذا عليه أن يعتني بعبارته حين التحليل،وينظر في محاسن ومساوئ تعبيرات النص الذي أمامه فيأخذ ويدع ما

يصوغ به دراسته ، اللفظة في النص الأدبي لها روح تكون عابسة وتكون ضاحكة بحسب الغاية من حضورها في ذهن القائل وبحسب الحالة الشعورية له ؛ لهذا لا ينبغي أن تقرأ هذه اللفظة قراءة معجمية صامتة لا روح فيها تبحث عن معناها فقط ؛ فحضورها في هذا الموقع له أثر ينبغي تلمسه،مما يعين الدراس على قراءة النص قراءة فنية وجدانية أن يقرأه كاملاً ولا يقطّعه قطعا لأن هذا يذهب الرباط الفني للنص ويقلل منِ شعور الدارس وقربه من الصلات بين أجزائه، وقد رأيت هذا في شرح أبي علي المرزوقي لحماسة أبي تمام رحمهما الله ؛ فهو يقطّع النص فيعيش مع البيت عيشة نحوية لغوية فينفصل بهذِا ويغيب عن مأخذ فني ومعزى بلاغي ،والقصيدة تشبه البستان المليء بأنواع الأشجار والزهور وجداول المياه وصدح الطيور،فمن أراد وصف هذا فلا يتجه بقلمه وفكره فيصف أحد مكوناته معزولا عن غيره،ولكن عليه أن يبين بأن شجر التين مثلا الموجود في هذا البستان له جانب من

الجمال زاد مع وجود الزهور وهذه زادت مع تدفق الماء حتى يأتي إلى جميع ما فيه فيجعل القارئ يعيش أجواء البستان كاملة. فالقطعة الأدبية التي أمامك لا يمكن أن يكون الرأي صوابا في تحليلها إذا أعطى ميزة الإبداع لخيطٍ واحد من خيوط النص، كأن يقول إن اختيار اللفظة هو الذي جعل النص ثريًا وما عداه إن هو إلا هوامش يُستغنى عنها؛ فاللفظة على أهميتها لا تبين الفكرة ما لم تكن حسنة الارتباط بما قبلها وبما بعدها، وأعني باللفظة المفردة التي من أخواتها يتكون النص، يصبح رأي الدارس أكثر تأثيرًا حين يستحضر أثناء دراسته نصوصا مشابهة أو متنافرة مع ما بين يديه؛ ليستطيع أن يطلع القارئ بطريق الموازنة بأن صاحب هذا النص أجاد أو أخفق، وهذا بذكر نصوص طرق أصحابها ذات الموضوع، لو جاء شخص وقال لنا: إنَّ الريح إذا أرسلت فإنها لا تؤثر إلا بالأشجار ذات السوق العالية لكنها لا تؤثر بما لا سوق له، فهاذ كلام علمي مجرد يقع في النفس موقع الحقائق التي لا تثير الوجدان، لكن ابن

زيدون رحمه الله نقل لنا هذه الحقيقة بصور أدبية جمالية حين قال:

هل الرياح بنجم الأرض عاصفةٌ

أم الكسوف لغير الشمس والقمر

فهو لا يقصد نقل حقيقة مجردة وإنما أراد أن يشبه أفذاذ الرجال حين وقوع المصائب عليهم من أنها لا تصيب إلا النابه الشامخ، فكما أنَّ الرياح لا تُميل النجم من النبات وهو النبات الذي لا ساق له فكذلك سلطان الطاغي وسيفه لا يقع إلا على نابهٍ شريف، قد يقرأ محلل النص قدرًا كبيرًا من الكلام لا يجد فيه ما يثير، ثم يعثر على لفظةٍ ثرية تفجر فيه القول فعليه أولاً بعدم استطالة الطريق وعليه ثانيا أن يبالغ بالحفاوة بهذه الكلمة، حضور النَفَس الوجداني لمن يقوم بالتحليل يفتح له مغاليق انبعاث النص لدى القائل فيتبين معها صدق المشاعر من زيفها ،ولا يفوتني هنا أن أقول إن أصالة مبدع النص وصدق مشاعره تجذبك جذبا

إلى الولع والاحتفاء بما لديه، بعض الصياغات تجعلك ترى حركة وتحس صوتا بسبب صدقها وقدرة الناس على اختيار اللفظة الموحية ،الأصل في الانتاج الإنساني كله غثه وسمينه أنه قول وخلجات وخواطر ثم كُتبت ، من هنا أجد أن بعض الإنتاج الشعري بحاجة إلى أن تنشده بينك وبين نفسك أو بصوت مسموع لتستعين بهذا على التعرف على ساعة ولادة النص والعيش فيها والانغماس بالحالة الشعورية للقائل،هناك ارتباط خفي بين اللفظة المختارة وخفايا النفس؛ فهذا الصوت الذي نقل المعنى يمثل الحالة الشعورية للقائل ،فلا بد من اقتناص مثل هذه اللطائف الخفية ومن ثم الاستدلال بها على حالة معينة للقائل، جاء في الحديث عن الشعر الجاهلي في موسوعة الشعر العربي ص١٩ : « . . . اللغة العربية لغة عضوية ، وليست تركيبية، بمعنى أنَّ جذور ألفاظها إنما هي رموز موسيقية عن الحالة الداخلية للناطق « إذا كانت سلامة الذوق شرطا بإصابة الناقد من الناحية الفنية،فإن استيعاب

مصادر النص والقدرة على استحضار ما فيها مما يخص شخصية القائل أو ما قيل عن النص يعين المحلل على الفهم والرد بدليل مع إثبات حجته، وحين يريد محلل النص الاستشهاد بنص آخر فمن المعيب أن ينقل النص بمعناه مفتتحًا هذا بقوله: قال فلان، فيوهم القارئ أنَّ هذا نص ولكنه في الحقيقة نقل بالمعنى.

أدركتُ بظني

أنَّ كريمًا غلط علي في غيبتي أدركت هذا فهمًا، من حاله وبعد أيام أحس بذنبه فأقبل علي يحدثني عن مسألةٍ علمية جرى الحديث بيننا فيها مع أنَّ الأمر فيها قُطع وانتهى في وقته، إلا أني فهمت أنه أراد أن يجعل هذا مدخلاً لاعتذار يطمئن إليه قلبه، ثم بعدها قال إنَّ لديه صورةً من المخطوطة للمسألة التي كنا نتدارسها فإذا رغبتَ نسخة منها فأخبرني، فقبلت اعتذاره الملموح وقلت في نفسي: هذا من الأساليب التي يعتذر بها كريمٌ إلى كريم.

أعفي نفسي من كلام يفصل بين السانحتين فأقول لك إلى سوانح الذات، رأيتُ كثيرًا من الناس من حولي يكثرون من طلب التجديد في حياتهم اليومية فيومٌ نزهة ويومٌ سفرة وثالثٌ إجابة دعوة هم هكذا، وحال بعضهم تذكرني بحال ابن زريق رحمه الله:

ما آب من سفرٍ إلا وأزعجه

رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يزمعه

كأنما هو في حلٍ ومرتحل

موكلٌ بفضاءِ الله يذرعه

يفعلون هذا لما يجدونه في حياتهم من مللٍ يسبب ضيقًا في النفس واضطرابًا في الخُلُق، وهم إن لم يفعلوا ضاقوا ذرعًا بيومهم، ثم نظرت إلى حالي فإذا أنا - بفضل الله - لم أحتج إلى ما احتاجوا إليه، مع أني أسيرُ بنظام واحد في أيامي كلها، إلا ما اضطُررتُ إليه وهذا قليلٌ؛ فعندما أصلي الصبح أنام قليلا ثم أدخل مكتبتي حتى يحين موعدُ إفطاري، ثم أعود إلى المكتبة إلى أن يقرب

وقت صلاة الظهر، وبعد الصلاة أعود إلى المكتبة قليلا ثم الغداء، بعده إما عودة إلى المكتبة قليلا أو القيلولة، ثم صلاة العصر فالمكتبة، ثم صلاة المغرب فجلسة عائلية بين العشاءين، بعد صلاة العشاء أعود إلى المكتبة إلى الساعة الحادية عشرة يتخلل هذا ساعة أو ما يزيد قليلا للعشاء ،، وبين هذا وذاك ما يكون من وقتٍ أقضي به حاجة الأسرة ، وما سواه فالأمر كما سمعت .

في مجلس الدكتور
عبد الرحمن بن سليمان العثيمين رحمه الله

ومن لمحات سيرتي الذاتية أني كنت بين حينٍ وحين أزور الشيخ الدكتور المحقق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين رحمه الله المولود في عنيزة عام ١٣٦٥هـ المتوفى فيها ١٤٣٦هـ،أزوره في مجلسه الذي كان يعقده ما بين المغرب والعشاء في منزله بحي العُلَيَّا في عنيزة،وقد عاد إليها بعد تقاعده من العمل بجامعة أم القرى بمكة المكرمة،وهو أحد علماء النحو في زمانه وأحد عيبات العلم وخاصة المخطوطات فلديه معرفة واسعة في مظانها ؛ ولأهمية ما يدور في مجالس العلماء فإني حين أخرج من مجلس أرى أنَّه دار فيه ما يستحق التدوين فإني أدون ما رأيته في ذلك المجلس،وها هي مدوناتي أضعها بين يديك إحتفاءً بالشيخ ونشرًا لفضله رحمه الله وترغيبًا لك بهذا المنهج .

رُبَّما أَوْفَيْتُ في عَلَمٍ   تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمالاتُ

أشكل علي معنى هذا الشاهد فسألته عنه .

فقال :إنَّ نون ترفعنْ نون التوكيد الخفيفة،وشمالات اسم

هضاب في اليمامة والبيت لجذيمة الأبرش، وكان السؤال في مجلسه يوم الأربعاء السابع عشر من ذي القعدة ١٤٣٣هـ؛ وأضاف أنَّ هذا الموقع استدركته على ابن خميس رحمه الله في معجمه. ومما سئل عنه الشيخ في هذا المجلس؛ ما سأله الأستاذ الباحث محمد بن سليمان القُبيّل عن معنى [فقَّاعي] وهي نسبة رجل وردت في سيرته. فقال: الفقاعي هو بائع الفقاقيع وهي ما يعلو الشراب من فقاقيع، وكنا طرحنا في أحد مجالسه مجيء الحال من النكرة فأنكر هذا، فلما استشهدتُ بقوله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة: وغشيتهم الرحمة، و حفتهم الملائكة، و ذكرهم الله فيمن عنده) فجوزوا الحال وهي جملة [يتلون] من قوم وهي نكرة لأن النكرة منفية. قال نحن النحاة لا نستشهد بالحديث لأنَّه لا يمكن أن نتيقن بأنَّ هذا القول بنصه صدر من رسول الله

صلى الله عليه وسلم. ثم قال مستدلا على رأيه: إنك تسمع كثيرًا من يروي حديثًا ثم يقول: أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن لضعف حالته الصحية لم أُلَّحَ عليه برأيي؛ فقد كان طريح فراشه ولولا عزيمته وإكباره للعلم لأغلق بابه؛ والرأي الذي أراه أنَّ تذييل المتكلم كلامه بهذه الكلمة لايكون من العلماء الراسخين في العلم فهم يطلقون الكلمة مرويةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير هذا التذييل، وأول من توسع بالاستشهاد بالحديث هو ابن مالك صاحب الألفية رحمه الله، وفي إحدى هذه المجالس زرته فوجدته منفردا، فدار الحديث في العام والخاص وكان العام مما يدور عادة في مجلسه، ولكن الخاص هو الذي ظفرت به في هذه الخلوة، فكان مما حدثني به أمر المقابلة الشخصية حين عزمه على الدراسات العليا وكانت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، وكان يرغب في أن تكون في مجال الأدب ولكن الذين أجروا معه

المقابلة رأوا فيه علم النحو أغلب فرشحوه للنحو، وحصل على الترتيب الأول من بين الذين أجريت لهم المقابلة بل إنَّه حصل على نسبة٩٤٪ بينما حصل أقرب المتقدين على ٧٤٪ . ومما جرى في هذه الجلسة أنّه أطلعني على صور شخصية تحكي أيام شبابه، ثم جرى الحديث عن استراحته التي نحن فيها فطلب من سائقه إحضار مقعده المتحرك الذي كان يتنقل عليه فلما استوى عليه هممت بأن أتولى دفع المقعد فرفض إكرامًا لي وطلب من السائق أن يقوم بهذا ،فصحبته أمشي بإزائه ونحن نطوف فيها وكان يستوقفني عند النخيل يشير إلى أنواعها .

وزرته يوم الأربعاء غرة شهر ذي الحجة ١٤٣٣هـ .

ومما أذكر في هذه الجلسة أنَّه سئل عن كتاب اسمه: (العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور) لعمر بن دحية الكلبي هل هو موجود ؟ فقال نعم . ثم قال إنني كنت في زيارة للشيخ حامد الأنصاري في بيته في المدينة المنورة يقول وأظن هذا

١٤٠٥أو١٤٠٦هـ. وأنا إذا إردت زيارته أذهب إليه يوم خميس من مكة؛ ولما دخلت البيت وأنا في طريقي لمجلس الدرس سمعت سائلا يسأل عن الكتاب فقال له الشيخ الأنصاري هو غيرموجود فرد السائل لكن ابن عثيمين يقول إنه موجود فرد الأنصاري دعك من ابن عثيمن في الحديث واسأله في النحو فإن أفتاك فلاتسأل غيره. يقول الدكتور عبد الرحمن: ما كاد الشيخ ينهي كلامه حتى وصلت إلى الحلقة فسلمت على الشيخ ففرح و بالغ في الترحيب بي، ثم دار كلام بيننا عن الكتاب فسألني فقلت له إنه موجود فقال أين؟ فقلت له لاأخبرك. ثم وجه الدكتور كلامه لنا وقال حتى يحفظ لسانه، وأشاد كثيرًا بعلم الشيخ الأنصاري في الحديث.

وفي هذا الجلسة وجدت عنده عبد الرحمن الحُمَّيدي أباخالد، وعنده حمود الرُبْعي. وهو من بريدة وملازم له ويقرأ عليه بعض الكتب وهوطالب في جامعة القصيم يحضر الماجستير في النحو وموضوع رسالته

عن الخلاف . وسألت الدكتور عبد الرحمن عن رأيه في اختصار بعض الناس لكتب مؤلفين أطالوا في كتبهم فقال: لا أرى هذا ولو أرد المؤلف الاختصار لفعل؛ وأنا كاتب هذه السطور أقول بأنَّ الاختصار من الاعتداء على المؤلف وبخسٌ لحقه لأنَّ الناس سيتناسون الأصل ويتداولون المختصر ويذهب علم كثير حفظه المؤلف؛ ومهما يكن من جودة الاختصار وعناية المختصِر إلاأنه لا يمكن أن يجري قلمه بما جرى به خاطر المؤلف، فهناك أنفاس تختفي خلف الحروف لا يسع غير المؤلف تمثيلها؛ ومما جرى في مجلسه ذكر الإجازات التي تمنح لمن اجتاز مرحلة معينة من حفظ القرآن فقال ما معناه: هذه الإجازات لا قيمة لها ولا اعتبرها شيئًا يعتد به، فقلت له أخشى أن تعيد تسلط المازني والمبرد على القراء فلم يُبدِ رأيا .

وزرته يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الآخرة لعام ألف وأربعمائة وأربعة وثلاثين للهجرة. وحيث إنّه اعتاد أن يسمع مني سؤالا فقال موجهًا كلامه

لي أليس لديك سؤال ؟ فاغتنمت هذا فقلت ما قولك في قول: العرب كلاهما وتمرا : سألته هذا وأنا أعرف من قاله وأعرف تخريجاته الإعرابية،ولكن مجالس العلماء تزدان بالسؤال وأنصح كل من حضر مجلس عالم أن يثيره بسؤال كما أنهم يستطردون في إجاباتهم فينتفع السامع بلطائف يسمعها لأول مرة،وهذا ماحصل فإنه استطرد،وذكر لطيفة ما كنا سنسمعها لولا هذه الاستثارة حيث قال عن تقدير القادة للعلماء ،فذكر منهم الرئيس العراقي / صدام حسين/ رحمه الله،فقال : إنه كان في سيارته في الطريق إلى تكريت ففتح المذياع فأعجبه المتحدث وحديثه،فسأل السائق من هذا ؟ فقال هو عبد الحميد العَلْوَجي في كلية الآداب فلما وصل إلى مقر إقامته طلب أن يحضروا له العلوجي وطمأنوه على سلامته وقالوا له ستبقى معنا يومين أو ثلاثة . فلما حضر سأله أين تعمل ؟ فقال إني متقاعد فقال لماذا قال لأني بلغت السن القانونية ،فاتصل الرئيس على مدير جامعة بغداد وأمر بأن يبقى العَلْوَجي في العمل

مدى الحياة. ومن اللطائف التي أثمرها السؤال قال إني دعيت إلى مؤتمر في بغداد وتأخر السماح لي بالذهاب فلم أحصل عليه إلا بعد بدء المؤتمر ،وحين ذهبت وجدت في المطار عند باب الطائرة سيارة مرسيدس تنتظرني وعندما أعلنوا في القاعة عن وصولي صفق الجميع بحرارة وقال لي منسق الحفل هذا مكانك، فجلست فإذا أنا بجوار رجل مسن لا يفتأ من إخراج لسانه يمنة ويسرة ،فقلت له هذا التصفيق لي فقال أما تخسأ !يا [. . .] كلمة بذيئة. ثم قال لي هذا التصفيق لابن عثيمين من مكة وليس لك فقلت أنا هو فقال لي كما قال في الأولى. فأخرجت له بطاقتي الشخصية عندها فرح كثيرًا وقال إقامتك عندي ما بقيتَ في بغداد . ثم أضاف الدكتور عبد الرحمن إنَّ هذا هو عبد الحميد العلوجي وكانت بيننا مراسلات قبل هذا المؤتمر. وتولى قبل مدة سفارة بلاده في تشيكوسلوفاكيا ؛وفي هذه الجلسة قال ابنه سليمان إن مكتبة الوالد وصلت من مكة وسوف نعد لها موقعا ولعلي بعد اكتمالها أصفها إن

شاء الله، ولكن شاء الله أن يتوفاه قبل أن أرى المكتبة.

وحضر هذه الجلسة/ الدكتور إبراهيم التركي [أبويزن] وعلي الصويان وهو من المواظبين على مجلس الدكتور ورجل ثالث لا أعرفه.

أعود إلى قول العرب: « كلاهما وتمرا « فكيف عطف المنصوب على المرفوع، والتخريج هو « لك كلاهما وأزيدك تمرا؛ فتكون كلاهما مبتدأ مؤخر، وتمرا منصوب بـ « أزيدك « المقدرة، وللمثل رواية أخرى هي: كليهما وتمرا، ويكون التأويل أعطيك كليهما وأزيدك تمرا؛ والمثل أورده الميداني رحمه الله في مجمعه بالرقم ٣٠٧٩.

وزرته يوم الخميس التاسع من شهر جمادى الأولى لعام ١٤٣٤هـ. وفي هذا المجلس سأله أحد الحضور عن طالب يحقق كتابًا ويريد أن يسند قراءة الأصل إلى شخص آخر سأله عن رأيه في هذا، فقال لو كان المحقق طالبا عندي لكسرت يده! فقال له لماذا؟ فقال لأنَّ قراءة النص

المـراد تحقيقـه هـو لـب هـذا النـوع مـن الأعمـال العلميـة . فقـال لـه السـائل إنَّ الشـخص المسـند إليـه طالـب علـم فقـال حتـى ولـو كان كذلـك، وطريـق التحقيـق شـاق فـإذا لم يصـبر علـى هـذه المشـقة فـلا يشـتغل بالتحقيـق ثـم أشـار بأنَّـه سـار بهذا الطريق أربعين عامـا .

ومـن شمائل أبي سـليمان أنه يطرب بل تهتز أريحيته إذا سـئل عـن مسـألة علميـة، فـتراه يجيب فرحًـا عـن أي مسـألة يُسـأل عنهـا .

وفي هـذا المجلس جرى الحديث عـن دعـوةٍ منشـور في صحيفـة الاقتصاديـة الإلكترونيـة في ١٤٣٤/٥/٨هـ لتكريـم الدكتور . ثـم جـرى ذكـر دعـوة أخـرى موجهـة إلى جامعـة أم القـرى وهـي الجامعـة الـتي كان يعمـل فيهـا ،وكان رأيـه الـذي سمعتـه منـه رافضًـا مثلَ هـذه الدعـوات ومعاتبًـا مـن يتحـدث عـن مثـل هـذا باسمه؛ وقـال أخشـى أن يظـن أحـد أنـني أنـا الـذي طلبـت منهـم هذا ،وحـين صـار الحديـث بـين مؤيـد ومعارض طلب من الجميع الكف عنه والانتقال إلى موضوع

آخر . وممن حضروا الجلسة / سليمان العبد الله القنيبط / والأستاذ عبد الرحمن التركي وابنه المهندس علي ،ومحمد السليمان الشبل واثنان من العثيمين وآخران لاأعرفهما .

وزرته يوم الجمعة الثاني من شهر جمادى الآخرة ومما أريد تسجيله عنه في هذا المجلس ما رواه عن نفسه من موقف نبيل منه لأحد طلابه واسم الطالب/ موفق عبد القادر/ عراقي الجنسية وذلك أنَّ وزارة الداخلية في المملكة أصدرت أمرًا بتسفير جميع العراقيين بعد اجتياح العراق للكويت، وكان هذا الطالب يدرس في جامعة أم القرى التي كان يدَّرس فيها الشيخ عبد الرحمن فألَّح على الجامعة بأن يبقى هذا الطالب ولكن مدير الجامعة قال لامناص من تنفيذ الأمر فاتفقا على عرض الأمر على وزير الداخلية على أن يكون الدكتور عبد الرحمن كافلا لموفق .

فجاء رد وزير الداخلية بالموافقة، ويقول الدكتورعبد الرحمن إن هذا الطالب جاء إلي مضطربًا حين سمع الخبر فقلت له إنَّ مرتبي الشهري من الجامعة اثنا عشر ألف ريال. لك ست ولي ستة .

ثم قال إنَّ الأمر لم يبق له سوى أسبوعين حتى ألغي عقدي، . وهذا الطالب يقول عنه الشيخ عبد الرحمن إنّه كان مبرِّزًا في علم الحديث، وأشاد بوفاء موفق وبقائه المستمر علَى تواصل معه، واتصل عليه أبو سليمان من هذا المجلس بهاتفه الجوال وجرت بينهما مفاكهة. ثم جرى الكلام معنا عن أهل الحديث فقال إنَّ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يعد تلميذا في الحديث إذا قيس بالشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، والشيخ الألباني يعد تلميذا إذا قيس بالشيخ عبد العزيز في الفقه.

وزرته يوم الجمعة الحادي عشر من محرم لعام ألف وأربعمائة وخمسة وثلاثين للهجرة. ، ومما دار فيه حديثه حين قدم من إحدى زياراته للقاهرة، حيث قال كان قدومي إلى مكة وهي مقر سكني في نهاية شهر ذي القعدة، فاتجهت للحرم لأصلي المغرب والعشاء، وقبل دخولي للحرم ذهبت إلى مقر هواتف العملة لأطمئن على صحة أختي التي في الرياض، وأنا في بيت لم تتوفر فيه خدمة الهاتف، فوجدت

أحد الهواتف خفيفا من الزحام وكان الذي قبلي رجلاً مصرياً اسمه حسن الجباري أو الجبالي ، والشك بالاسم مني ، فطلبت منه أن أتحدث قبله وأن يعطيني ريالا فأنا ليس معي عملة معدنية وهي اللازمة للهاتف فقدمني على نفسه وأعطاني خمسة عشر ريالا وأعطيته خمسين ريالا عملة ورقية فرفض بشدة، فلما أنهيت المكالمة صحبته إلى الحرم فصلينا جماعة فلما رأيت ما فيه من مروءة أغراني بأن أقول له إنَّ لدي رسالة إلى الشيخ/ محمود شاكر. رحمه الله، وبيته قريبُ من مطار القاهرة فرحب هذا الرجل وقال سأسافر غدا إلى مصر ولا مانع عندي أن آخذها معي وأنا أنتظرك عند هذا الفندق وأشار إلى فندق الأنصار فقلت أنا متعب لعلي أذهب إلى البيت وأصلي في الحرم الفجر فجئت ووجدته على الموعد وناولته مئتي ريال فرفض فلما ألححت عليه قال سأمزقها .

فأخذ الرسالة بعدها حضر إلي رجل ، ذكر أبو سليمان اسمه ففات علي سماعه ولم أرغب في قطع حديثه

للسؤال عنه . فطرق علي الباب في ساعة متأخرة من الليل وقال إن الشيخ محمود شاكر أوصاني بأن أبلغك شكره وأن أقبل سائر بدنك ولكنه استثنى موضعين من البدن قالها الشيخ عبد الرحمن وهو يبتسم . ثم قال بل لم يستثنِ أي موضع من بدني .

وأثنى على علم المحقق أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧- ١٩٩٢م رحمه الله وقال إنه فاق أقرانه في الماجستير و إنَّه لم يحصل على شهادة الدكتوراه ،ثم قال عن السبب أنه تقدم لاختبار القبول إلى جامعة القاهرة وكان من عادة اللجنة أنهم يضعون أمام المتقدم سلة فيها بطاقات ثم يسحب واحدة منها ويجيب على سؤالها فلما سحب النفاخ بطاقته وجد فيها سؤالا عن دعبل الخزاعي فأجاب إجابة مستفيضة ،وكان رئيس اللجنة طه حسين رحمه الله وكان .حسب ماذكر أبو سليمان. لايحب أدباء الشام فكره أن يوافق على قبوله فأراد أن يسأله سؤلا يتعلل به لرفض قبوله فقال له أين طُبع ديوانه ؟ فقال النفاخ في أوربا لكني لا أعلم

الدولة، فقال له طه حسين إذن أنت حمار ! فكيف لا تعرف أين طبع ! ؟ وما الفرق بينك وبين الحمار ،فغضب النفاخ ووقف ثم ضرب على الطاولة التي بينهما وقال الفرق بيني وبين الحمار هذه الطاولة فطردوه ورفضوا قبوله بل طرد من مصر كلها لأنه أساء إلى عميد الأدب العربي . !

وقال عن النفاخ إنه كان يكره البنات اللاتي في الجامعة فجاءته إحداهن تعاتبه في هذا وكانت طالبة ممتلئة وقالت: إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: رفقا بالقوارير فرد عليها لكنه لم يقل رفقا بالبراميل .

ومن شمائل أبي سليمان أَنَّه لا يسأل زائرا عن اسمه ويتحاور ويناقش من أمامه بكل أريحية حتى إني فوجئت أكثر من مرة بأنه لا يعرف الشخص الذي أمامه والذي كنت أظنه من خاصة معارفه لما أسمع من إفراده بالحديث وإسناد الأمر إليه، وهذا شيمة من يحب نشر العلم من غير اعتبار إلى من هو الآخذ .

كان مما روى في إحدى جلساته أنَّ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله حين أصدر كتابه: علماء نجد خلال ثمانية قرون، كان مما لاحظه عليه بعضهم أنه أرفق ضمن الطبعة التقريضات على الكتاب وهي كثيرة ولا داعي لها، وأنه أكثر من تراجم أسرته، وأنه كرر كثيرًا من إعادة نسب بعض الأشخاص والأولى إذا وصل إلى علم ترجم لأبيه أو جده ألا يعيد الترجمة ويكتفي بالإحالة، وأنهً ترجم لعوام من أهل نجد لا يرقون إلى مرتبة العلماء، يقول الدكتور إني سبق أن أشرت إليه قبل أن يطبع الكتاب.

واستطرد قائلا بما يتعلق بهذا الخبر إن مما أتحفني به الشيخ بكر أبو زيد إطلاعي على مخطوطة عنده على ألا أخبرَ بها أحدًا، وحين أصدر الشيخ البسام كتابه فإذا هي من ضمن مراجعه فظن الشيخ بكر أني أخبرت الشيخ البسام وأغلظ لي القول في هذا، ويقول الدكتور أبو سليمان إن الشيخ البسام حين طلب مني مراجعة الكتاب قال إنَّ عندي مجموعةً من المخطوطات سأهديك منها فلما وصلني

إهداؤه فإذا من ضمنه صورةٌ لهذه المخطوطة، ففرحت كثيرًا ثم ذهبت إلى الشيخ بكر بالرياض وأخبرته بالخبر وأكدت له أني لم أخبر أحدًا بالمصورة المذكورة وأطلعته على نسخة منها كانت عند الشيخ البسام ،ويواصل أبو سليمان كلامه قائلا لقد غضبت عليه غضبة تميمية،وقال الدكتور عبد الرحمن إن الشيخ بكرًا اعتذر وكان قد أعد طعام الغداء فرفضت الأكل وخرجت من منزله . رحم الله الجميع

وصف المجلس: هو مكان مبنيٌ على الطراز الشعبي ويسمى في العرف السابق قهوة ومدخله من الغرب ويحوي مجموعة من الكتب وأقدر مساحته٦×٣م وفي طرفه الأعلى وجار وهو المكان الذي توقد به النار وتعد به القهوة والشاي، وقد توسط هذا المجلس فراش تبدو عليه البساطة والتواضع يجلس عليه الدكتور ويضطجع أحيانا إذا أحس بالتعب . وقد زرته في شتاء فرأيته أوقد نارًا وصنع عليها الشاي ويبدو أنه يستعذب الشاي المعد على

الحطب حيث عرضه على أحد الزائرين وقال مغريا له بالشرب إنه مصنوع على النار .

ووصلني خبر وفاته يوم الأحد ٢٩/ صفر/١٤٣٦هـ وأنا عند مطابع السلمان ببريدة أعد كتابي (صور من الحركة التجاري في عنيزة منتصف القرن الرابع عشر) وصلينا عليه يوم الاثنين ٣٠/ صفر/١٤٣٦هـ بعد صلاة العصر في مسجد الشيخ محمد العثيمين في عنيزة وأَمَّ المصلين الشيخ الدكتور سامي بن محمد الصقير، وشهد الجنازة جمع غفير، كذلك صلى عليه في المقبرة خلق كثير، رحمه الله رحمة واسعة وكان بصحبة جنازته جنازة طفل .

بالتأمل رأيت أنَّ من عوارض

النقص البشري أنَّ بعض من حولك يصدقون كثيرًا مما يسمعون وإن كان مخالفًا للنظر السليم بشرط ألا يكون ما سمعوا صادرًا منك،فهنا يكون التوقف والتبيُّن ! ،من هؤلاء من يكون حاسدًا ،ومنهم من يرى أنَّك دون ما سمع فلا تلتفت وإن كبُر عليك إجحافهم .

قائمة
بالمصطلحات الاجتماعية
الواردة في الكتاب

وهذه المصطلحات مبثوثة في ثنايا الكتاب وأحببت جمعها هنا ليسهل الاطلاع والتعرف عليها ومجموعها خمسةٌ وتسعون مصطلحًا .

١ ـ لُقْمَة: وهي ما يفضل من طعام العشاء فيوضع بالعرزالة ، وفي الصباح يقدم وجبة إفطار فيؤكل على هيئة قطع تشبه قطع الكيك .

٢ ـ العِرْزالة : وهي بعين مكسورة فراء ساكنة فزايٌ ولامٌ مفتوحتين بينهما مد ثم تاء مربوطة وهي وعاء غالب أنواعه من خوص ويعلق في سقف البيت .

٣ـ طُعْمَة : وما يقدمه الجيران لبعضهم عند وجود مناسبة

٤ ـ عشاء الوالدين : وهو طعام العشاء الذي يطبخه الناس بنية ثوابه للوالدين ،إما ابتداءً منهم ،أو تنفيذًا لوصية موصٍ،وعادةً يكون في يومي الأثنين والخميس أو في أحدهما

٥ ـ مِنْخَاش : إذا تسربت مياه السيول من المزاريب على الجدار فإنّه يحدث في الجدار تجويفًا وعيبًا ،وهذا

التجاويف يسمى الجدار بعده منخاشا ،والتسرب يكون من طرف المزراب الداخل في البيت .

٦ ـ تلاقت المثاعب: أي أنّ ماصرفه مثعبنا التقى بمايقابله من مثعب الجيران وهذا دليل على كثرة السيول المنصبة من السطوح.

٧ ـ النَقْع : وهو من أعراف لعبة الكِعابة،وذلك أنّه يحق للقادم أن يستولي على مافي الخطة من الكِعابة إذالم يشاوره اللاعبون أوأحدهم .

٨ ـ المشاورة : وهو أيضا من أعراف لعبة الكِعابة وهو أن يُقال للقادم التنويه التالي بصوت مسموع: شورك على كل ماحملت وان رحت وان جيت وان كان أنّك ماتشاورماهوب شورك .

٩ ـ مِنْ ذالُهْ ؟ : وهومصطلح يُجري حين يعرض في الأسواق بضاعة ويرغبون في شرائها لكنها أكثرمن طاقتهم المادية أوحاجتهم اليومية .

١٠ ـ واكـف: وهوما يتسرب من المطرمن خلال السقف إلى ما تحتـه .

١١ ـ وتد : يكون غرسه في أصل الجدار من أعلى قريبا من نهاية الجدار ،وهو مصنوع من الخشب

١٢ ـ الكِلّة : بكاف مكسورة فلام مفتوحة مشددة فتاء مربوطة وهي مغروسة فوق الجدار وتختلف عن الوتد بهيئتها ومكانها ،فالكِلَّة تكون فوق الجدار ويتجه طرفها إلى أعلى أما الوتد يتجه طرفه إلى الداخل،والوتد يكون عرضه بقدر استدارة الإبهام مع الوسطى وأعلاه أقل استدارة من أسفله، والكِلَّة لها استدارة صغيرة طرفها مدبب وتحت هذا مباشرة تصغر الاستدارة وهي من الأعلى تشبه الشمسية التي يتقى بها المطر وحرارة الشمس،واستخدام الوتد للتعليق والكِلَّة لمد الحبال في السطوح من جهة إلى جهة وكلاهما مصنوع من الخشب ،الكّلة تكون في السطوح،والوتد يكون في سائر جدران البيِت .

١٤ ـ حيالة : وهي المكان الواسع داخل المزرعة، ولها اصطلاح آخر في عنيزة؛ فهي أحد الأسواق الكبيرة، وفيها يباع العلف و الحطب ومزاد الماشية، وفي أطرافها محلات الجزارة .

١٥ ـ مُوالي: والموالون هم الذين يقومون على إصلاح النخيل

١٦ ـ الكُمَام: وهو لف قماش على ثمرة النخل حتى لا تعبث بها العصافير والهوام.

١٧ ـ التكريب : وهو هوإزالة الزائد من الكرب ليسهل الصعود إلى النخلة .

١٨ ـ التشييف: وهو إزالة الشوك النابت على أطراف العسيب.

١٩ ـ الكَر: هو الآلة التي يصعدون بها إلى النخلة .

٢٠ ـ لا تسوون : وهو مصطلح يصاحب الإخبار بالطعمة، فتقول ربة المنزل لمن ترسله إلى بيت الجيران: اذهب إلى جيراننا الفلان وقل لهم [تقول أمي لا تسوون]

٢١ ــ طِزْق، كعابة: وهي عظام مفاصل الضأن والماعز، الطزق جمع طزقاء، والكِعَابة جمع كَعَب، والكاف هنا تنطق بكسكسة بني أسد .

٢٢ ــ صول: وهو مما يصاحب الطزق والكعابة وهوواحد من هذه الكعابة إلا أنه يفوقها بجحمه .

٢٣ ـ ترصيص : وهو مصطلح خاص بالصول، ومن العناية

٢٤ ــ وان : وهو من أعراف لعبة الكعابة، وذلك أنّ الصول إذا ضُرِب به فبقي مستويا فتسمى هذه الهيئة [وان] وهذا يعطي صاحبه محاولة أخرى للتصويب من مكان الصول .

٢٥ ــ زِعْبط: ومن أعراف لعبة الكعابة أنه إذا انتكس الصول إلى أعلى ووقف على أحد طرفيه فهذه الحال تسمى [زِعْبِط] بزاي مكسورة ،وعين ساكنة وباء مفخمة مكسورة ثم طاء، وهذا يعطي الحاضرين فرصة انتهابه مالم يسرع صاحبه إلى تقبيله . !

٢٦ ــ جوز ولا طلع : أي أنّ لاعب الكعابة استطاع بمهارته

أن يخرج اثنين من الكعابة من غير أن يخرج الصِول من الخطة التي بها الكعابة، وهذا يتيح للاعب فرصة الكَرز .

٢٧ ــ كَرْز: الكَرْز وذلك أن يقوم اللاعب بإمساك الصول ثم محاولة إخراج الطزق من الخطة بضربها بالصول وذلك بفركه بأصابعه قريبا منها ثم يطلقه على أحدها .

٢٨ ــ منفوح : وهو غرفة في السطح لها ثلاثة جدران فقط وتكون مستودعا للفرش، ومكانًا للنوم وقت تبدل الفصول، ويوضع بها التمر بعد نشره بالشمس لأنّ من لوازم كنزه نشره بالشمس مدة ليجف إن كان رطبا .

٢٩ ــ قَدْحة : [القَدْحة] وصفتها : أن يقوم الفتى بلف قطعة من القماش بطول وعرض إصبع اليد ثم يوقد أعلاها بعد أن يكون وضعها على أحد ذراعيه أو هبرة ساقه .

٣٠ ــ طَفُو: وهو الرماد المتبقي من فتيلة القدحة ،فنضعه على المكان المحترق بعد إزالة طبقة الجلد المحترقة ليلتئم الجرح.

٣٠ ـ حتات : وهو ما تساقط من ثمر النخل ومما يختلسة الصبية من النخل قبل زُهُوِه .

٣١ ـ رواصيد : والرواصيد هي الثعابين التي كان الناس يعتقدون أنّها ترصد وتحفظ كنزا مدفونا .

٣٢ ـ المِجْرى: هو اللسان الخشبي الذي به يُحكَم إغلاق الباب ويدخل هذا اللسان في تجويف عن يسار أو عن يمين الباب .

٣٣ ـ السارية : وهي قطعة طولها بطول الباب وعرضها عرض الجدار وسمكها قريب من عشر سم وهي مصنوعة من صخور الكثان .

٣٤ ـ الكِثّان : والكثان أظنه هو المسمى [يرمع] في اللغة العربية؛ لأنَّ اليرمع هي الحجارة الرخوة والكثان كذلك إذا قيس بصلابة الصفا ونحوه، وننطق كافها بكسكسة بني أسد .

٣٥ ـ ساكف: هو الخشبة العريضة التي تربط بين جزئين

من أجزاء المبنى، كذلك ننطق كافها بكسكسة بني أسد .

٣٦ ـ خرزة : وهي من الصخر الذكر تكون بشكل اسطواني ارتفاعها قريب من خمسين سم وهي وِحدة بناء الأعمدة.

٣٧ ـ حِجْل : وهو صخرة مربعة ٥٠ في ٥٠ سم بسماكة ٢٠سم، توضع بنهاية العمود من الأعلى وسبب تصنيعها بشكل مربع ليتمكن منها الساكف .

٣٨ ـ خُبْرَة : وهي حفرةٌ عمقها قريبٌ من متر ونصف وهي بشكل دائري . يُجمع بها الماء .

٣٩ ـ الستاد : هو معلم بناء الطين، وكل من أجاد عمله ،فهو استاد فيه .

٤٠ ـ قَرُو: وهو صخرة منقورة بتجويف ويطول ويقصر حسب الحاجة والمقدرة المادية، ويجمع به الماء المستقى من البئر وله ثقوب اسمها بلابيل .

٤١ ـ بلبول: وهي أداة تصريف الماء من القرو و تشبه الصنبور وهو عظم مجوف بمقدار الإصبع، وفي أعلى القرو ثقوب توضع بها السدائد . وهناك قرو يكون بشكل مربع يوضع بمكان مرتفع عن سابقه ويستخدم ماؤه للاستحمام .

٤٢ ـ سدادة : وهي شريحة من الخِرَق تسد بها البلابيل[الصنابير] عندالانتهاءمن الحاجة إلى الماء .

٤٣ ـ عَوْقَدة : وهي مجموعة من الكلاليب تعلق بدائرة، وهي أداةاستخراج الدلو حين يقع بالبئر بسبب انقطاع الرشاء وانطلاقه من يد الماتح للماء ، وطريقةاستعمالها أن توصل بحبل ثم تلقى بالبئر فتحرك في الماء في كل اتجاه للبحث عن الدلو حتى تعلق بها ومن ثم يخرجونه بها .

٤٤ ـ الدلو: وهو وعاء من ربَل أوجلد ، ويصنع بشكل اسطواني قطر قاعدته ٢٠سم تقريبا وأعلاه ٣٠سم، ويقطع أعلاه صليب خشبي يقوم المستقي بوصله بالرشاء ومن ثم إلى البئر .

٤٥ ـ رِشاء : هوحبل مصنوع من عذوق النخل بعد دقها وفتلها وهو خشن في ملمسه، فيتسبب من كثرة استعماله المَخَض .

٤٦ ـ المَخَض: وهو انتفاخ ينشأ في باطن اليد نتيجة الكد .

٤٧ ـ حِصْرة : لفافة مدورة من الخرق وهي حواف لاوسط لها يضعها العامل على رأسه يخفف بها من ضغط ما يحمله .

٤٨ ـ زَفَّة : ووصفها كمايلي: يؤتى بصفيحتين من المعدن فيوضع بأعلى كلٍ منهما قطع خشبية تكون متقاطعة على هيئة علامة زائد هكذا [+] مع تثبيتهما بطرفها العلوي ثم يوضع بوسط علامة الزائد معكوفة معدنية فيحضرون قضيبا من الخشب بمقدار مترين يكون لدنًا مرنا حتى لايؤثر على العامل عند حمله ويتدلى من هذا القضيب سلسلتان توصلان بالصفيحتين عند حملهما . فيضع العامل هذا القضيب على كتفيه ويحمل الماء إلى حيث يريد وللزفة في

العرف الاجتماعي مسمى آخر وهي من مسميات مراسم الزواج.

٤٩ ـ شباع : وهو طلي وكساء اللبن بالطين من الداخل والخارج وأقرب شيء له التلييس .

٥٠ ـ لياق : وهو تغطية وكساء الجدران الخارجية للبيت بطبقة طينية مختلفة عن الشباع ويتحول بعد جفافه إلى لون يميل إلى الزرقة واستعماله للتزيين .

٥١ ـ سُوقَة: وهي طبقات الجدار أثناء وضع اللبنات فكل طبقة تسمى سوقة .

٥٢ ـ دُمَامَة : وآخر لبنة في جدار السطح اسمها [دُمَامَة .] ويكون وضعها في الجدار بصورة مخالفة لما تحتها فتوضع بصورة طولية .

٥٣ ـ ساف : وهو الطبقة من الساس أي الأساس وهو من الحصى فكل طبقة تسمى سافًا .

٥٤ ـ نِـعَال : وصفـة النعـال أن يجمع فـوق الطـين الموضـوع فوق السعف والجريد والعُسب وهـذه هـي أجـزاء السـقف ثـم يصب فوقـه المـاء بقدر كبير حتى يصبح كالوحل،ويغطي فـوق الكعب ثـم يخوض العمـال فيـه جيئـة وذهابا .

٥٥ . مصبـاح: المصبـاح وهوبالعـرف الحـالي بمثا بـة الصالـة العلويـة .

٥٦ ـ روشن : وهي الغرفة العلوية .

٥٧ ـ كابون : مطرقة خشبية كبيرة تضرب به الثياب عند الغسيل للمساعدة في إزالة ما علق بها .

٥٨ ـ جُمَّار : وهوما يكون في قلب النخلة .

٥٩ ـ بِشَار : هو قطاف التمر بعيد جفافه وقبل يُبْسه .

٦٠ ـ عليق : وهوالتمر المعلق . فيؤخذ قنوالنخلة كاملاً ثم يعلق بعد لفه بقماش حفظًا له من الهوام وأشهر أنواع التمر العليق « أم الخشب «

٦١ ــ كنيز : وهو حفظ التمر بعد رصه جيدا ويخلط معه الدبس ، والوالد عليه رحمة الله ورضوانه كان ممن يجيدون الكنيز ،ويحفظ بقلال من خوص أو في صفائح معدنية تنك .

٦٢ ــ جصة: وهي بناء من أربعة جدران على هيئة الجدران المسبقة الصنع المعروفة في زمننا الحاضر ويكون اختيار هذه الجدران من مادة باردة تسمى كَثّان،وله فتحة من الأسفل يستقى منها الدبس الخارج من التمر ،ثما يعاد صبه عليه .

٦٣ ــ العَقْدة : وهي السور القديم الذي يعقد أطراف المدينة،ويغلق عليها بأبواب منها باب البابية،باب ساير ،باب الغرفانية ،باب الخلا،واللام هنا مفخمة أي الفضاء .

٦٤ ــ فاروع: وهو آلة حديدية تُثبت بعصا طولها قريب من المتر،وله طرفان حادان مختلفان في استعمالهما ،فأحدهما للحفر،والآخر للقطع .

٦٥ ــ كزمة : وكافها تنطق بصوتٍ بين الزاي والسين، وهي

أيضا حديدة ذات طرفين حادين وهي كالفاروع مثبتة كذلك بعصا إلا أن أحد طرفيها يكون مدببا ويستعمل للنقر .

٦٦ ـ مقطاع : وهو آلة لقطع الخشب ،إلا أنه يختلف عن المنشار بأنَّ استعماله يلزم أن يكون من شخصين،يضعان بينهما الخشبة ويتعاونان على إمراره عليها في وقت واحد .

٦٧ ـ تِبِن : وهو ما يتخلف من الزرع بعد أن يُذرى .

٦٧ ـ حِنَـاك : وهووضع الخشب على أسقف الغرف وهذا الخشب يكون من الأثل .

٦٨ ـ زَقْف : وهو مناولة العمال فيما بينهم وذلك بوقوفهم صفًا وأغلب ما يكون الزقف في اللبن جمع لبنة فيقف أحدهم عند مكان جمع اللبن ويأخذ واحدة فيعطيها من بجواره ثم يعطيها هذا من بعده وهكذا حتى يصلوا إلى المكان المراد وضعها فيه .

٦٩ ـ مامن عض : هذا من مصطلحات العراك والتعارك بين

الفتية والأتراب ويعبر عن براءة الطفولة فيتفق عليه الصبية قبل بدأ العراك وأحيانا أثناءه. فيشترطان هذا بينهما ألا يعض أحدهما الآخر وتنتهي المصارعة عندما يحسان بالإعياء.

٧٠ ـ اطلق واطلق: هذا من أعراف العراك والتعارك بين الفتية والأتراب ومعناه اتركني وأتركُكْ ويكون عندما يبلغ العراك ذروته فيحس أحدهما بالإعياء أو الهزيمة فيرغب بإيقافه فيقول للآخر اطلقني فيرد صاحبه اطلقني ثم اطلقك والظاهر أنّ بداية الإطلاق تبدأ من طالبه.

٧١ ـ لك كل المقاضيب: المقاضيب المقصود بها ما يمسكه أحد الطرفين من جسم صاحبه فيتمكن منه ويضربه أرضا فيكون قد غلبه؛ وهذه المقاضيب مكانها ما تحت الإبطين. فيرفع المتحدي يديه ويطلب من أحد من عنده أن يمسك به من هذا المكان وعليه أن يطرحه [أي يلقي به على الأرض] إن استطاع. وهذا المصطلح الغالب أن يعمل به قويٍ يرى ضعف من أمامه.

٧٢ ـ لي مقضاب ولك مقضاب : أي أنَّهما يشترطان التساوي في تمكنهما من بعضهما أثناء العراك .

٧٣ ـ مُبَاناة : وهي نصيب الجار من قيمة بناء الجدار الذي يكون بينه وبين جاره .

٧٤ ـ قَشي العسبان : وهو أن نقوم بإزالة الخوص وهو الورق النابت في عسيب النخل لإعداد العسيب ليكون مما يوضع على خشب السقف ومن ثم يوضع عليه السعف ثم الطين فتكتمل هيئة السقف بعد هذا يأتي النعال الوارد تعريفه سابقًا .

٧٥ ـ سَعَف : وهو الورق النابت في عسيب النخلة .

٧٦ ـ الفَرْش : وهو صخرة طويلة من الصخر الصلب صماء بطول ١٢٠ سم تقريبًا و توضع أغطية للبيارات بعد طيها بالحصى .

٧٧ ـ المْعَدَل : هو الحاجز الذي يُفصل به الماء ويعدل مساره من جهة إلى أخرى في المزارع .

٧٨ ـ الكُمَر: وهو يبنى من الجص ويكون فيه زخرفة لتجميله، وتوضع به أدوات إعداد القهوة والشاي.

٧٩ ـ المعاميل: وهو ما يعد به الشاي والقهوة، بخلاف المواعين فهي التي يعد بها الطعام.

٨٠ ـ الحميس: وهو اللحم يقطَّع قطعًا بقدر قبضة اليد ثم يطبخ بالماء والملح ويكون الملح أكثرَ من الحاجة ليساعد على الحفظ ثم يجفف فيُنظم. بخيط على هيئة قلادة قطرها قريب من المترفيعلق على الأوتاد .

٨١ ـ الشريح: وهو وضع اللحم على هيئة شرائح عرضها قريب من خمس سنتي وطولها قريبٌ من ثلاثين وهي لا تطبخ وإنما يوضع عليها الملح لحفظها ثم تجفف.

٨٢ ـ سوتْ لي: وهو نوع الخيط الذي ينظم به اللحم .

٨٣ ـ مثعب: وهو مجرى خشبي يُصرَّف به ماء السطوح.

٨٤ ـ مِطْلاع: وهو فتحة تكون في أسفل السور والفرق

بين المطلاع والمثعب أنّ المطلاع يصرّف الماء من التجمعات الأرضية، والمطلاع فتحةٌ بدون آلة .

٨٥ ـ مخيول: وهي على هيئة إنسان يمد يديه حتى تفزع منه الطيور فلا تعبث بالزروع .

٨٦ ـ محجان : وهو عصا تزيد عن نصف المتر معكوفة من أعلاها وغالبه من أغصان شجر الأثل ويستخدم في حث الدابة في حال تباطؤها عن المشي أو لإيقافها عند نفورها . وهناك نوع من المحاجين يكون بنفس الشكل إلا أنّ سماكته أغلظُ من العصا وطرفاه متقاربان في الطول وفي أعلى جزئه الأطول تجويف خفيف توضع به الحبال عند استخدامه للتعليق . وأكثرُ ما رأيت معلقا به القرب .

٨٧ ـ صميل : وعاء من الجلد يستخدم لخض الحليب ليصير لبنًا ولتخرج منه الزبدة .

٨٨ ـ الجَلَّة : ما يكون من روث البقر بعد تجفيفه، وهو مما يوقد به للطبخ .

٨٩ ـ الإشنان : وهو بودرة تنظيف بها الملابس .

٩٠ ـ القد : حبال يصنع منها جزء الكر الذي يلف على النخلة، وهي مأخوذة من جلد رقبة البعير . وحبال القد يضرب بها المثل في اليُبْس، وتنطق قافها بصوتٍ بين السين والزاي ،قال الشاعر محمد بن لعبون رحمه الله في الدلالة على يبسها :

الصدق يبقى والتصنف جهاله   والقد ما لانت مطاويه بتفال

٩١ ـ الصبرة: تأجير طويل الأجلْ يصل إلى ألف عام، وتسمى في بعض المجتمعات(الحِكر) .

٩٢ ـ طاق : وهومكان تجميع الحطب، ومكانه القهوة، ويكون خلف الجالس في مكان إعداد الشاي والقهوة .

٩٣ ـ ليوان : وهو الفراغ الذي تطل عليه القهوة .

٩٤ ـ نِهْك : وكافها بكسكسة بني أسد وهو الدود المتولد من الحميس بسبب رداءة الحفظ، وهذا لا يمنع من أكله،

وكثيرًا ما تُرى النهوك مع الأكل المطبوخ معه الحميس، ولرقة الحال فالناس لا يتقدرون رؤيته بالأكل

٩٥ـ :« هذا عن عينك» هذه الجملة من الاحترازات الشائعة عندنا، ونعني بها أنَّ ما أعطيتك أدفع بها عني شر إصابتي بالعين منك.

أختم هذه السوانح بحمد ربي والثناء عليه

وأسأله بفضله ومنه أن يحسن خاتمتي

وأن يجعل خير أعمالي آخرها وخير أيامي يوم ألقاه

وأن يرزقني الشوق إلى لقائه من غير ضراء مضرة

ولا فتنة مضلة . وصلى الله وسلم على محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين . وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ومما أحب أن أضيفه إلى هذه الخاتمة الدعاء لوالدي ،

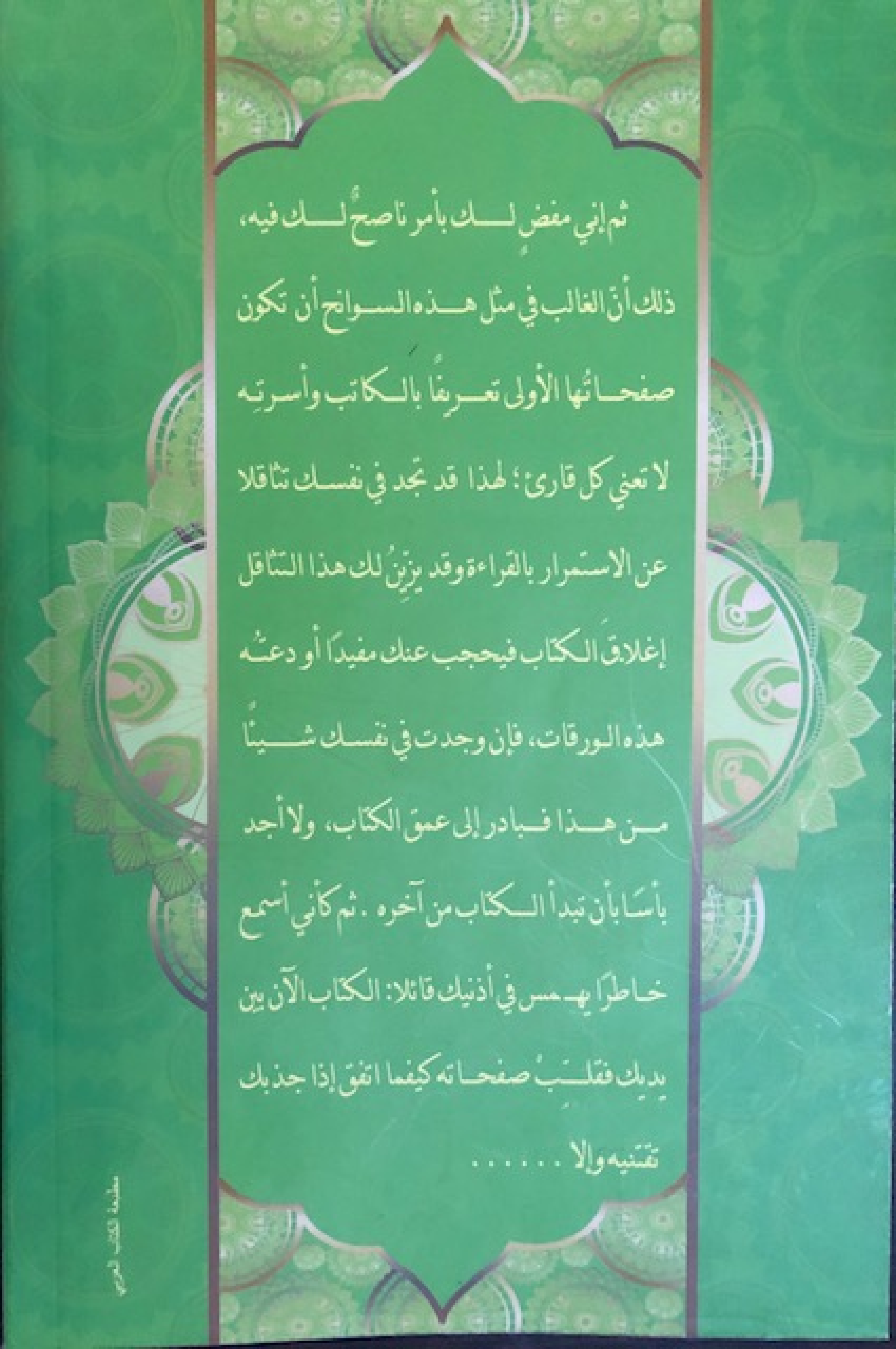
اللهم تغمدهما بواسع رحمتك وأسكنهما الفردوس

واغفر لكل من له حقٌ عليهما ،واجعل قبريهما

رياضا من رياض الجنة .

وأقول للقارئ إنّ كاتب هذه الحروف

يسألك أن تدعو له بالمغفرة والرحمة .


ثم إني مفضٍ لك بأمر ناصحٍ لك فيه،
ذلك أنّ الغالب في مثل هذه السوانح أن تكون
صفحاتُها الأولى تعريفًا بالكاتب وأسرتِه
لا تعني كل قارئ؛ لهذا قد تجد في نفسك تثاقلا
عن الاستمرار بالقراءة وقد يزيّن لك هذا التثاقل
إغلاقَ الكتاب فيحجب عنك مفيدًا أو دعتْه
هذه الورقات، فإن وجدت في نفسك شيئًا
من هذا فبادر إلى عمق الكتاب، ولا أجد
بأسًا بأن تبدأ الكتاب من آخره . ثم كأني أسمع
خاطرًا يهمس في أذنيك قائلا: الكتاب الآن بين
يديك فقلّبْ صفحاته كيفما اتفق إذا جذبك
تفتنيه وإلا . . . . . .